٥ شاقل

العدد

الثامن عشر

بعد المئة

شباط ١٩٩٠

الكاتب ١١٨

للثقافة الانسانية والتقدم

- مهام جديدة تتطلب تعزيز الوحدة.
- القضية الفلسطينية بين البيريسترويكا والوفاق الدولي.
- البيريسترويكا والتضامن الأممي
- المرأة .. في الأسرة الفلسطينية.
- الحركة الوطنية قبل تشكيل م.ت.ف.
- الأسباب الحقيقية لمرحلة التغيير الحاصلة في الأردن الآن.
- الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها-وحتى ١٩٥٨.
- الفن أداة للتغيير .. وليس للتدمير.
- ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.

ايام فلسطين الثقافية

شعب كهذا، يستحق الحياة

Digitized by Birzeit University Library

بعض الشبان الفلسطينيين الذين اعتقلوا يوم ١/١٠ عقب طعن مجندة اسرائيلية في سوق العطارين بالقدس العربية.

Digitized by Birzeit University Library

118

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١١٨) شباط ١٩٩٠ - السنة العاشرة No. (118), FEBRUARY, 1990

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

٨	مهام جديدة تتطلب تعزيز الوحدة	منير سلام
١١	القضية الفلسطينية بين البيرسترويكا والوفاق الدولي	محمد عبد الرحيم
١٨	البيرسترويكا والتضامن الأممي	فؤاد قسيس
٢٣	قائمة بأسماء شهداء الشهر السادس والعشرين للانتفاضة	الكاتب

دراسات وأبحاث ومداخلات

٢٥	المرأة .. في الأسرة الفلسطينية	نجاح مناصرة
٣٤	الحركة الوطنية قبل تشكيل م. ت. ف	رمزي الأنصاري
٤٣	الأسباب الحقيقية لمرحلة التغيير الحاصلة في الأردن الآن	د. أسعد عبد الرحمن
٤٨	الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها - وحتى العام ١٩٥٨	سعد عباس عبيد
٦١	قراءة في بعض فصول برنامج الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا "الطريق الى السلطة" ١٩٨٩	فيصل أبو السكن

أدب وثقافة

٤	أيام فلسطين الثقافية شعب كهذا، يستحق الحياة	أسعد الأسعد
٦٧	تساؤلات حول ملاحظات د. ابراهيم العلم حول المعمار الفني لقصتين من مجموعة صور وحكايات	محمد أيوب
٧٠	"عرار" .. شاعر عاش الشعر وكتبه	عواد ناصر

Digitized by Birzeit University Library

فنون

٧٤	هل التقط الجمهور ما أرادته "الفنون"؟ رؤية نقدية لعرض "مرج بن عامر"	صافي صافي
٨١	الفن أداة للتغيير .. وليس للتدمير	أكرم المالكي

قصة

٨٥	خيط القمر	عمر حمش
٨٦	"عمو فايز"	عبد الرحمن عباد

شعر

٨٨	ح. ش. ف	يوسف شحادة
٩٠	أبو حشيش	موسى حافظ
٩١	ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.	

Digitized by Birzeit University Library

أيام فلسطين الثقافية
شعب كهذا، يستحق الحياة

- أسعد الأسعد -

بدعوة من اتحاد الفنانين العرب، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية. أقيم في القاهرة مهرجان الثقافة الفلسطينية، ما بين العاشر من كانون الثاني الماضي، وحتى السابع عشر منه، وافتتح المهرجان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، ووزير الثقافة المصري، وعضو اللجنة التنفيذية مسؤول دائرة الثقافة بمنظمة التحرير عبدالله حوراني. وسعد الدين وهبة، رئيس اتحاد الفنانين العرب.

وغصت قاعة جامعة الدول العربية سابقا بالقاهرة بمئات الكتاب والفنانين والمثقفين العرب، وعشرات الصحفيين ووسائل الاعلام المختلفة.

بدأت أيام الثقافة الفلسطينية، صباح اليوم الحادي عشر، بندوة حول القضية الفلسطينية، وأثرها على الثقافة العربية، وقد شارك في الندوة التي استمرت أربعة أيام متتالية. مجموعة كبيرة من المثقفين العرب منهم، الدكتور حسام الخطيب، د. محمد برادة، محمود أمين العالم، جبرا ابراهيم جبرا، اميل حبيبي، توفيق زياد، الطاهر وطار، محمد بنيس، سعدي يوسف، د. مدحت الجيار، أدونيس، سلمى الخضراء الجيوسي، حسن الكرمي، خالدة سعيد، أحمد عبد المعطي حجازي، حنا أبو حنا، وجمال قعوار.

كما عرضت في أيام الثقافة مسرحية "المتشائل"، لأميل حبيبي، وتمثيل محمد بكري، ومسرحية للأطفال "طاق طاق طاقية"، تأليف صلاح الحسيني، وموسيقى مهدي سردانه، كما عرضت أفلام عدة، منها فيلمي "الخندق" و "عرس فلسطيني"، وقدمت فرقة "صابرين" المقدسية، أول عروضها على مسرح "البالون" بالقاهرة، والتي لاقت ترحيبا كبيرا من الجمهور المصري، وفوجيء بالمستوى الرفيع، والأداء الجيد الذي قدمته الفرقة.

وعلى مسرح "السامر"، استمع جمهور كبير لأمسيتين شعريتين، كانت الأولى للشعراء توفيق

Digitized by Birzeit University Library

زياد، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، وأسعد الأسعد، والثانية لسميح القاسم، أحمد عبد المعطي حجازي، وأدونيس، وتعذر وصول محمود درويش للمشاركة في الأمسية، لانشغاله في ندوة الفكر العربي التي عقدت مؤخرا في العاصمة الفرنسية.

كما استمتع الجمهور بليلة فنية. قدمتها فرقة "كورال أطفال فلسطين"، حيث قدمت مجموعة من الأغنيات والأناشيد. وكان مسك الختام، مساء الثلاثاء ١٦/١، بليلة مصرية، قدمها الشاعر المصري فاروق شوشة، والفنانون: عزة بلبع، سهير المرشدي، محسنة توفيق، حمدي غيث، وعبد الرحمن أبو زهرة، وجدي العربي، والفنان عدلي.

ولعل أبرز ما كان، حفل التكريم الذي جرى في قاعة مسرح الجمهورية، حيث قام الزعيم الفلسطيني بتكريم المبدعين من أبناء شعبنا الفلسطيني - ٩٢ مبدعا - وقد شارك من المناطق المحتلة عدد من الكتاب والفنانين، كما تعذر وصول عدد آخر من المدعوين، أما الذين شاركوا، فهم الدكتور اسحق موسى الحسيني، فدوى طوقان، سليمان منصور، مصطفى الكرد، أسعد الأسعد.

وأما الذين كرموا من المناطق المحتلة، فهم الدكتور اسحق موسى الحسيني، فدوى طوقان، فاطمة المحب، محمد البطراوي، راجح السلفيتي. وأشير هنا الى أن التكريم طال عددا كبيرا من شهداء الثقافة، والذين رحلوا، أمثال، بندلي الجوزي، عبد الرحيم محمود، ابراهيم طوقان، أبو سلمى، اسكندر الخوري البيتجالي، خليل بيدس، كمال ناصر، غسان كنفاني، ناجي العلي، علي فوده، اميل توما، كلثوم عوده، وعشرات غيرهم. الأمر الذي يعتبر حدثا مهما في حياة الشعب الفلسطيني، اذ ان تكريم المبدعين من شعبنا، يعتبر بحد ذاته أمرا عظيما، يستحق التقدير والاحترام، بل ان هذا الحدث، يجب أن يتم تكريسه في حياتنا، واعادة صياغة علاقتنا بالثقافة والفنون الفلسطينية. باعتبارها أحد أهم الجوانب الانسانية، لشعب يناضل ويسعى جاهدا من أجل تحقيق هويته الوطنية، ونيل حقوقه القومية.

من هنا فان مواصلة الجهود من أجل اقامة فعاليات ثقافية فلسطينية في مواقع الشتات الفلسطيني، يعتبر أمرا هاما، يجب العمل على تنفيذه، ولا شك في أن جانبا مهما يقع على عاتق اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع، اذ يجب التفكير في اعادة احياء مهرجانات الثقافة الوطنية، والتي أقيم منها ثلاثة مهرجانات في السنوات السابقة.

ملاحظات لا بد منها

رغم أنني أثمن عاليا، أيام فلسطين الثقافية في القاهرة، والتي امتدت اسبوعا كاملا، ثم تلتها أيام سبعة أخرى، تضمنت كثيرا من الفعاليات الثقافية، بالاضافة الى معرض الكتاب والفنون التشكيلية، والتي تعتبر أحد الشواهد على أننا شعب يستحق الحياة، فالشعب الذي يكرم مبدعيه، هو شعب جدير بالاحترام، والقيادة التي تكرم أبناءها المبدعين، هي أيضا قيادة جديرة بالتقدير والاحترام الكبير، الا أن ذلك، يجب أن لا يمنعنا من ابداء بعض الملاحظات التي قد تفيد في مستقبل عملنا الثقافي وأهمها:

- لم تعط الأرض المحتلة حيزا لائقا في المهرجان، اذ كان من الممكن، أن يتم اعداد بعض الأبحاث والدراسات الأدبية والثقافية المتعلقة بالحياة الثقافية والفنية تحت الاحتلال.

Digitized by Birzeit University Library

- كانت الانتفاضة مغيبة عن أيام المهرجان، واذا قدمت بعض الفعاليات فهي لم تتعد الهوامش والاشارات.

- حان الوقت، لاعادةالنظر في تكريس الشخصية في حياتنا، سواء السياسية منها أم الثقافية، اذ لا يزال الحديث والاهتمام في حياتنا الثقافية، يدور حول نفس الأسماء .. محمود درويش، سميح القاسم، اميل حبيبي، .. الخ، الى حد يبدو وكأن الساحة الثقافية تخلو من غير هؤلاء. صحيح أن هذه الأسماء تحتل مكانة مرموقة في أدبنا الفلسطيني والعربي، لكن اختزال الحركة الثقافية والأدبية في هذه الأسماء، ينتقص من حقها كثيرا، خصوصا، وأن الاحتفاء الشخصي يغلب في كثير من الأحيان، على الاحتفاء بأعمالهم. والمطلوب برأيي، النظر الى الحركة نفسها، أكثر من التركيز على رموزها، فلدينا الآن حركة أدبية فتية وعفية، يسهم في اغنائها عشرات الأسماء التي تقدم كل يوم، دليلا على نماء وتطور حركتنا الأدبية، وقد استرعى انتباهي بحث قدمه الصديق الدكتور حسام الخطيب عن الرواية الفلسطينية - سوف ينشر في مجلة الكاتب - رصد خمسا وثلاثين رواية فلسطينية، صدرت خلال السنوات الخمس الأخيرة، الأمر الذي يؤكد غنى هذه الحركة وزخمها.

- كان على القائمين على المهرجان، أن لا يتركوا أمر الدعوات للاتحاد العام للفنانين العرب، وتأكيد وصول الدعوات الى مختلف الكتاب والفنانين والمثقفين المصريين، اذ ان هناك عددا كبيرا من هؤلاء لم يحضروا المهرجان، بسبب علاقاتهم السيئة مع الاتحاد العام للفنانين العرب، ورئيسه سعد الدين وهبه، على الرغم من تعاطفهم الكبير، ومواقفهم الواضحة تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية.

- الاهتمام بخارطة الدعوات الموجهة الى المناطق المحتلة، بحيث يتم توسيعها ودراستها بشكل أفضل.

لقد كان لانعقاد المهرجان في مصر، أهمية خاصة، ذلك ان مصر، عادت لتحتل مكان الصدارة في العالم العربي، واقامة المهرجان على أرض مصر، يحمل في طياته أبعادا كبيرة، وكان للحفاوة البالغة التي استقبل بها المهرجان معنى كبيرا، ومناسبة تستحق الاهتمام.

أخيرا، لا شك في أن أيام فلسطين الثقافية، كانت حدثا عظيما، وجهدا يستحق التقدير والاحترام، يجب أن يدفعنا الى تكريسه، واقامته في عواصم أخرى.

× × ×

تكريم المبدعين الفلسطينيين

في أيام فلسطين الثقافية بالقاهرة

بحضور المئات من المثقفين العرب، قلد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات اثنين وتسعين مبدعا بأوسمة وشهادات التكريم، وذلك مساء يوم السبت الموافق ١٩٩٠/١/١٣، على مسرح الجمهورية بالقاهرة، وألقى الزعيم الفلسطيني كلمة مؤثرة بهذه المناسبة أكد فيها على أهمية

Digitized by Birzeit University Library

الثقافة، وتكريس العمل من أجل الابداع والخلق الفني. تسلم الأوسمة وشهادات التكريم عن المبدعين الراحلين - ٧٠ مبدعا - أطفال فلسطين، من فرقة الكورال، والمبدعون المكرمون الراحلون هم:- الشاعر عبد الرحيم محمود، الفيلسوف والمفكر بندلي الجوزي، الشاعر الشهيد على فودة، الموسيقار سلفادور عرنيطة، السنمائي هاني جوهرية، المصور الشهيد عمر المختار، المصور الشهيد ابراهيم ناصر مطيع ابراهيم، الصحفي يوسف نصري نصر، الصحفي مخلص عمرو، الشاعر هايل عساقلة، الصحفية حنة شاهين (أم موسى)، الكاتب ماجد أبو شرارة، الشاعر عصام العباسي، الشاعر الشهيد يوسف الحسون، المؤرخ الدكتور اميل توما، الكاتب سمير درويش، الصحفي خضر الطيراوي، الصحفي تيسير الشهابي، المسرحي والاذاعي داود يعقوب، الرسام الشهيد خليل بدوي، الاذاعي محمد صالحي، الممثل بدر لاما، الشاعر مطلق عبد الخالق، الشاعر راشد حسين، الصحفي الشهيد حسن الفقيه، المفكر فايز الصايغ، الشاعر محمد خورشيد، الشاعر أبو سعيد الحطيني مصطفى البدوي، الشاعر نوح ابراهيم، الشاعر ابراهيم طوقان، الشاعر معين بسيسو، الشاعر محيي الدين الحاج عيسى، الشاعر أبو سلمى، المعرب والمربي عادل زعتر، الكاتب محمود سيف الدين الايراني، الفنان النحات حنا مسمار، الشاعر يوسف أرمني، الرسام ابراهيم غنام، القاص عز الدين القرم، الكاتب الشهيد غسان كنفاني، الكاتب خليل بيدس، الشاعر توفيق الصايغ، الشاعر محمود الأفغاني، الرسام عبد العزيز ابراهيم، المؤرخ عارف العارف، الرسام فيصل طاهر، الصحفي عيسى العيسى، الفنان محمد أبو صلاح الصحفي حنا مقبل، الشاعر برهوم العبوشي، الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي، الشاعر الشهيد وائل زعيتر، الصحفي رشاد عبد الحافظ، المؤرخ خيري حماد، المعلم خليل السكاكيني، المعلم نجاتي صدقي، الشاعر خليل رقطان، الشاعر عادل أديب أغا، المؤرخة والمعلمة كلثوم عودة، الكاتبة سميرة عزام، الشاعر كمال ناصر، المعلم اسعاف النشاشيبي، الكاتب أمين فارس ملحس، الناقد روحي الخالدي، المؤرخ محمد عزة دروزة، المؤرخ مصطفى مراد الدباغ، الفنان الشهيد ناجي العلي، الممثل يعقوب أبو غزالة، الموسيقار أوغاستين لاما، السينمائي ابراهيم لاما.

كما قلد الرئيس الفلسطيني المبدعين الأحياء الأوسمة والشهادات وهم:- توفيق زياد، حسن البحيري، راجح السلفيتي (لم يحضر)، سلمى الخضراء الجيوسي، فدوى طوقان، هارون هاشم رشيد، احسان عباس (لم يحضر)، اميل حبيبي، حسن الكرمي، جبرا ابراهيم جبرا، كامل السوافيري، محمد البطراوي (لم يحضر)، نصري الجوزي، اسماعيل شموط، جمال بدران، روحي خماشي، رياض البندك، صبري شريف (لم يحضر)، فاطمة محب (لم تحضر)، الخطاط محمد صيام (لم يحضر)، ابراهيم سكجها، يوسف خاشق. وألقى كلمة المكرمين الأديب جبرا ابراهيم جبرا.

جدير بالذكر أن الشاعر الفلسطيني أحمد دحبور كان عريف حفل التكريم، بحضور وزير الثقافة المصري، ورئيس اتحاد الفنانين العرب، سعد الدين وهبه وكذلك رئيس دائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية عضو اللجنة التنفيذية عبد الله حوراني.

Digitized by Birzeit University Library

مهام جديدة تتطلب تعزيز الوحدة

- منير سلام -

طرحت الأحداث الجارية في العالم وما تزال تطرح، وبالحاح شديد، مهام جديدة على عاتق الشعب الفلسطيني وقيادته الوطنية، ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية وسفاراتها وممثلياتها ومكاتبها في بلدان العالم أجمع، ضمن أوسع حملة تضامن عالمية مع الشعب الفلسطيني في دولة فلسطين المحتلة، تعمل على كسب المزيد من الرأي العام العالمي الرسمي والشعبي، لحق شعبنا في التحرر وتقرير مصيره بنفسه واقامة دولته الوطنية المستقلة.

لقد كشف التحرك السياسي الاسرائيلي والأمريكي هذه الأيام عن المأزق الذي وصل اليه، سواء من خلال زيارة آرنس لاسبانيا وعدم اقناع نظيره الاسباني بالموقف الاسرائيلي الرسمي القائم على خطة شامير، أو من خلال مباحثات مبارك - بيرس في القاهرة، وكذلك تصريح بيكر نفسه الذي عبر فيه عن يأسه من خطته ومواقف الأطراف المختلفة منها، واذا كان تصريح بيكر هذا يعني في حقيقة الأمر فشلا ذريعا مباشرا للسياسة الأمريكية تجاه حل مشكلة الشرق الأوسط وجوهرها القضية الفلسطينية، فانه بالمقابل يمكن اعتباره تهديدا ومحاولة ضغط جديدة على الطرف العربي وقيادة م. ت. ف بشأن تشكيل الوفد الفلسطيني للحوار الفلسطيني - الاسرائيلي المقترح. ولن يجدي هذا التهديد نفعاً، طالما بقيت خطته أو خطة غيره، متنكرة للاعتراف بمنظمة التحرير وحقها المطلق في تشكيل الوفد الفلسطيني.

وفي هذه الأجواء يتصارع الحزبان الكبيران في اسرائيل - الليكود والعمل - ويعاودا اعادة مسرحيتهما بشأن حل الحكومة وتحميل كل واحد منهما الآخر بتعثر "المسيرة السلمية". ويواجه حزب الليكود أيضا "صراعا" في داخله بين رئيسه شامير وبين ما أصبح يعرف بالتيار الآخر داخل الحزب (وزراء الأطواق - ليفي، شارون، موداعي). وفي محاولة منه للمزايدة على وزراء الأطواق، يبق شامير الحصوة، ويكشف عن جوهر موقفه وموقف حزبه، قائلا بأن "هجرة كبرى بحاجة لاسرائيل كبرى".

Digitized by Birzeit University Library

لقد أثار تصريح شامير هذا موجة واسعة من الغضب والاستنكار لدى الرأي العام العالمي وحتى لدى بعض الأوساط الاسرائيلية، واعتبرته بمثابة نسف وتحدي كبير لجهود السلام الحقيقية - على طريق عقد المؤتمر الدولي - التي تضمن حق كل شعوب المنطقة العيش بسلام واطمئنان في دولة مستقلة ذات سيادة وفي مقدمتهم الشعب الفلسطيني. وتحت ضغط الاستنكار والتنديد الشديدين، تراجع شامير ظاهرياً عن أقواله، ليعاود ويؤكد بأن اسرائيل يجب أن تكون قوية وموحدة، وهذا نفس ما توخاه وأراد أن يوضحه شامير بتصريحه حول اسرائيل الكبرى!.

لقد عبَّر الشعب الفلسطيني عن قلقه واستيائه وشعوره بالمرارة جراء الهجرة الواسعة لليهود من دول أوروبا الشرقية، وأعلن عن رفضه لتوطينهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما واعتبر مثل هذه الخطوة تشكل عائقا كبيرا لمسيرة السلام في الشرق الأوسط، وحذر من محاولات الحكومة الاسرائيلية لايقاع مأساة جديدة بالشعب الفلسطيني كما حدث في عام ١٩٤٨.

ان هذه الهجرة الواسعة والاستعداد المتزايد من قبل دول شرق أوروبا لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل، تلقى مهمات جديدة على عاتق قيادة الشعب الفلسطيني، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي لهذه البلدان. ان أخطر ما يمكن أن ينتج عن التطورات والتحولات في هذه البلدان، أن تعتبر شعوبها بأن القضية الفلسطينية ليست بالقضية العادلة، نظرًا لعدم ثقتها بحكوماتها السابقة التي كانت تؤكد على عدالة القضية الفلسطينية، ومن تجربة هذه الشعوب بأن حكوماتها كانت تكذب عليها حتى في تنفيذ الخطط الخمسية الاقتصادية، مما ولَّد انطباعاً بأن كل ما كانت تطرحه حكومات هذه البلدان ليس صحيحا وصادقا. ومن هنا يمكننا ملاحظة بعض التصرفات الشاذة والغريبة تجاه قضية شعبنا. ان هذا يعني لنا كشعب فلسطيني وقيادة فلسطينية، وفي المقام الأول، العمل على الوصول الى جماهير هذه البلدان، باعتماد الدبلوماسية الشعبية من خلال اقامة علاقات واسعة ووطيدة مع مختلف المنظمات الجماهيرية والشعبية في هذه البلدان، ناهيك عن العلاقة مع الأوساط والحكومات الرسمية التي ستتشكل بعد الانتخابات فيها، غير غافلين في نفس الوقت النشاط الصهيوني المعادي في هذه البلدان.

ان المهام الجديدة الملقاة على عاتق قيادة م. ت. ف تستدعي المزيد من الوحدة والتلاحم بين فصائلها الوطنية، وتستدعي أيضا الاصرار والتمسك بمبادرة السلام الفلسطينية، واذا كان لا بد من عقد دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني، فهي مطالبة بالبحث عن سبل وتعزيز هذه الوحدة وتطوير المبادرة، خاصة بعد اعلان بعض القوى الوطنية الفلسطينية الأخرى وتصريح الفاهوم بالرغبة في العودة الى صفوف م. ت. ف. ان تعزيز الوحدة وتوسيعها يجب أن تجري وفق الأسس السياسية التي أقرتها دورة الانتفاضة للمجلس الوطني. أما الدعوة لعقد مجلس وطني فلسطيني جديد من أجل مناقشة القرارات والبرنامج السياسي الذي طرحته دورة الانتفاضة والعودة عنه، فان هذا لن يساعد مطلقا، النضال الوطني الفلسطيني، ويشكل خطوة كبيرة الى الوراء، وتنكرا لشعارات وأهداف الانتفاضة نفسها. ويجعلنا أيضا كشعب صاحب قضية عادلة غير مفهومين أمام الرأي العام

Digitized by Birzeit University Library

العالمي، وهل يكون صحيحا أن نعلن اليوم عن وثيقة استقلال الدولة، وغدا نقول لا لهذه الوثيقة؟! فهل يمكن أن نعلن رفضنا لوثيقة اعلان الاستقلال في الوقت الذي تتزايد فيه عدد دول العالم وتعترف بمكاتب وممثليات م. ت. ف كسفارة دولة؟. وهل وُضِعَ البرنامج السياسي ومبادرة السلام الفلسطينية من أجل ارضاء الولايات المتحدة؟ أم أنه برنامج نضالي يحتاج الى العمل الجاد والشاق ومن أجل كسب المزيد من التأييد العالمي ويساهم أكثر فأكثر في تعبئة جماهير شعبنا؟ ألم يساهم هذا البرنامج - وكلنا شهود - على تطوير الانتفاضة ودعمها؟. لهذا كله فان التشكيك في صحة وصوابية هذا البرنامج يمكن أن يلحق ضررا كبيرا بالانتفاضة والقضية الفلسطينية برمتها، ويصبح الأمر البديهي أن تكون تصريحات بعض المسؤولين الفلسطينيين منسجمة مع القرارات والبرنامج السياسي، خاصة وأنهم شاركوا في أعمال الدورة التي أقرت هذا البرنامج وهذه القرارات.

انني أعتقد أننا اليوم نقف أمام تحديات كبيرة، تتطلب المزيد من الحرص على التحلي بالمسؤولية العالية تجاه شعبنا وقضيته العادلة، التي لا تحتمل العبث، للعمل على كسب أصدقاء جدد على المستوى الدولي.

ان احدى بواعث الأمل على أن الشعب الفلسطيني سيصل في نهاية المطاف الى حريته واستقلاله الوطني وحقه في تقرير مصيره، هي القرار السوفييتي بتغيير وضع ممثلية فلسطين الى درجة سفارة. وينعكس هذا القرار ليس فقط في أهميته ومدلوله ومؤشراته، وانما أيضا في توقيته، حيث جرى ذلك في الوقت الذي كان فيه الوزير الاسرائيلي عيزر وايزمن في موسكو. ويكشف هذا القرار الذي لاقى الترحاب لدى جميع فئات شعبنا وقواه الوطنية عن اصرار الاتحاد السوفييتي على مثابرته في ايجاد الحل العادل والدائم في المنطقة.

ان الخطوة السوفييتية يمكن أن تُفَسَّرَ على أنها رد على موجة الهجرة الواسعة لليهود السوفييت، ولكن حقيقة الأمر أن الاتحاد السوفييتي بهذه الخطوة، يريد أن يدفع بمسيرة السلام الى طريقها الصحيح، وهذا ما اتضح من ردود الفعل الغاضبة لكل من اسرائيل والولايات المتحدة على هذه الخطوة. ان مثابرة الاتحاد السوفييتي على اتباع سياسة توازن المصالح يعني بالضرورة أن يعاد بحث قضية الشرق الأوسط بجدية في لقاء شيفاردنادزه - بيكر في السابع من الشهر الحالي، وبهذا فقط يمكن أن يرد الاتحاد السوفييتي نفسه على القلق المشروع من الهجرة الكبيرة لليهود بلاده. وبهذا يمكن أيضا أن تتفتح آفاق واسعة للعمل على تكثيف الجهود الدولية السلمية الداعية لعقد المؤتمر الدولي للسلام، خاصة وأن الانتفاضة ومبادرة السلام الفلسطينية ما زالتا محافظتين على قوتهما وحيويتهما، وهذا كله يضع الولايات المتحدة واسرائيل في زاوية حرجة لا يمكن لهما الخروج منها الا بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبناء دولته الوطنية المستقلة.

Digitized by Birzeit University Library

القضية الفلسطينية
بين
"البيريسترويكا" والوفاق الدولي

- محمد عبد الرحيم -

لا يكاد يمر يوم دون أن تتعرض الصحافة المحلية والعربية والعالمية لموضوع العلاقات العربية السوفياتية عامة والعلاقات الفلسطينية السوفياتية خاصة. وقلما يصادف المرء طرحا موضوعيا لهذه المسالة الهامة، طرحا مبنيا على المعطيات والحقائق والتحليل العلمي اذ يغلب على هذه الطروحات الحساسية المفرطة والتخوف والتشكك والتشكيك والدعوة الى مراجعة النفس والتهويل من أخطار "البريسترويكا" والوفاق الدولي، وانعكاساتهما السلبية على العرب والقضية الفلسطينية، والندم على السنين الطويلة من عمر العلاقات العربية السوفياتية المميزة حيث وضع العرب - كما يزعم - كل بيضهم في السلة السوفياتية، وبذلك خسروا كل شيء وتصوير الأمر وكأن الساحة قد خلت لاسرائيل والولايات المتحدة لتتفرد بالشعب الفلسطيني وانتفاضته، بسبب انكفاء الاتحاد السوفياتي - كذا - وانشغاله بمشاغله ومشاكله الداخلية وبسبب التغيرات التي تجري في البلدان الاشتراكية، الأمر الذي يخل بالتوازن في المنطقة لصالح اسرائيل والولايات المتحدة.

نعم، ان هذه الطروحات تأتي في وقت تمر فيه القضية الفلسطينية بمراحلها الدقيقة والحرجة حيث يشتد الصراع من أجل استبعاد منظمة التحرير الفلسطينيه كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وتشتد الضغوط عليها للتنازل عن حقها في المشاركة المباشرة وحتى غير المباشرة في المفاوضات من أجل حل القضية وعن حقها في تعيين أعضاء الوفد الفلسطيني الى المفاوضات الأمر الذي سيقود بالتالي الى التنازل عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ودفع الفلسطينين الى حلول استسلامية تتنافي وتطلعات الشعب الفلسطيني.

ان الأمر يستلزم تناول عدد من جوانب السياسة السوفياتية المتعلقة بقضيتنا في ظل

Digitized by Birzeit University Library

البريسترويكا والوفاق الدولي لنرى كم هي غير علمية هذه الطروحات المتشائمة والمتشككة وكم هي ضارة في هذا الوقت خاصة.

في مقدمة هذه الجوانب من سياسة الاتحاد السوفياتي لا بد من تسليط الأضواء على الوزن الدولي للاتحاد السوفياتي، وهل تأثر وتراجع في ظل البريسترويكا وقل تأثيره على مجريات الأحداث العالمية السياسية والاقتصادية أم أن هذا الدور ترسخ أكثر فأكثر.

ان "البريسترويكا" أكثر ما ركزت على انفتاح الاتحاد السوفياتي على العالم اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ووضعت علاقاته الدولية في اطارها الصحيح بحيث يصبح قادرا أكثر فأكثر على التأثير على الأحداث العالمية. ان الاصلاحات الاقتصادية في الاتحاد السوفياتي لا تهدف الى رفع المستوى المعيشي للشعب السوفياتي فحسب بل الى تنامي قدراته الاقتصادية التي يملك كل مقوماتها من موارد معدنية وخامات وطاقة وكوادر علمية وايدي عاملة مدربة وأراضي واسعة ستحوله قريبا بفضل هذه الاصلاحات الى قوة اقتصادية جبارة تستطيع الاسهام الفعال في السوق العالمية وبالتالي التأثير على مجريات التطور الاقتصادي العالمي الأمر الذي ستستفيد منه الدول النامية التي تعاني من مشاكل التنمية والتي لا تستطيع الدول الاشتراكية في وضعها الحالي خلقها.

ان تصوير الأمور وكأن البريسترويكا تراجع من جانب الاتحاد السوفياتي للرأسمالية للحصول على أموالها تصور خاطيء. لقد أعلن الاتحاد السوفياتي مرارا وآخرها على لسان وزير الخارجية السوفياتي عند زيارته لدول السوق الأوروبية المشتركة أن الاتحاد السوفياتي لا تنقصه الرساميل وليس بحاجة الى رساميل الغرب فعنده من المدخرات والأموال ما يكفي لانطلاقته الاقتصادية، ان الاتحاد السوفياتي بحاجة لأن يكون جزءا من السوق العالمية وأن تزول الحواجز الاقتصادية بينه وبين دول العالم.

أما في المجال السياسي فجوهر البريسترويكا يعني انفتاح الاتحاد السوفياتي على العالم ومشاكله أكثر فأكثر. وسيكون تأثيره على أحداث العالم لا من منطلق المجابهة وسباق التسلح وتصعيد حدة التوتر الدولي بل من منطلق تجنيب البشرية حربا نووية جديدة واتاحة الفرصة أمامها للتطور السلمي دونما خوف من الرعب النووي. وبالطبع فان المشاكل الاقليمية تحظى وستحظى باهتمام زائد من جانب الاتحاد السوفياتي لأن البحث عن السلام العالمي مستحيل طالما هناك مشاكل اقليمية بدون حل، اذ أن هذه المشاكل ليست بمنأى عن الدول الكبرى ومصالحها. فاستقرار العلاقات بين الدول الكبرى يتطلب حل هذه القضايا ولو كانت بعيدة عن حدودها. وبالطبع فان قضية الشرق الأوسط وبشكل خاص القضية الفلسطينية تبقى احدى اسخن البؤر على الساحة الدولية وأعقد القضايا التي تتشابك فيها مصالح كل الدول الكبرى لما لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية بحكم موقعها المتوسط وثرواتها البترولية وتحكمها بوسائط النقل والمواصلات العالمية، ومهما تناست الدول الكبرى هذه القضية فانها أي القضية تطرح نفسها كقضية تعكر السلام العالمي ما دامت غير محلولة.

وهكذا فلا يوجد ما يبرر المخاوف من انكفاء الاتحاد السوفياتي وضعف تأثيره على أحداث منطقتنا وهو أمر أعترف به بوش في لقاء مالطه حيث اعترف بتزايد اهمية دور الاتحاد السوفياتي في حل قضية الشرق الأوسط.

Digitized by Birzeit University Library

الموقف الرسمي والموقف الشعبي السوفياتي من القضية الفلسطينية.

ان احدى الحساسيات التي طالما ظهرت وتظهر في صحافتنا العربية بروز بعض التيارات داخل الاتحاد السوفياتي التي تعارض الموقف الرسمي السوفياتي المؤيد للشعب الفلسطيني بشكل مطلق.والسؤال المطروح هل هناك خطر من تحول في الموقف السوفياتي؟

ان الموقف السوفياتي المؤيد للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، حقه في تقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة ليس موقفا تكتيكيا. انه موقف مبدأي نابع من طبيعة المجتمع الاشتراكي دولة العمال والفلاحين الأحرار من استغلال الانسان للانسان حيث تستند السياسة الخارجية السوفياتية الى مبدأ حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها،ويقع على عاتق هذه الدولة مد يد العون لكل شعوب الأرض لتمارس حقها في الحرية والاستقلال.ولهذا فان شعبنا يلاقي الدعم والتأييد من جانب الدولة السوفياتية منذ قرار التقسيم عام ١٩٤٧ الذي ينص على انشاء دولة فلسطينية الى جانب دولة يهودية على أرض فلسطين وما زال الاتحاد السوفياتي يؤيد حق شعبنا في تقرير المصير.

من الطبيعي أن تظهر أصوات في الاتحاد السوفياتي سواء في الصحافة ووسائل الاعلام أم في الشارع تشذ عن القاعدة العامة. ان غالبية الشعب السوفياتي يؤيد السياسة الخارجية للحكومة السوفياتية فيما يخص القضية الفلسطينية، ولكن بعض الفئات التي كانت موجودة أصلا قبل البريسترويكا ولكنها كانت عاجزة عن التعبير عن رأيها في وسائل الاعلام اخذت تجاهر برأيها مستغلة حرية الرأي والعلنية، ان هذه الفئات تنتقد السياسة السوفياتية وهذه الأصوات الناقدة في غالبيتها من أوساط الطائفة اليهودية،وتعلن صراحة عن انحيازها لاسرائيل وتنكر على الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير. ولكن ما دامت هذه الفئات مستفيدة من الغلاسنوست "العلنية" في التعبير عن رأيها،ألا يجدر بكتابنا وساستنا من فلسطينين وعرب التوجه مباشرة للشعب السوفياتي عبر وسائل اعلامه ووسائل اعلامنا للابقاء على التأييد وكسب المزيد منه لقضيتنا الفلسطينية الأمر الذي سيدعم الخط الرسمي السوفياتي المؤيد لنا.

الموقف السوفياتي من العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل

لنلق نظرة على الموقف السوفياتي من قضية العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ولمسألة الدعم الواضح لقضيتنا ولمجمل الأفتراءات على الموقف السوفياتي. ان الموقف السوفياتي من اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل واضح كل الوضوح.فالقرار السوفياتي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل كان بسبب العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ على الدول العربية واحتلال أراضيها وما دامت اسرائيل تحتل الأرض العربية فلن تعاد هذه العلاقات. هذا ما صرح ويصرح به دائما المسؤولون السوفيات. ومن أجل حلحلة الأمور ودفع مسيرة السلام عبَّر الاتحاد السوفياتي عن استعداده للبدء في اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل في حال قبول اسرائيل بالمؤتمر الدولي الذي تحضره جميع الأطراف بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية.

ان منتقدي السياسة السوفياتية لا يفوتون فرصة للتشكيك فيها فهم يصورون الانفتاح

Digitized by Birzeit University Library

الثقافي والاعلامي على اسرائيل وكأنه الخطوة الأولى لاعادة العلاقات الدبلوماسية معها،ولكن، ورغم أننا لا نملك الحق في وعظ الاتحاد السوفياتي بما يجب عمله،ورغم عدم منطقية هذه الخطوات في هذا الوقت بالذات والتي تتأتى في صورة مكافأه لسياسة شامير في قمع شعبنا وعلى عناده ضد المسيرة السلمية مع ذلك أليس في مصلحة قضيتنا الانفتاح على الجماهير الاسرائيلية واجراء الحوار معها من جانب السوفيات عن طريق اللقاءات الجماهيرية والوفود. ألا نحس نحن بفائدة مثل هذا الحوار بين الفلسطينين والاسرائيليين؟أعتقد أن مثل هذه اللقاءات ومثل هذا الانفتاح لن يكون ضررا على قضيتنا.

صحيح أن المطلع على الوضع في الاتحاد السوفياتي يلمس وجهات نظر متباينة حول قضية العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل والناس متفاوتون بين مؤيدين بشكل مطلق لقطع هذه العلاقات مع اسرائيل وبين مؤيدين لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ولكنهم يرون أن اعادة العلاقات مع اسرائيل يمكن أن تسهم في دفع مسيرة السلام للأمام بالتأثير المباشر على اسرائيل ودفعها نحو المفاوضات والمؤتمر الدولي. وبالطبع هناك القلة القليلة التي تجاهر بتأييدها المطلق لاسرائيل وتنكر حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وتمثل هذه الفئات اليمينية من اليهود وهذه الفئة كانت قائمة قبل البريسترويكا وليست من افرازاتها.

هجرة اليهود السوفيات في ظل البريسترويكا

ان هذه القضية ذريعة لكثير من الأقلام العربية للطعن في السياسة السوفياتية تجاه القضية الفلسطينية،ولتبرير الهجوم على الاتحاد السوفياتي واظهاره وكأنه خضع لابتزاز الدول الغربية وبشكل خاص للولايات المتحدة بسبب حاجته لرساميلها وخبراتها الاقتصادية،ويصور هذا الموقف وكأنه من ثمرات البريسترويكا. بالطبع ان المنتقدين العرب يتفاوتون بين أناس تنقصهم الرؤية الواضحة لهذا الموضوع وبين آخرين يستخدمون عن عمد هذه القضية لاثارة مخاوف الفلسطينين والعرب من نوايا السوفيات/والتشكيك بجدوى العلاقات معهم ووضعهم في درجة الولايات المتحدة في العداء لقضيتنا الفلسطينية/واظهار وكأن الولايات المتحدة هي الوحيدة القادرة على دفع مسيرة السلام لأن السوفيات لم يعودوا الحلفاء المخلصين للعرب، وهكذا يستهدفون ابعاد السوفيات عن التأثير على مسيرة الحلول السلمية وحرمان الشعب الفلسطيني من حليفه المخلص وبالطبع نذكر الآثار السلبية لابعاد السوفيات عام ١٩٤٧ عن قضيتنا مما سمح بتمرير المؤامرة ودفع القضية الى ما وصلت اليه من نهاية مأساوية، ولكن أين نحن من عام ١٩٤٧ ان أربعين عاما ونيف تفصلنا عنها فاذا لم نتعلم من أخطاء الماضي فانها مأساة حقيقية.

ان هجرة اليهود السوفيات غاية في التعقيد بالنسبة للاتحاد السوفياتي. لقد ثبت أن كل الاجراءات الرسمية والضغوط من السلطات السوفياتية للحد من الهجرة اليهودية لم تعط الفوائد المرجوة،لا بل بالعكس،فهذه الضغوط قوت التوجهات اليمينية المتطرفة في أوساط اليهود السوفيات وجعلت من دعاة الهجرة و"حق العودة" الذين تنقصهم الوطنية والاخلاص لوطنهم السوفياتي، جعلت منهم ابطالا في نظر أوساط واسعة في الغرب، كما أن الهجرة اليهودية كانت

Digitized by Birzeit University Library

تستغل من الدوائر الغربية للطعن في السياسة السوفياتية واظهارها بمظهر المنافية لحقوق الانسان مما كان يلحق الضرر بالأحزاب العمالية والمؤسسات الديموقراطية والتقدمية في البلدان الرأسمالية.

ومن المهم ملاحظة أن الاتحاد السوفياتي منح حق الهجرة لجميع أبناء القوميات عنده ومن غير المنطقي حرمان اليهود فقط منه. والملاحظ أن الهجرة اليهودية خلال مرحلة البريسترويكا لم تزد كثيرا خاصة أولئك المهاجرون الذين يتوجهون الى اسرائيل. ان ما يدفع اليهود الىالهجرة بشكل أساسي ليس ولاؤهم لدولة اسرائيل انما تشدهم الثروة أكثر مما تشدهم "أرض الميعاد". ان الغالبية العظمى من المهاجرين تتوجه الى الولايات المتحدة ولكن حكومة الولايات المتحدة التي تتباكى على اليهود السوفيات وعلى حقوق الانسان تسد أبوابها في وجوههم لتجبرهم على تحويل مسيرتهم الى اسرائيل،لأن اسرائيل ليست قوة جذب بالنسبة ليهود العالم لأسباب اقتصادية تتمثل في الأزمة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي وهم ليسوا راغبين في زيادة جيش العاطلين عن العمل فيها.

والسؤال الذي يجب طرحه. ما دام الفلسطينيون والعرب يجرون الحوار والاتصالات مع ممثلي اليهود في الولايات المتحدة والبلدان الغربية،لماذا يتقاعسون عن اجراء الاتصالات مع يهودالاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى؟ لماذا يخلون الساحة لاسرائيل لتنفرد بهم وتفسل أدمغتهم؟ انه بالعمل المثابر والاتصالات المستمرة المباشرة وغير المباشرة يمكن كسب التأييد في اوساط واسعة من يهود الاتحاد السوفياتي للقضية الفلسطينية.

أما بالنسبة لمستقبل الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي فاعتقد أن النجاحات الاقتصادية التي ستتحقق في الاتحاد السوفياتي ستحد من الهجرة اليهودية الى درجة كبيرة، كما أن التقدم في المسيرة السلمية لحل القضية الفلسطينية ستؤثر كثيرا على أعداد المهاجرين اليهود الى اسرائيل.

الوفاق الدولي مناخ ملائم لحل القضية الفلسطينية

يثير المتشككون في السياسة السوفياتية مسألة الوفاق الدولي وتأثيره السلبي على القضية الفلسطينية، تارة بحجة أن الوفاق يصنع في أولوياته قضايا أكثر أهمية بالنسبة للدول الكبرى مثل سباق التسلح ونزع السلاح وتدمير الاسلحة النووية والحفاظ على البيئة مما يضع القضايا الاقليمية وخاصة القضية الفلسطينية في الظل، وتارة بحجة أن الوفاق الدولي اتفاق بين الكبار على حساب الصغار.

ان مثل هذه الأقاويل لا تتفق مع الحقيقة، فالوفاق الدولي ينطلق أصلا من مصلحة البشرية كلها. انه حتمية فرضها مستوى التطور العلمي والتكنولوجي وتضخم الترسانة النووية التي أصبحت تهدد البشرية بالفناء،الأمر الذي يحتم علىالبشر مهما كانت عقائدهم السياسية ومفاهيمهم الدينية وانتماءاتهم الاجتماعية أن يتحاشوا هذا الفناء المحقق. لقد ولى الزمان الذي كانت فيه الحرب وسباق التسلح وسيلة لحل الخلافات أو فرض سيطرة طرف على آخر، وقد آن الأوان لوقف سباق التسلح والتوقف عن انتاج الأسلحة النووية والكيماوية وتدمير المخزون منها والعمل على بناء مجتمع دولي قائم على التعاون وتبادل الخبرات في ميادين الاقتصاد والعلوم

Digitized by Birzeit University Library

والفنون والآداب، ومقاومة الأوبئة والكوارث الطبيعية ونبذ القوة كوسيلة لحل الخلافات الموجودة والتي قد توجد في المستقبل.

ان الوفاق الدولي يخلق مناخا ملائما بعيدا عن ضغوط الحرب الباردة ومصالح التكتلات والأحلاف العسكرية لحل مشاكل شعوب العالم حتى المستعصية منها. ان الوفاق الدولي يسقط ذرائع الدول الاستعمارية للتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب وخلق بؤر التوتر العالمية واشعال الحروب المحلية وبالتالي فلا مناص من التعاون في حل المشاكل الاقليمية. صحيح أن سياسة الوفاق الدولي ليست حتى الآن سوى المناخ الملائم للحلول السلمية للقضايا الاقليمية، اذ ما زال يعترض الوفاق وحل هذه القضايا الاقليمية العقبات التي تثيرها الدوائر العدوانية التي لا تريد للوفاق الدولي أن يترشح لأنه يتعارض ومصالحها،وما زالت هواجس الهيمنة على العالم تطغى على تفكيرها. فنحن أمام نجاح في حل مشكلة ناميبيا ولكننا نرى الولايات المتحدة التي أعلنت رسميا عن وقف الحرب الباردة لم تتخل في سياستها عن روح الحرب الباردة عند معالجة القضية الفلسطينية والقضية الأفغانية والكمبودية وقضية بلدان أمريكا الوسطى ولا تتورع عن القيام بالمغامرات العسكرية المتهورة كما حصل في تدخلها في بنما.ولكن هذه السياسة تلاقي شجب كل دول العالم بما فيها حليفات الولايات المتحدة وتزيد من عزلة قادة الولايات المتحدة الذين خالفوا قرارات قمة مالطه قبل أن يجف حبرها.

ان ما ثبت استحالة تحقيقه بالقوة بين الدول الكبرى ينسحب على الدول الصغرى أيضا. فالقوة وسباق التسلح بين الدول الصغرى عملية لا نهاية لها وكل حرب تمهد الطريق لحرب جديدة وسباق التسلح يبتلع ثروات الشعوب خاصة في الدول النامية،كما أن الخلافات بين الدول الصغرى وثيقة الارتباط بالدول الكبرى الممول بالسلاح والعتاد والخبرة العسكرية وحتى الممون بالمواد الغذائية،وما دامت الدول الكبرى متفقة على الوفاق الدولي ونبذ الحروب فانها بالضرورة ستتدخل في الخلافات والقضايا المحلية والاقليمية كي يكون الوفاق حقيقيا وأكيدا. ان حل الخلافات والمشاكل الاقليمية لن يكون على حساب طرف ضد الطرف الآخر،على حساب القوي ضد الضعيف،بل سيأخذ بعين الاعتبار مصالح الاطراف المتصارعة وهو ما يسمى بسياسة "توازن المصالح" التي أصبحت أساس حل القضايا الاقليمية وهذا بالطبع ينطبق على القضية الفلسطينية اذ أن الحل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بنظر الاعتبار.

ان الاتحاد السوفياتي في ظل سياسة الوفاق الدولي لم يضعف اهتمامه بالقضية الفلسطينية، فرغم ان قمة مالطه قمة غير رسمية الا أن قضية الشرق الأوسط طرحت على طاولة المفاوضات وأخذت وقتا طويلا من محادثات بوش غورباتشوف،ورغم عدم الاتفاق في وجهات النظر الا أن الاتحاد السوفياتي فرض اعتراف الولايات المتحدة بضرورة ان الاتحاد السوفياتي ما زال ينظر الى الصراع العربي الاسرائيلي كما في السابق لا كصراع على حدود، بل صراع على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وانشاء دولته الوطنية المستقلة. وقد كان الاتحاد السوفياتي من أوائل الدول التي اعترفت بالدولة الفلسطينية عام ١٩٨٨. كما أن الاتحاد السوفياتي لا يمكن أن يتخلى عن قضية مبدأية،أي دور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وحقها في المشاركة في جميع مراحل المفاوضات وحقها وحدها في تعيين أعضاء

Digitized by Birzeit University Library

الوفد الفلسطيني. لقد كان الاتحاد السوفياتي وما زال ينصح منظمة التحرير بامكانية ابداء المرونة الا في قضية التمثيل وقضية الدولة الفلسطينية.

ان الاتحاد السوفياتي كما يعلن ممثلوه على جميع المستويات ما زال يرى أن المؤتمر الدولي هو الآلية الأصلح للمفاوضات،وهو يرى أن كل المبادرات مهما كانت نقاطا خمس أو عشر أو انتخابات يجب أن تكون جزء من الحل الشامل وأن تؤدي الى المؤتمر الدولي.

انه لأمر طبيعي أن تبرز بعض الفروق في وجهات النظر بين الأصدقاء والحلفاء. انه منطق الأشياء فحتى الانسان بينه وبين نفسه يبرز التناقض، فالتناقض ليس بالأمر المخيف ما دام يقوم على أرضية الوحدة والتحالف. فبالحوار وتبادل وجهات النظر يمكن تقويم الأشياء والوصول الى تمتين الوحدة والتحالف. ان الساحة الفلسطينة مليئة بالتناقضات وفي داخل منظمة التحرير تتناقض وجهات نظر الفصائل المكونة لها ولكن النضال مستمر. وحتى لو برزت بعض التناقضات والاختلافات في وجهات النظر الفلسطينية والعربية السوفياتية،فيجب أن تبقى خلافات هامشية ولا يجب دفع الأمور الى الابتعاد عن الاتحاد السوفياتي. أن عدونا معني جدا بخلق شرخ في العلاقات العربية السوفياتية وبشكل خاص العلاقات الفلسطينية السوفياتية ليحرمنا من حليفنا الاستراتيجي الذي بوزنه وثقله الدولي يستطيع دفع مسيرة السلام على نحو يتفق ومصالح وتطلعات شعبنا واحقاق حقوقه الوطنية.

عرفات يرحب بالقرار السوفياتي

رفع التمثيل الدبلوماسي مع فلسطين

تونس - أعرب الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عن ترحيب الشعب والقيادة الفلسطينية وجميع الشعوب المحبة للحرية والعدالة والسلام في العالم بقرار الاتحاد السوفياتي برفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني الى مستوى سفارة.

وأكد عرفات في رسالة بعث بها يوم ١/١٣ الى الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف وأذاعتها وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" ان هذا القرار الشجاع يجسد مجددا الدعم الثابت والمبدئي الذي يقفه الاتحاد السوفياتي والصديق الى جانب الشعب الفلسطيني.

وقال ان هذا القرار وتبادل السفراء بين دولة فلسطين والاتحاد السوفياتي يعكس ايضا متانة روابط الصداقة والتضامن المشترك بين الدولتين لما فيه مصلحة شعوبهما في التقدم والازدهار ولما فيه مصلحة تدعيم السلام العادل في المنطقة وتثبيت ركائز الأمن والسلم الدوليين.

وأضاف الرئيس عرفات في رسالته أن هذه الخطوة السوفياتية السياسية والدبلوماسية الهامة تأتي لتعكس صحة منطلقات سياسة الرئيس غورباتشوف وخاصة اعادة هيكلة الدولة وبنائها ولتؤكد مرة أخرى أهمية مبادرة السلام الفلسطينية.

Digitized by Birzeit University Library

البيريسترويكا والتضامن الأممي

- فؤاد قسيس -

أخذت تتكاثر، في الآونة الأخيرة، ملاحظات أوساط وطنية وتقدمية فلسطينية، تعبر عن موقف متشكك من مواصلة الاتحاد السوفياتي لواجباته الأممية، وعدم الرضى عن طريقة أداء هذه الواجبات ومستواها. وقد أمكن البدء في سماع مثل هذه التعليقات، منذ أن بدأ الاتحاد السوفياتي في تطبيق فلسفة السياسة الخارجية الجديدة الذي استوجب اعلانه عن خطأ التدخل العسكري في أفغانستان، وقراره بسحب قواته العسكرية منها، وفقا لاتفاقية جنيف التي نفذها الاتحاد السوفياتي، في حين خرقتها الأوساط العسكرية الباكستانية والادارة الأميركية التي واصلت دعمها للمتطرفين الأفغان الرافضين لقيام حكومة مصالحة وطنية.

وتزايدت هذه التعليقات الناقدة على ضوء الموقف السوفياتي من التطورات في بولونيا، حيث بدا بوضوح عزم الاتحاد السوفياتي على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبولونيا التي تزعمت نقابة تضامن الحكم فيها وفقد حزب العمال البولوني الموحد زعامته للجماهير. وانسحب الأمر نفسه على مجريات الأمور في هنغاريا. كما تفاقم النقد جراء المظاهر السلبية لبعض قضايا القوميات في الاتحاد السوفياتي، وما يقال عنه ارتفاع شعار انفصال هذه الجمهورية أو تلك عن اتحاد الجمهوريات السوفياتية، أو شعار انفصال شيوعيي هذه الجمهورية أو تلك عن الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي.

وانطلقت أصوات تشكيك في موقف الاتحاد السوفياتي المبدئي من قضية الشرق الأوسط والحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني، وكذلك العلاقات السورية - السوفياتية .. الخ. وأخذنا نسمع تعليقات مثل: الى أين ستصل اجراءات البريسترويكا وقيادة غورباتشوف ورفاقه للاتحاد السوفياتي؟ وتعقيبا على اجراءات حرية السفر والهجرة من الاتحاد السوفياتي، والتي لم تستن هجرة يهود الاتحاد السوفياتي للخارج، تعالت أصوات اتهام الاتحاد السوفياتي بتقديم التنازلات أمام المطالب الأميركية. ووصل الأمر حد وصف المبادرات السوفياتية المتعلقة بسحب أعداد من جيوشه المتواجدة في أوروبا من طرف واحد، بأنها "اتجاه واحد للسير". بمعنى أن

Digitized by Birzeit University Library

الاتحاد السوفياتي يقدم التنازلات من طرف واحد للولايات المتحدة الأميركية التي تحافظ على مواقعها. كما جرى اتهام الاتحاد السوفياتي بالتخلي عن واجباته الأممية تجاه حركة التحرر الوطني العالمية. وفي مجال تحرك علاقات الاتحاد السوفياتي باسرائيل، والتي تتم، حتى الآن، على المستوى الثقافي والتجاري والاقتصادي، جرى التعبير عن العتاب ومشاعر الألم، لزيارة فنانين وكتاب سوفيات لاسرائيل، لم يسعوا، وفق رأي بعض التقدميين، للاتصال بزملاء لهم في الدولة الفلسطينية المحتلة لمعرفة معاناتهم، ولم يسألوا عن زملاء لهم في المعتقلات الاسرائيلية. وتطول قائمة الملاحظات والانتقادات التي تتعرض أحيانا لفسح مجال الكتابة لهذا أو ذاك من الكتاب والمعلقين السياسيين والفنانين السوفيات، معبرين فيها عن وجهات نظر تروق لنا حيال اسرائيل. وجرى، احيانا، تقييم سريع، في بعض الصحف، للمردود السلبي الذي تتركه التطورات في أوروبا الشرقية، على نضال شعبنا وعلى قضيتنا.

لست هنا في موقف الذي يتصدى لكل هذه الملاحظات والانتقادات، لغرض الدفاع عن كل ما يكتب أو يمارس أو يصرح به في داخل الاتحاد السوفياتي أو على صعيد علاقاته الخارجية. فالادبيات السوفياتية، ومسؤولون سياسيون، وكتاب وباحثون سوفيات، وتطبيقا لنهج اعادة البناء وما رتبه من تطبيقات المكاشفة والديموقراطية الاشتراكية وفلسفة السياسة الخارجية الجديدة، يعترفون أن الاتحاد السوفياتي ليس بالضرورة الأقرب للحقيقة. ويمكن تفسير ذلك بان تصورات الحزب الشيوعي السوفياتي السابقة للاشتراكية، وتطبيقاته لتلك التصورات في مختلف المجالات، لم تكن بالضرورة هي الأصح أو المثال الأحسن. بل يصبح من المفهوم اعادة النظر في تصورات للتطبيق الاشتراكي، هوجمت وحرمت حرية التعبير عن نفسها، في حين، للاعتقاد بأنها خاطئة. وتم هذا الموقف ازاءها من وجهة نظر يعترف أصحابها الآن بأنها لم تكن أقرب للحقيقة. وبالتالي، فان احدى صيغ التضامن الأممي، والقائلة بأنه التماثل مع الاتحاد السوفياتي، كانت غير صحيحة، لأنها كانت تدعو للتماثل مع تصورات وتطبيقات يجري اعتراف المسؤولين عنها بأنها لم تكن أقرب للحقيقة. واذا كان هذا الاستنتاج يدل على تغيير في المفاهيم، فهو تغيير من الطبيعي أن يحدث، لأن الحقائق والمعارف الجديدة لا بد أن تترك تأثيرها على وعي الناس، الأمر الذي يؤثر بالتالي على قناعاتهم ومفاهيمهم التي تتطور بتطور المعارف البشرية.

ويظل السؤال قائما عن ما هي الرؤية للتضامن الأممي وأشكال التعبير عنه في ضوء كل المستجدات العالمية، والمستجدات في الدول الاشتراكية خاصة؟.

لقد عبر ماركس وانجلز عن كيفية رؤيتهما لهذا التضامن في البيان الشيوعي قبل أكثر من مئة وأربعين عاما، بدعوة عمال العالم الى الاتحاد. ويظل هذا صحيحا وقائما الآن، مع الأخذ بالاعتبار أن أولى مهمات هذا التضامن العمالي والتي أصبحت متداخلة مع سائر المهمات، تستهدف، في الظروف العالمية الراهنة، التصدي للأخطار التي تهدد بفناء البشرية وتدمير حضارتها. وفي أثناء ثورة اكتوبر وبعدها، عبر شغيلة العديد من بلدان العالم عن التضامن الأممي، بمؤازرتهم لهذه الثورة الفتية ومشاركتهم في النضال ضد حرب التدخل. كما عبرت الطبقة العاملة العالمية عن تضامنها مع شغيلة اسبانيا، بالمشاركة الفعلية، في الفيلق الأممي الذي أسهم في محاربة الفاشيين الاسبان بزعامة فرانكو. وعبرت جمهورية روسيا السوفياتية

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكية عن تضامنها الأممي، بتقديم المساعدة الفعلية المتنوعة للشعوب التي كانت ترزح تحت طغيان القيصرية، باعطائها حقها في تقرير مصيرها ومساعدتها في تجاوز التخلف وفي بعث ثقافتها الوطنية وبناء اقتصادها.

وعلى مر السنين، أقامت الطبقة العالمية مؤسساتها لهذا التضامن: الأممية الأولى في حياة ماركس وانجلز، والأممية الثانية في حياة انجلز، بعد وفاة ماركس، والأممية الثالثة، الشيوعية في حياة لينين، التي أخذت أسم الكومنترن وحلت في أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد اتسعت الوحدة التي نادى بها الشيوعيون، بعد ثورة اكتوبر، لتشمل الشغيلة في البلدان الرأسمالية وشعوب الدول الرازحة تحت الاستعمار وممارساته الاستغلالية والاضطهادية.

ومنذ تأسيسه، عبر الاتحاد السوفياتي عن تضامنه الأممي، بالمساعدات المتنوعة الأشكال التي قدمها للقوى العالمية المناضلة ضد القهر والاستغلال والاضطهاد بجميع أشكاله. وان قيام جمهوريات الديموقراطيات الشعبية في أوروبا الشرقية، وانتصار الشغيلة في الصين ومنغوليا وكوريا الشمالية والفيتنام وكوبا، وانتصارات العديد من شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية، وحصول هذا العدد الكبير من بلدان العالم على استقلالها السياسي، وسير العديد منها في طريق التطور الاقتصادي المستقل، وتصفية النظام الكولونيالي العالمي، لم يتم وفق رغبة الامبرياليين، بل بنضال الطبقات والشعوب المظلومة ضد الامبريالية، ووسط أجواء التضامن الأممي الذي كان محوره الاتحاد السوفياتي. فقد بذل الاتحاد السوفياتي، بالتعاون مع سائر الدول الاشتراكية، قصارى الجهد لمساعدة الشعوب في تصديها للعدوان، ومقاومتها استباحة الامبرياليين لأراضيها وبناء القواعد العسكرية العدوانية فوقها، ومن أجل بناء المؤسسات الانتاجية السلمية لهذه الشعوب. ولن تمحي من ذاكرة الشعوب العربية، المساعدات المختلفة وأشكال التضامن الأممي الأخرى التي قدمها الاتحاد السوفياتي وسائر قوى التقدم والسلام العالمية لمصر وسوريا والعراق واليمن ولبنان وفلسطين وسائر البلدان العربية، سواء في مكافحة العدوان، أو الحفاظ على استقلالها، أو في بناء السد العالي وسد الفرات والعديد من المصانع والمؤسسات الانتاجية السلمية، وفي تقوية قدراتها العسكرية الدفاعية.

ويبدو من الضروري الآن، تخصيص بعض الكلام عن التضامن السوفياتي مع شعبنا العربي الفلسطيني، وخاصة في ضوء بعض الشكوك غير الموضوعية التي يظهرها البعض. فقد أيد الاتحاد السوفياتي قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩، والقاضي بانهاء انتداب بريطانيا على فلسطين واخراج جيشها منها والغاء كل امتياز أجنبي عليها، واقامة دولتين ديموقراطيتين مستقلتين فيها، عربية ويهودية، وفقا لحق الأمم والشعوب في تقرير مصيرها. وكان ضمن الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة التي اشترطت قبول اسرائيل في عضويتها، بالتزام الأخيرة بالقرارات الدولية التي أدت الى قيامها. ووفقا لموقفه المبدئي الثابت، كان الاتحاد السوفياتي في مقدمة الدول التي اعترفت بقيام دولة اسرائيل، والدول التي أسهمت، بشكل فعال ومؤثر في التصدي لأعمال العدوان والتوسع في المنطقة. كما ظل يساند، بمختلف السبل، حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره. وكان في مقدمة الدول التي أيدت ودعمت رغبة هذا الشعب في اقامة دولته الوطنية المستقلة وحل قضية مشرديه حسب القرارات الدولية، منذ اللحظة الأولى التي عبر فيها شعبنا عن رغبته هذه والتزامه بالشرعية الدولية. وان اعتراف

Digitized by Birzeit University Library

الاتحاد السوفياتي بدولة اسرائيل، لا يتعارض مع موقفه المبدئي ولا مع التزامه بالقرارات الدولية، بل يشكل جزءا منها.

ويمارس الاتحاد السوفياتي الآن أرقى أشكال التضامن الأممي بدفاعه عن حق الشعوب في تأمين حياتها بعيدا عن شبح المواجهة النووية والكيماوية التي تهدد بابادتها والقضاء على حضاراتها. وهو يسعى مخلصا لاحلال التعاون محل المواجهة، ولتحقيق تعايش سلمي بين الأنظمة الاجتماعية المختلفة، بعيدا عن حافة الحرب. وهو يطرح معادلة "تقليص التسلح من أجل التنمية، ليساعد الدول النامية في التخلص من عبء الديون الذي يثقل كاهلها ويحول دون تقدمها. كما يسعى لحل النزاعات الاقليمية بالطرق السلمية، على قاعدة توازن المصالح. ولذلك تغدو محاولاته التأثير على الحكام المتعنتين لتغيير نمط تفكيرهم، ولمساعدتهم أو اجبارهم على اتخاذ مواقف يفضلون فيها الحوار عل المواجهة المسلحة، تغدو هذه المحاولات عطاء أمميا كبيرا. واذا نحن ننظر بمثل هذا المنظار، الى النشاطات السوفياتية الرسمية، سواء بالنسبة لصيغة حكومة المصالحة الوطنية في افغانستان، أو لصيغة حل سائر النزاعات الاقليمية سلميا، عن طريق أخذ مصالح طرفي النزاع بالاعتبار، او النضال لتأكيد النزعة الانسانية والديموقراطية للاشتراكية واحترامها للانسان وحقوقه وحرياته، بهذا المنظار، يظل الاتحاد السوفياتي بلد التضامن الأممي المتقدم.

وبعد، ان التقدميين المخلصين، اذ يعرفون أن لهم حقوقا يدافعون بقوة عن حق التمتع بها وممارستها، يدركون جيدا أن عليهم واجبات يسعون باخلاص للوفاء بها. واذ يقع ضمن حقوقهم السؤال عن كيفية أداء الآخرين لواجباتهم الأممية في التضامن معهم أو مع قضاياهم ونضالهم، يقع ضمن واجباتهم سؤالهم أنفسهم عن كيفية اضطلاعهم هم بواجب التضامن الأممي مع غيرهم.

وفي هذا المجال، لا بد من القول أن البيريستروبكا كانت تلبية لمطالب الشغيلة في الدول الاشتراكية، الساعين الى تطبيق ملكية الشعب لوسائل الانتاج، عن طريق تأمين الديموقراطية الضروري توفرها لمشاركتهم في تقرير قضاياهم الاقتصادية والسياسية، والساعين الى التطبيق الأحسن لمبدأ العدالة الاجتماعية الاشتراكية: "من كل حسب قدرته والى كل حسب عمله". ويتطلب هذا الأمر الحرب المستمرة على البيروقراطية والامتيازات غير القانونية. فالبرويستريكا، في التطبيق داخل الدول الاشتراكية، هي ثورة لتجديد الاشتراكية وتفجير طاقاتها الكامنة. وبغض النظر عما وصلت اليه وأنجزته في الداخل، فقد أنجزت الكثير في تطبيقات السياسة الخارجية، لصالح السلام وأمن الشعوب، وفي مساعدة هذه الشعوب على بناء حياتها في مناخ الانفراج.

ولذا يصبح من الواجب الأممي لكل تقدميي بلادنا وسائر المعبرين عن وفاء شعبنا، أن يعلنوا تضامنهم مع الثورة الجديدة التي بدأها شغيلة الاتحاد السوفياتي، وامتد لهيبها الى سائر أرجاء الدول الاشتراكية، وأن لا يترددوا في اعلان موقفهم الايجابي تجاه ما يجري من تعزيز لنهج الديموقراطية الاشتراكية في هذه الدول، وان يؤكدوا استنكارهم لمحاولات استغلال الحاقدين لهذه الأحداث، لتوجيه الطعنات للاشتراكية.

ان تضامننا مع نضالات الشغيلة في الاتحاد السوفياتي لتصحيح مسار حياتهم ولاعادة بنائها بشكل يمكنهم من تطبيق مباديء الاشتراكية بكل محتوياتها الانسانية والديموقراطية، هو علم لا يمكن أن نندم عليه في أي وقت نعيد فيه مراجعة أنفسنا. انه واجبنا تجاه شعوب قدمت الكثير

Digitized by Birzeit University Library

لشعبنا ولسائر الشعوب العربية الشقيقة، على حساب مستوى حياتها. ان هذه الشعوب الصديقة تعيش الآن صعوبات غير قليلة. ومن الواجب المسارعة الى كل تضامن ممكن معها يساعدها في تجاوز هذه الصعوبات، والتفكير في سبل تنمية هذا التضامن وزيادة ممارسته.

وان أي موقف حيادي أو انتظاري ازاء الهجمات التي تشن على الاتحاد السوفياتي والبيريسترويكا وما رافقها وترتب عليها، هو موقف غير مفهوم، ولا يساعد في تعزيز قناعات الشغيلة وطلائعهم بمستقبل الاشتراكية. وغدا غير مفهوم أبدا التعليق المثير للقلق من مثل: "لا ندري أين ستوصل قيادة غورباتشوف الاشتراكية"، أو "دعونا نتجنب الآن زج أنفسنا في بحث موضوع البريسترويكا"، أو "دعونا نتجنب تأييد مواقف قد يجري الاعتراف في المستقبل أنها خاطئة". فتكوين القناعات واتخاذ المواقف ازاء الأحداث، لا يمنح للطليعيين من ارجاء اتخاذ المواقف الى ما بعد نجاح أهداف هذه الأحداث.

بروفيسور في الجامعة العبرية:

شومرون يتخلى عن جنوده يوميا

ويرسلهم لمهام مستحيلة في الأراضي المحتلة

نقلت صحيفة "حداشوت" عن البوفيسور مارتين فان كرفلد وهو محاضر في التاريخ العسكري بالجامعة العبرية بالقدس قوله في محاضرة أمام طلبة قسم العلاقات الدولية "ليمحو الله اسم هذا القذر، الجبان، الغبي دان شومرون".

وأضاف كرفلد في سياق المحاضرة التي القاها يوم ١٩٩٠/١/١٤ وفي اطار تناوله لمهمة رئيس هيئة أركان الجيش الاسرائيلي بعهد الانتفاضة بأن شومرون "شخص يتخلى عن جنوده يوميا وطوال الوقت".

وقد تم تسجيل أقوال البروفيسور وتصويرها بآلات فيديو وذلك لاحتياجات داخلة للجامعة. وقال المحاضر بأنه شاهد عملية تصويره وقال: "أعلم بأن هذا الشريط سيستخدم ضدي في محكمة".

وقال الناطق بلسان الجامعة بأنه اذا قدمت شكوى ضد كرفلد فسيتم التحقيق بذلك.

ولم يتراجع البروفيسور يوم ١/١٤ عن أقواله لكنه قال بأنها غير دقيقة وأضاف: "الشخص الذي يرسل جنودا مساكين لمهام مستحيلة التحقيق في المناطق ويوجه لهم تعليمات غير واقعية لاطلاق النار ولا يوفر لهم الدعم الكافي فيما بعد يعتبر قذرا، ولا ينطبق هذا الامر فقط على شومرون، بل وايضا على القيادات الأمنية والعسكرية والمدنية".

والجدير بالذكر أنه تم قبل حوالي الشهر والنصف توبيخ محاضر آخر هو الدكتور موتي بري الذي استنكر الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر السادس والعشرين للانتفاضة

تنهي الانتفاضة الشعبية الفلسطينية هذه الأيام شهرها السادس والعشرين، لتدخل شهرها السابع والعشرين، محافظة على أهدافها في التحرر الوطني والاستقلال والديمقراطية.

وخلال هذه الفترة قدم شعبنا الفلسطيني عشرات الألوف من خيرة شبانه، شهداء وجرحى ومعتقلين. وخلال الشهر الماضي - الشهر السادس والعشرون للانتفاضة - سقط (١٥) شهيدا، وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى أواخر كانون ثاني ١٩٩٠ (٨١١) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر السادس والعشرين للانتفاضة.

الاثنين ١٩٩٠/١/١

- علاء الدين بدر الخطيب الكناني (١٧عاما) قرية الرام/ شمالي القدس. أصيب بعيار ناري اخترق ظهره واستشهد وهو في طريقه الى مستشفى المقاصد.

الخميس ١٩٩٠/١/٤

- محمد شحدة أبو الشعر (٢٠عاما) مخيم يبنا في رفح/ قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في رأسه يوم ١٩٨٩/١٢/٣٠

- محمد عبد الرازق عبد الرحمن عيد (٦٦عاما) قرية جينصافوط/ طولكرم. والشهيد هو رئيس المجلس في القرية، وكان الجنو قد اقتحموا منزله واقتادوه ليدلهم على منازل المطلوبين، وعندما رفض ذلك اقتيد الى مركز صوفين العسكري، حيث استشهد هناك.

الأحد ١٩٩٠/١/٧

- فادي خليل نقولا زبقلي (١٨عاما) بيت لحم. أصيب برصاصة قاتلة اخترقت رأسه يوم ١٩٨٩/١٢/٢٨.

- كمال محمد مصطفى أبو جزر (١٤عاما) قرية عتيل/ طولكرم. أصيب بعيار ناري في بطنه.

Digitized by Birzeit University Library

الاثنين ١٩٩٠/١/٨

- علي عطا نمر الريماوي (٢٣عاما) قرية بيت ريما/ رام الله. أصيب برصاصة قاتلة في عنقه.
- عبد القادر اسماعيل البرغوثي (١٤عاما) قرية بيت ريما/ رام الله. أصيب بعيار ناري في قلبه.

الأحد ١٩٩٠/١/١٤

- عبد الله محمد أحمد الرخاوي (٤٧عاما) مخيم رفح/ قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في ظهره يوم ١٩٨٩/١٢/٢٣.

الثلاثاء ١٩٩٠/١/١٦

- محمد علي جمهور (٣٣عاما) قرية بيت عنان/ رام الله. وجد مقتولا في مكان عمله بأحد مخابز "محنيه يهودا" واعتبرته اللجان الشعبية في قرى شمال القدس شهيدا.

الأربعاء ١٩٩٠/١/١٧

- يوسف حاتم جمال شوشه (١٩عاما) قرية حوسان/ بيت لحم. أصيب قبل يوم من استشهاده بعيارين ناريين في بطنه ورأسه.
- مريم سلامه أبو مشعل (٤٥عاما) رفح/ قطاع غزة. دهسها أحد المستوطنين بسيارته.

الأحد ١٩٩٠/١/٢١

- عادل فايز قدوحة (٢٤عاما) قرية شويكة/ طولكرم. اكتشفت جثته في قرية اكتابا/ طولكرم، بعد أن اختفى قبل أسبوع.

الثلاثاء ١٩٩٠/١/٢٣

- موسى عزت سعد (٢٥عاما) نابلس. أصيب بعدة عيارات نارية، اثر قيام قوات الجيش باقتحام منزله في البلدة القديمة.

السبت ١٩٩٠/١/٢٧

- عبد الله نبيل بدر الحلبيه (١٧عاما) قرية أبو ديس/ القدس. أصيب برصاصة قاتلة في قلبه.
- محمد داود بدر الحلبيه (٤٥عاما) قرية أبو ديس/ القدس. استشهد أثر محاولته انقاذ ابن أخيه، حيث أصيب بعيار ناري اخترق صدره وبطنه.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

المرأة ..
في الأسرة الفلسطينية

-- نجاح مناصرة --

(١)

مقدمة:

ليس بمقدور اي دارس لوضع المرأة في المجتمع الفلسطيني فهمه بطريقة موضوعية، دون أن يدرس ويفهم وضع المرأة في الأسرة الفلسطينية، لأنها الوحدة الأساسية للمجتمع، وفيها تبدأ عملية بناء شخصية المرأة الاجتماعية، وفيها تتلقى بدايات تنشئتها الاجتماعية ويتشكل وعيها وتكوينها النفسي.

وكما في مجتمعات أخرى يمكن ملاحظة أربعة أنواع من الأبنية الأسرية في المجتمع الفلسطيني.

١- الأسرة النووية المكونة من الوالدين وأولادهما غير المتزوجين وتتزايد في بعض المدن بالضفة الغربية ومخيماتها مع ملاحظة ندرتها في مخيمات قطاع غزة.

٢- الأسرة الممتدة المكونة من الجدين وأولادهما المتزوجين وغير المتزوجين وبناتهما غير المتزوجات والأحفاد، وتشكل وحدة اقتصادية واجتماعية متكاملة تخضع لادارة وسلطة الجد أو الأكبر سنا من الرجال.

٣- الأسرة الانتقالية التي تجمع بعض خواص الأسرة الممتدة والنووية وتتكون من الأسرة النووية بالاضافة الى أحد الأعمام أو العمات غير المتزوجين والجدين أو احدهما. وينتشر هذا النمط من البناء الاسري في دولة فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) في جميع المدن والقرى والمخيمات وبشكل خاص في قطاع غزة.

٤- الأسرة الكبرى (الحمولة) والمكونة من الأسر المنحدرة من نفس الجد بغض النظر عن موقع سكنها في القرية وتشمل الحمولة الأسر ما بين الأبناء والجد الخامس، وهذا النمط الأسري ما زال قائما، مع ملاحظة انحسار نفوذه الجماعي على المنتسبين للحمولة، حسب موقع الحمولة في مدينة أو مخيم أو قرية حيث نفوذها

Digitized by Birzeit University Library

في القرية أكثر مما هو في المخيم أو المدينة. وكذلك حسب موقع الحمولة على السلم الاقتصادي فاذا كانت غنية تكون روابطها ونفوذها الجماعي على أفرادها أقوى مما لو كانت فقيرة.

وبشكل عام تحكم علاقات الأسر بعضها ببعض والافراد داخل الأسرة الواحدة قوانين وأنظمة موروثة أبا عن جد ومن جيل لجيل بعضها ديني، والآخر على شكل تقاليد وقيم. وهي قوانين مختلفة ومتماثلة الى حد ما بين ما يطبق في المجتمع الفلسطيني والمجتمع العربي بشكل عام. وعلى سبيل المثال برغم اعتماد قوانين الدين الاسلامي في جميع البلدان العربية الا أن ترجمتها وتطبيقها، يختلف من دولة لأخرى فيما يتعلق بالقضية الواحدة. فقوانين الزواج مثلا التي تحدد العمر القانوني لزواج البنات تختلف من بلد الى الآخر ففي تونس تعتمدالمحاكم الرسمية سن ١٨ عاما للفتاة بينما تعتمدالمحاكم الشرعية الاسلامية في فلسطين سن ١٥ عاما لتزويجها.

كذلك الحال بالنسبة لتطبيق القوانين الأخرى كقوانين الميراث والعلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء أو الطلاق أو تطبيق القيم والتقاليد.

ويحدث ايضا أن يتعارض تطبيق القوانين، الحديثة والدينية، أو الدينية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى. فمثلا رغم ان الاسلام منح المرأة حق الميراث، نجد الأعراف الاجتماعية، القيم والتقاليد في المجتمع الريفي والمدني على حد سواء، مع فرق في الدرجة، حيث يبدو الأمر واضحا في الريف أكثر، فان المجتمع الفلسطيني يعيب عليها المطالبة بارثها من اخوتها الذكور. وفقط المرأة ذات الشخصية القوية هي التي تستطيع أن تمسك بحقها ولا تتنازل عنه.

وايضا نجد في مجتمعنا الفلسطيني امورا محظورة من الناحية الدينية بالنسبة للمرأة ولكنها مسموحة اجتماعيا. ففي حين يشترط الدين على المرأة ارتداء اللباس الديني الذي يغطي جسمها من الرأس حتى القدم باستثناء الوجه والكفين والقدمين فان المجتمع يتقبل ويسمح للمرأة الفلسطينية بارتداء اللباس المعاصر، فستان أو قميص مع تنورة أو قميص وبنطال ويكون شعر النساء مكشوفا ويلبسن الحلي ويتجملن بالمكياج.

وفي هذا الفصل لن اناقش التفاصيل المتعلقة بالأسرة الفلسطينية أو المجتمع بشكل عام. ولكني أود القاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بوضع وحياة المرأة في الأسرة الفلسطينية وأوجه نشاطها وأدوارها ومكانتها في مختلف مراحل حياتها.

طفولة المرأة الفلسطينية

قبل أن تولد البنت الفلسطينية يتوضح الفرق بينها وبين الولد لصالح الأخير. اذ تكون مشاعر الوالدين ورغبتهما وأمنيتهما أن ينجبا ولدا وليس بنتا. وولادة الولد تجلب سعادة أكبر للوالدين من ولادة البنت، خاصة اذا كان الولد بكرا، أو ولدا لأسرة قليلة الأولاد بالنسبة للبنات. فالولد يحمل اسم الأسرة ويضمن استمراريتها. وهو أمل المستقبل للوالدين واخوانه، حين يكبر الوالدان فيساعدهما اقتصاديا. فالبنت قد تبرز للوالدين الاهتمام والعناية بهما، ولكن لا يتوقع منها توفير وسد احتياجاتهما المعيشية الاقتصادية، هذا عدا عن تفضيل الولد بصفته وريثا للملك.

Digitized by Birzeit University Library

كذلك فان الأولاد الذكور لا يحتاجون من الوالدين متابعة واهتماما، خلال نموهم وتطورهم كما تحتاج البنت. ولتوضيح هذه الفكرة أكثر، فان الوالدين يبديان خوفا أقل واهتماما أقل بالولد، حين يخرج من البيت. في حين لو تأخرت البنت، بغض النظر عن الأسباب التي أدت الى التأخير، فان خروجها من البيت حتى ولو للعب مع اترابها في الحارة، يثير قلقا ومخاوف عليها.

ومنذ أن يصبح بمقدور البنت فهم ما يدور حولها، وعمرها لم يتجاوز عامين فقط، تبدأ الأسرة بتعليمها قوانين العيب. فيراقبون حركتها، طريقة جلوسها، لبسها، طريقتها في الضحك، أو مخاطبة اخوتها الذكور أو الكبار، بتركيز أكبر بكثير مما يوجه للولد. فالولد متوقع منه ومقبول في الأسرة أن يكون شقيا، يكسر أواني الزجاج، أو يعصي أوامر والديه، وخاصة والدته، أو ان يخرج للعب في الحارة، ويتحرك كيفما شاء. بعكس البنت، المتوقع منها الهدوء والطاعة، وأن تكون حلوة، وملابسها مرتبة ونظيفة ومؤدبة، لدرجة يسود الاعتقاد في المجتمع الفلسطيني أن تربية البنت أسهل كثيرا من تربية الولد. وأعتقد ان سبب هذا المفهوم الاجتماعي يعود الى نهج القمع الموجه نحو البنت، منذ لحظة ولادتها، داخل الأسرة. بالاضافة الى ما تنقله وتورثه الأم من اتجاهات ومشاعر دونية لأبنتها لترويضها وهي صغيرة.

احدى طالباتي التي تزوجت حديثا، عبرت عن مشاعرها وخوفها من انجاب الأطفال، فتمنت ان لا تنجب بناتا. وحين سألناها عن سبب امنيتها، اجابت: انها لا تحب البنات. وأنها لا تريد لابنتها مستقبلا حياة شبيهة بحياتها.

واني أعتقد أن مثل هذه السيدة ستنقل مشاعرها السلبية لابنتها في حالة انجابها بنتا.

وفي سن الطفولة حتى بدء الدورة الشهرية، يمكن ان نلاحظ بوضوح التدرج المتزايد في القمع الاجتماعي والنفسي للبنت. فكلما ازداد عمرها تزايد في المقابل مستوى الضغط الاجتماعي عليها.

ما أن تبلغ البنت الخامسة من عمرها، يتوقع منها داخل الأسرة، ويطلب منها القيام بمهمات البيت كلها، الجلي والتنظيف ورعاية اخوتها الصغار، وتحمل مسؤوليات البيت في غياب الأم. مسؤوليات مثل منع اخوتها أو اخواتها الصغار الخروج من البيت، أو تخريب اثاثه، وحمايته بعدم السماح لأحد بدخوله. وعليها تحضير الطعام لاخوتها الصغار، كاعداد الحليب للرضاعة. وعليها تبديل "فوط" الطفل، وبمقدور أي زائر لأي عيادة في مخيمات اللاجئين، ان يشاهد بناتا لا تتجاوز أعمارهن ٧ أو ٨ سنوات، وهن يحملن اخوتهن الأطفال، لمراجعة طبيب العيادة، أو بهدف التطعيم أو الوزن الشهري لهم.

بالنسبة لممارسة الألعاب، تمنع البنت من القيام بنفس العاب الأولاد. مثل تسلق السلاسل أو الاشجار أو ركوب الدراجات أو الألعاب التي تتطلب انفراج الساقين. ليس هذا وحسب، فعلى سبيل المثال حين كنت في الاعدادية بمخيم الدهيشة، في منتصف السبعينات، اتذكر حين قدم وجهاء المخيم والعديد من آباء الطالبات، لمقابلة مديرة المدرسة، وطلبوا منها منع ممارسة لعبة الجمباز في المدرسة. أو انهم يقدمون شكوى ضد معلمة الرياضة، لرئاسة وكالة الغوث المسؤولة عن المدرسة، وكانت اسباب خوفهم من اللعبة، هي نفس اسباب مخاوف الأسر الفلسطينية الهادفة لحماية عذرية البنات بالحفاظ على غشاء البكارة لديهن. وأود الاشارة هنا الى أن هذه الألعاب غير ممنوعة، بالنسبة للأولاد الذكور، بل يتم تشجيعهم على ممارستها. كما لا يطلب منهم تحمل

Digitized by Birzeit University Library

مسؤوليات مشابهة أو غيرها. واذا ما طلب الوالدان من الولد القيام بواجب ما، يترك امر الالتزام بتنفيذه لمزاجه، بل وتتم مسامحته وعدم لومه من قبل الأبوين. وبالطبع لا تطلب الأسر الفلسطينية من الولد القيام بمسؤوليات البيت لأن ذلك يشكل عيبا، فهي مسؤوليات للبنات فقط. وبهذا يتعزز أكثر فأكثر الاحساس بالتفوق لدى الأولاد، ويتعمق الاحساس بالدونية لدى البنات.

ويبدو التمييز بين الأولاد والبنات واضحا، ايضا، في الموقف من الزيارات الاجتماعية. اذ يصطحب الأبوان الأطفال الذكور في زياراتهم للجيران أو الأقارب أو الرحلات، بينما يبقون اخواتهم البنات في البيت بغض النظر عن العمر.

في أسرة صديقة لديها توأمان، ولد وبنت في الرابعة من العمر، الاخوة الكبار يصطحبون الولد الى السوق والسينما أو النادي وعند زيارة اصدقائهم، بينما تبقى البنت التوأم في البيت، وحين سألت الطفلة عن اسباب عدم ذهابها مع اخوتها اجابتني بحزن: لأنني بنت!

وبسهولة، يمكن ملاحظة ان الكبار يصطحبون الولد، حتى لو كانت اخته البنت أصغر سنا، اي ان العمر ليس هو المقياس بل الجنس.

ان ما يثير السخرية المرة هو ان هذه البنت التي لم تتم تربيتها وتنشئتها طوال سني حياتها، على تحمل المسؤولية وانكار الذات والتضحية، من اجل اخوتها والأسرة، وتجريعها الحرمان، من حقوقها المتساوية مع اخوتها الذكور، فان المجتمع بعد الزواج، وبرغم خبرتها مع المسؤولية، يسلبها حقها في تقرير دور قيادي أو مشارك في اسرتها، ويوكل المجتمع مهمة اداء هذاالدور للرجل، الذي ظل غريبا عن تحمل المسؤولية حتى أواخر مرحلة المراهقة.

المرأة في سن المراهقة

ما أن تبدأ الدورة الشهرية لدى البنت، حتى تبدأ بادراك الضغط الاجتماعي، وتحس به بوضوح، يحاصرها من كل الجهات. وايضا تلحظ تزايد هذا الضغط عما كان عليه حالها في مرحلة الطفولة، وخاصة في القرية. ففي المدينة، وان كانت البنت تدرك نفس الضغوط ولكن بدرجة اقل وضغوط مختلفة نوعا وقوة عن الضغوط الموجهة ضد البنت في القرية.

وعلى سبيل المثال: يمكن للبنت المراهقة في المدينة مواصلة تعليمها حتى الثالث الثانوي واحيانا حتى الجامعة دون ان يعيبها في ذلك شيء بينما في أغلبية القرى يكتفي أهل البنات بتعليمهن حتى الصف الثالث الاعدادي في احسن الأحوال. وفقط في حالة وجود مدرسة ثانوية في القرية يمكن لبعض البنات مواصلة مشوار التعليم الثانوي. اما اذا كانت المدرسة الثانوية في المدينة وبعيدة عن القرية فالأهل لا يسمحون لها بمواصلة التعليم بغض النظر عن المستوى الثقافي لأهل البنت عاليا أو متدنيا. ففي السنة الدراسية لعام ٨٦ - ١٩٨٧ كان يدرس حتى نهاية العام ٢٥ طالبة في الصف الثالث الاعدادي و ٢٠ طالبة في الصف الثاني الاعدادي في مدرسة بنات حوسان الاعدادية (غربي بيت لحم)، ومع بداية العام الدراسي ٨٧ - ١٩٨٨ كانت جميع البنات قد تم تزويجهن وأعمارهن تتراوح ما بين ١٤ - ١٥ عاما، وفقط ٣ طالبات من الصف الثاني الاعدادي لم يتزوجن في حينه ولكنهن تزوجن لاحقا ولم يواصلن مشوار التعليم.

Digitized by Birzeit University Library

وبالطبع فان موقف الأهل في المخيمات الفلسطينية أكثر ايجابية من القرية والى حد ما اكثر ايجابية من موقف أهل البنات في المدينة، وخاصة في المخيمات المحيطة بمدن رام الله، القدس، وبيت لحم التي صار بمقدور البنات فيها منذ منتصف السبعينات مواصلة تعليمهن الجامعي وليس الثانوي فقط.

ومهم التذكير، ان موقف أهل البنات في القرى الذين لا يسمحون لبناتهم المراهقات بالتوجه للمدينة من أجل الحصول على التعليم الثانوي ليس راجعا فقط لأن المدرسة بعيدة، بل لأسباب متعددة منها أنهم يخشون ان تقيم علاقات حب مع أحد الشباب اذا خرجت من اطار القرية. ويخشون من تعليمها لأن في ذلك قوة لها، يمكن ان تقود لمطالبة البنت بحريات أكبر، عدا عن أن أهل البنت يرون فيها عبئا على كاهلهم، فمتى طرق بابها زوج، فهذا امر مفضل على أي تعليم، لأنهم يتخلصون منها ، ويرون ان تعليمها ليس له قيمة، ما دامت ستتزوج، وتصبح أماوربة بيت. فالتعليم في أحسن الأحوال يسمحون لها به، ليس من أجل تأهيلها للعمل أو لممارسة نشاط اجتماعي مستقبلا، بل كنوع من زيادة العوامل الايجابية عندها التي تجذب من يطرق بابها للزواج.

وفي العشر سنوات الأخيرة فقط، أصبحنا نلاحظ في المخيم وبعض المدن سماح أهل البنات بمواصلة التعليم تحت ضغط التوقع: انه في حال عدم زواجها، يمكن ان تكمل تعليمها، لتعتمد على نفسها وتساهم في مصروف البيت. وخاصة اذا كان الأهل يرون ان ابنتهم ليست جميلة، بمقاييس الجمال المقبولة اجتماعيا. فتعليمها من جهة، يشجع الشبان للزواج منها لاعتبارات اقتصادية. وان لم يكن، يصبح على الأقل لديها سلاح تواجه به المستقبل.

وفي سن المراهقة، وهو السن الذي يبدأ فيه الصراع بين الأبناء والآباء، حول العادات والتقاليد والقيم السائدة والموقف منها، والقوانين الاجتماعية المسموحة والممنوعة في هذا السن، تكتسب البنات وعيا وثقافة بالاتصال مع مثيلاتهن في المدرسة خارج اطار الأسرة. فتبدأ الاختلافات حول أبسط الأشياء، حيث تنقل الأم رسالة السلطة الأبوية الى البنت. فمثلا، قد تثور الخلافات حول أغنية تبث في التلفزيون، فيحظر على البنت سماعها، خاصة اذا كانت الأغنية حول الحب والعشق، أو اذا ارفق المغني أو المغنية الأغنية بحركات جنسية، كما هو حال الاغاني الغربية.

وتبدأ الأسرة بتوجيه البنت المراهقة، كيف تضحك أو تتحدث، فممنوع عليها ان تقهقه أو تضحك بصوت عال، أو تنفعل، وتنشب خلافات حول الملابس. اذ لا يسمح لها بأن تلبس فستانا قصيرا، أو بلوزة بدون أكمام أو نصف كم، ويحظر عليها لبس الملابس الضيقة، أو التي يمكن ان تظهر تقاطيع جسد البنت. وبالطبع يستند الأهل في ذلك موقف الدين الاسلامي، والعادات والتقاليد. فالأسلام، مثلا، أمَرَ ان لا تبدي البنت أو المرأة عموما، زينتها الا لزوجها أو المحرمين عليها، كالأخوة أو الأب، وعليها أن تلبس لباسا يغطي جسدها باستثناء الوجه والكفين والقدمين.

وتمنع الأسرة البنت المراهقة من ابداء رأيها، واذا ما عبرت عنه لا يلقى الاحترام او الاهتمام، وعليها الانصياع لآراء الأسرة، أو لاخوتها أو الأكبر منها سنا كالأم.

وبمناسبة وبدون مناسبة، كجزء من تواصل الثقافة، عادة ما تروي الأم بشكل خاص لبناتها،

Digitized by Birzeit University Library

قصصا تحكي، في أغلب الأحيان من نسج الخيال. واحيانا مما كان يجري في الواقع قبل سنوات، قصص تدور حول بنات أتممن علاقات جنسية مع شبان، وحين علم بهن الأهل عاقبوهن بالقتل. وتأخذ الأمهات بسرد تفاصيل عمليات القتل المروعة، وسبب ذلك هو محاولة الأم المسبقة، تنبيه وتحذير بناتها المراهقات بالويل من مجرد التفكير باقامة علاقات حب مع أي شاب. وترى الأمهات في ذلك واجبا اجتماعيا ودينيا عليهن تأديته نحو بناتهن لحمايتهن من السقوط في حبائل الحب وللمحافظة على شرفهن.

ويمكن القول باطمئنان، ان عمليات القتل هذه للبنات اللواتي أتممن صلات جنسية مع شبان، قليلا ما يسمع بها أحد، وأصبحت نادرة الحدوث، وبقيت بعض مظاهرها في مواقع، بمنطقة قطاع غزة والخليل أو جنين. فقد انحسرت هذه الظاهرة خلال العقدين الماضيين الى حد كبير، واستعاض المجتمع عن القتل باستحداث بدائل وعقوبات جديدة منها: معاقبتهن بالضرب، وبعدم السماح لهن بالخروج من البيت، ويحظر عليهن زيارة الجيران أو التوجه للدكان أو لقضاء أي عمل آخر، ويعاقبن بعدم التحدث معهن أو يحاولون تزويجهن من الأشخاص الذين اقمن معهم العلاقات الجنسية، أو من أي رجل مهما كانت مواصفاته، كهل مثلا، ويراقبون حركاتهن، ويترسخ عدم الثقة بمثلهن من قبل أهلهن أو المجتمع، ويحدث ان تكون للبنت علاقة عاطفية غير جنسية تقتصر على تبادل الصور والرسائل مع شاب ما، وعندما يكتشف الأهل ذلك تمارس نفس العقوبات السالفة الذكر مع حرمانها من المدرسة وهو أكثر أمر يؤلمها ويسعوون في زواجها لأنهم يفقدون ثقتهم بها.

وجدير بالذكر هنا، ان البنت الفلسطينية المراهقة لا تحصل على أي نوع من الثقافة الجنسية من الأسرة، وجميع خبراتها تكتسبها بطرق خاصة، بواسطة الحديث مع زميلاتها اللواتي ليس حالهن بأفضل منها. وحتى لو حصلت البنت على بعض المعارف الجنسية، فعادة ما تكون مشوهة، وتدور في نفس الاطار، اطار المحافظة على العذرية والشرف. فمثلما تمنع البنات وهن في سن الطفولة من التعرف على اجسامهن، كذلك في فترة المراهقة محرم عليهن قراءة مجلات أو موضوعات جنسية او مشاهدة افلام وعرض بعض المشاهد الجنسية أو القبلات. ويمنعن من الأسئلة، لأن الأسئلة في هذا الموضوع تعتبر في التنشئة الاجتماعية المحلية عيبا.

ورغم ان البنات يشارفن على الزواج الا ان معظمهن لا يعرفن شيئا عن متطلبات الجنس في الزواج (سأوضح هذا الجانب لاحقا).

والأمر الخطير من الناحية النفسية، ان البنت الفلسطينية المراهقة تنفي مرحلة المراهقة، دون أن يلتفت أحد من الأسرة أو المجتمع الى معاناتها أو مشاكلها النفسية التي تواجهها اثناء تأقلمها مع العادات والتقاليد، التي عليها اكتسابها مع الضغوطات الاجتماعية المفروضة حولها، ولا أحد يهتم بمشاعرها بما تحب أو تكره، لا أحد يساعدها على فهم التغيرات الفكرية التي تحدث لديها، أو التغيرات الجسمية والنفسية التي تحدث لديها. ولهذا فهي تشعر بالعزلة والوحدة، ولو سألت أي بنت مراهقة من صديقاتها عن رأيها بأسرتها، لأجابت بأنها ساخطة ومغتاظة من أسرتها ومن المجتمع الذي لا يتفهم توقعاتها واهتماماتها وحاجاتها.

وبالرغم من كل ذلك تتوقع الأسرة والمجتمع من البنت المراهقة، في سن ١٦ عاما، ان تصبح امرأة ناضجة، هكذا فجأة، عليها ان تقوم بأعمال البيت: طبخ، تنظيف والعناية بالبيت، والصغار،

Digitized by Birzeit University Library

ومعرفة العادات والتقاليد وقوانين المجتمع، والتصرف بما هو مقبول اجتماعيا، في الزيارات أو المناسبات العامة، واذا ما تزوجت، يتوقع منها ان تكون امرأة كاملة، جنسيا وعاطفيا واجتماعيا، مع أنها لم تُعد مطلقا لذلك.

المرأة في الزواج

لدينا شكلان أساسيان لزواج البنت الفلسطينية:

اولا: الزواج التقليدي، وهو الشكل التقليدي وهو الشكل الأكثر انتشارا في مجتمعنا. فزوج البنت يختاره أهلها. وقد يكون أحد أقاربها: ابن العم أو الخال أو أحد شبان الحمولة أو أحد أبناء القرية أو المخيم وفي بعض الأحيان يكون الشاب من خارج اطار البيئة التي تعيشها البنت.

هذا النوع من الزواج يشترط عدم وجود اختلاط بين الجنسين، وكثيرا من الأحيان، لم يكن في استطاعة البنت أن ترى الشاب الا يوم الزواج، وكان عليها حينذاك أن تقبل به مهما كانت مواصفاته، سواء أكان قبيحا أم جميلا، يرق لها أو لا يروق، أعمى، أخرس، فقير، غبي، فالمهم أن أسرتها وافقت عليه، ولم يكن باستطاعتها رفض الزواج من الشاب الذي اختارته أسرتها، خاصة والدها وأخوتها.

رياح التغيير أحدثت آثارها على الأسرة، فجرت بعض التغيرات على هذا الشكل من الزواج مع بقاء الأمور الأساسية كما هي. فاليوم يتقدم أحد الشبان أو أهله لطلب يد البنت للزواج من أهلها بواسطة وسيط أو وسيطة يقوم الوسطاء بجس نبض الأهل الذين لا يعلنون رأيهم، فيقولون سنتشاور مع ابنتنا أي يأخذون رأيها بالشاب فان هي وافقت يخبرون الوسطاء بالأمر.

وان لم توافق يحاولون تبيان محاسن الشاب الايجابية، مهنته وعمله وأسرته واذا لم تقتنع لا يلزمونها بالزواج منه على عكس ما كان يحدث في السابق. هذا مع العلم بأن رفض الفتاة لا يسمح به لأكثر من مرة أو مرتين. ويقرر في هذه القضية عمر البنت فاذا كان عمرها أكبر من ٢٢ عاما لا يقبل أهل البنت رفضها ويعطون موافقتهم على العريس.

وفي أغلب الأحيان يكون العريس المتقدم للبنت من نفس البيئة، القرية أو المخيم، وبهذه الحالة تكون لدى البنت معلومات مسبقة عن طالبها للزواج، معلومات حصلت عليها من زميلاتها أو من أحاديث أخواتها عنه أو ما شابه. أما في المدينة فلا يعلن الأهل موافقتهم الا بعد أن يقوموا بعملية فحص للتعرف على عائلته ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية ومهنته ومستوى تعليمه وصفاته الشخصية.

المهم في الأمر ان تقدما قد طرأ من حيث سماح واستعداد أهل البنت لمشاورتها في زوج المستقبل واحترام رأيها. والسماح لها برؤية الشاب خلال الخطبة والخروج معه للتسوق برفقة أخوها أو أختها، وخوفا من حدوث أي تماس جنسي بين الخطيبين قبل الزواج، أصبح الأهل يلزمون العريس بعقد القران عند الخطبة كشرط لخروجهما معا أو انفرادهما معا في بيت والدها. بالطبع يلاحظ في المدينة والمخيم السماح للخطيبين بالخروج معا أكثر من القرية.

ثانيا: الزواج الحديث، الأقل انتشارا ويقتصر في بعض المدن وبعض المخيمات.

لقد قادت التطورات الاقتصادية والسياسية في فلسطين المحتلة وما رافقها من تدمير

Digitized by Birzeit University Library

للاقتصاد الزراعي والهجرة الواسعة من الريف للمدينة واعتماد نسبة أكبر من السكان في دخلهم على بيع عملهم والعمل بأجر في سوقي العمل المحلي والاسرائيلي، والأزمات الاقتصادية في اسرائيل التي انعكست على المستوى المعيشي للفلسطينيين وارتفاع مستوى الثقافة والتعليم في الضفة الغربية والقطاع اذ تم بناء مئات المدارس الثانوية للبنات في كثير من القرى، ووجود الجامعات بيت لحم، بيرزيت، النجاح، الخليل، وغزة وغيرها وتطور النضال الوطني الفلسطيني، كل ذلك قاد الى خروج الشابة الفلسطينية من البيت والتوجه الى أوجه النشاط الاجتماعي المختلفة عمل أو تعليم أو نشاط اجتماعي أو سياسي ومشاركتها الشاب الفلسطيني في كثير من الميادين، كالعمل في المصانع أو أعمال السكرتارية، سلك التمريض، الرعاية الخيرية، التعليم المدرسي والجامعي والمشاركة في الأعمال التدريسية في القرية والمشاركة في واجبات النضال ضد الاحتلال.

جميع ذلك قاد الى اختلاط بين الجنسين ووفر المناخ لتعارف الشابات والشبان خاصة في اجواء المخيم والمدينة، فيحدث ان تتعرف البنت على أحد الشبان في بيئتها مكان العمل أو التعليم أو أحد الجيران أو الأقارب فتنشأ بينهما قصة حب سرية يعجب كل منهما الآخر فيطلبها الشاب باتفاق معها من اهلها ويتم الزواج.

وقد يعترض الأهل على الزواج فيكون أمام البنت عدة خيارات أما أن تصمم على رأيها وتتمسك بحقها في اختيار عريسها مهما كان موقف الأسرة وعادة ما تصرح بذلك لأمها التي تنقل رسالتها الى والدها واخوتها أو تتحدث معهم مباشرة اذا ما حادثوها هم بذلك. وتستطيع اقناعهم فتتزوج، وخيار آخر أن تمارس الأسرة عليها ضغوطاتها الاجتماعية كحرمانها من التعليم الجامعي أو يخرجونها من علمها ويهددونها بعقوبات أخرى فتضطر للرضوخ والتنازل عن حبها وعريسها، تنهار احلامها وغالبا ما يتم تزويج مثل هؤلاء الفتيات بطريقة الزواج التقليدي من أي شاب.

ويلاحظ بأن الزواج الحديث ازداد في السنوات العشر الأخيرة وينتشر بشكل واضح في المدن والمخيمات بالضفة الغربية، وبدرجة قليلة جدا في قطاع غزة المحافظ. وقد أسهم العمل المشترك للشابات والشبان في صفوف الفصائل الوطنية الفلسطينية وفي سياق النضال الوطني في رفد هذا النوع من الزواج وتعزيزه.

ويمكنني القول أن ميل البنات للزواج الحديث أكثر جدية وايجابية من ميل الشبان، خاصة الشبان المثقفين أو المتعلمين. اذ يلاحظ من زيجات الشبان المتعلمين خريجي الجامعات ميلهم للزواج على الطريقة التقليدية من بنات صغيرات في السن، ويحبذ لديهم أن لا يكن متعلمات جامعات لا يملكن الخبرة، انهم لا يثقون بالبنت المتعلمة، صاحبة الخبرة والتجربة ولا يتزوجون من بنت عرف عنها أو قيل عنها ولو خطأ، بأنه كانت لها علاقات عاطفية مع الشبان.

ان الشبان يجسدون رأي وموقف المجتمع من المرأة والجنس، فالتي اقامت في حياتها الجامعية علاقة غرامية مع شاب نظر لها الشباب بأنها خرجت عن المقبول اجتماعيا على عكس آرائهم التي يعلنون عنها وتبدو مبهرجة ومزوقة، وموقفهم هذا، برأيي، أشبه ما يكون بالفصام الفكري الذي يجسد انواعا مختلفة من الفصام في السلوك الفلسطيني نحو المرأة. وأعتقد بأن ذلك يدل على ضبابية وعدم وضوح مرحلة التطور الحالية الجارية في فلسطين المحتلة.

لي صديق أعرفه متعلم تعليما جامعيا ومثقف ونشيط في الميدان السياسي تزوج من بنت

Digitized by Birzeit University Library

عمرها خمسة عشر عاما. وحين سألته عن سبب زواجه من هذه البنت اجابني أنه يريد أن يربيها على يديه وكما يشاء، ووصفها بأنها كالصفحة البيضاء، بريئة لم تعرف خبث المجتمع. وبالطبع يقصد بالخبث معرفتها بحقوقها، وأنها لم تعرف العلاقات العاطفية من قبل، هذا مع العلم أن هذا الصديق كان له بالجامعة صديقات عديدات أقام معهن صلات عاطفية، وأعرف مثله عشرات من الشبان زملائي في الجامعة الذين تزوجوا بعد تخرجهم من بنات قاصرات، وقليلون من المتعلمين يتزوجون بنات كبيرات في السن.

وفي حالتي الزواج التقليدي والزواج الحديث، أما أن يحضر "المأذون" "المصافح" لبيت العروس لعقد القران، أو أن يتجه العريسان الى المحكمة الشرعية لعقده، على أن تحضر العروس ووكيلها (الأب واذا كان غائبا فالأخ البالغ وان لم يكن لها أخ فعمها أو خالها وان لم يكن لها خال فالمختار) والزوج أو وكيله اذا كان دون سن الثامنة عشرة، أو كان غائبا.

وبالنسبة لتجهيزات العرس، فان كلا الزواجين التقليدي والحديث، يلزمان العريس بتحمل النفقات، والتي تشمل المهر المعجل، والمؤجل، والذهب والشروط الأخرى التي يطلبها أهل العروس، وهي عادة شروط تعكس تقاليد بيئة العروس المحلية، والتي تختلف عن شروط أهل عروس في منطقة أخرى.

حتى في حالات الزواج الحديث، فلم يتنازل الجميع عن كثير من عادات ومتطلبات الزواج، ولكن حدثت بعض التغيرات. فبدلا من أن يدفع مهرا من عدة آلاف من الدنانير الأردنية، صار أهل العروس يطلبون مهرا دينارا واحدا ومقابل ذلك يرفعون قيمة المهر المؤجل الذي يدفع في حالة الطلاق لعدة آلاف ويطلبون من الزوج بأن يتمم بدلا من المهر المعجل كل لوازم العرس. أما اذا كان العروسان على الطريقة الحديثة من سكان المدن أو المخيم، فيحدث أن تتعاون العروس والعريس على تجهيز بيتهما معا خاصة اذا كانت تعمل.

والملاحظ في اجراءات تجهيز بيت الزوجية، أتكال الزوجة على الزوج، فلا تشارك في مسؤولية تجهيز بيتها وكأن الأمر لا يعنيها، فيحدث أن يستدين الزوج مبالغ طائلة لتجهيز العرس، مما يعني أن الزوجة ستتحمل لاحقا بعد الزواج التبعات الاقتصادية الصعبة التي ستواجهها الأسرة الجديدة بسبب الديون التي تراكمت على الزوج، وكثير من النساء اللواتي تزوجن زواجا تقليديا يتعاملن مع متاعب الزوج وكأنها لا تخصهن، وعلى الزوج أن يبذل جهده لدفع كل المصاريف وسداد الديون. أما الزوجات على الطريقة الحديثة اللواتي أرهق أهلهن أزواجهن بالديون فيقضين وقتا طويلا في السنوات الأولى للزواج غاضبات على أهلهن ويوجهن اللوم لهم.

يتبع في العدد القادم

Digitized by Birzeit University Library

الحركة الوطنية الفلسطينية
قبل
تشكيل م. ت. ف.

- رمزي الأنصاري -

ان بداية بروز الحركة الوطنية الفلسطينية وانبثاقها عن حركة التحرر العربية في سوريا الكبرى انذاك (فلسطين، لبنان، سوريا) كانت خاضعة لعدة عوامل رئيسية أهمها، احتلال القوات البريطانية لفلسطين في أواسط أيار عام ١٩١٦ واصدارها لوعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧ الذي كان يقترح انشاء "وطن قومي لليهود" في فلسطين، اضافة لذلك ونتيجة للأطماع الفرنسية في سوريا ولبنان وتنفيذا لاتفاقية سايكس - بيكو التي عقدت عام ١٩١٦ بين بريطانية وفرنسا عام ١٩١٦ فقد احتلت الأخيرة لبنان وسوريا في تشرين الأول عام ١٩١٨.

ان هذه العوامل ساعدت على تشكيل الاتجاهات الاقليمية داخل حركة التحرر العربية في سوريا الكبرى، فقد عقد المؤتمر السوري الأول في الثاني من تموز عام ١٩١٩ وشارك فيه ممثلين من فلسطين ولبنان وسوريا، ودعا هذا المؤتمر الى "وحدة سوريا تجاوبا مع طموحات الأغلبية الساحقة للشعب السوري ومن أجل احباط المؤامرة الامبريالية الصهيونية على فلسطين" (١) ان تشكيل وتبلور الاتجاهات الاقليمية داخل حركة التحرر في سوريا الكبرى كان حافزا لعقد الوفد الفلسطيني في المؤتمر السوري العام، مؤتمرا خاصا به في دمشق بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٢٠، وقد أعلن هذا المؤتمر رفضه لوعد بلفور، ورفضه لانفصال فلسطين عن سوريا الكبرى.

في تموز عام ١٩٢٠ أعلن الانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا، كذلك الانتداب البريطاني على فلسطين والعراق، وتصاعد النضال التحرري العربي داخل كل بلد على حدة. وقد عبر عن هذا الأمر بوضوح المؤرخ الفلسطيني ساطع الحصري في كتابه الذي يصف فيه هذا الانقسام اذ كتب "الفلسطيني يرى في الصهيونية العدو الرئيسي له، والسوري يرى في الأطماع الفرنسية الخطر الأكبر على مصالح العرب، والعراقي يعلن عن ضرورة النضال ضد الانجليز" (٢).

هكذا تبلورت المقدمات لتأسيس الحركة القومية العربية الفلسطينية في ١٤ كانون ثاني عام ١٩٢٠ عقد القوميون الفلسطينيون مؤتمرهم الوطني في القاهرة وقد وصفوه بالمؤتمر

Digitized by Birzeit University Library

الثالث، اذ كان المؤتمر السوري العام هو الأول، ومؤتمر الوفد الفلسطيني كان الثاني. في المؤتمر الثالث رفض القوميون الفلسطينيون وعد بلفور، وطالب المؤتمرون بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين، وتشكيل حكومة وطنية في فلسطين تسعى الى الوحدة مع سوريا. وقد شارك في المؤتمر ممثلون عن كبار ملاكي الأراضي، والتجار. وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية برئاسة كاظم الحسيني الذي أصبح زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك الفترة.

فجر الشعب العربي الفلسطيني انتفاضته الشعبية الأولى في أعوام ١٩١٩ - ١٩٢٠ اذ اندلعت المظاهرات الشعبية في كافة انحاء فلسطين تحت شعار مقاومة التقسيم الامبريالي لسوريا الكبرى، وضد الاحتلال البريطاني ووعد بلفور المشؤوم. وتشكلت في معظم أنحاء المدن الفلسطينية الروابط الاسلامية والمسيحية التي أصدرت مذكرة مشتركة عبرت فيها عن استيائها للمخططات الامبريالية الصهيونية. وتحركت جحافل الجيش البريطاني لقمع هذه الانتفاضة، وتصاعدت العمليات العسكرية للمنظمات الصهيونية ضد السكان الفلسطينيين. في ذلك الوقت لم ترتبط قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية بعلاقة تنظيمية مع الجماهير الفلسطينية أو تحاول تعبئتها. وفي هذا المجال تجلى بوضوح الاختلاف الجوهري في العمل الايديولوجي والتنظيمي بين حركة التحرر الفلسطينية وبين الحركة الصهيونية من ناحية تطور التركيبة التنظيمية وجهازها الضخم من أجل استيطان الأرض. وايديولوجيتها العدوانية التي تعبر عن مصالح الفئات العليا للبرجوازية اليهودية. وفي ظل الدعم البريطاني للمنظمات الصهيونية ازداد تفوق الحركة الصهيونية على الحركة الوطنية الفلسطينية اضافة لذلك فقد كانت تركيبة هذه القيادة تتشكل أصلا من كبار ملاكي الأراضي وتابعة لأصول العائلات الاقطاعية في حين كانت القيادة الصهيونية تمثل البرجوازية المدعومة من الامبريالية العالمية. ان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية لم تعكس مصالح جميع الفئات الاجتماعية المتضررة من سياسة الامبريالية البريطانية والصهيونية وقد أدى ذلك الى ضعف البنية التنظيمية والفكرية لمختلف الفئات الاجتماعية من تجار وعمال وموظفين. وقد تكونت أول منظمة عمالية فلسطينية في عام ١٩٢٥ ولكنها كانت منظمة ضيقة ضعيفة التأثير، اذ كانت سلطات الانتداب البريطاني تلعب دورا كبيرا في تعزيز نفوذ ملاكي الأراضي (ممثلي العائلات الاقطاعية) في قيادة الحركة القومية الفلسطينية اذ عينت هذه السلطات الحاج أمين الحسيني مفتيا للقدس كذلك رئيسا للمجلس الاسلامي الأعلى عام ١٩٢٢.

في منتصف العشرينات نشب صراع داخل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية بين عائلتين اقطاعيتين "الأولى كان يمثلها الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الأعلى والثانية كان يمثلها راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس آنذاك. كان جوهر الخلاف اختلاف في الموقف تجاه سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية" (٣) فقد كان الحاج الحسيني أقل ميولا نحو المساومة بالمقارنة مع النشاشيبي الذي كان يبدي ميولا أكثر نحو الجلوس على طاولة المفاوضات. وقد انعكس هذا الخلاف بين العائلتين على اصطفاف القوى السياسية والاجتماعية داخل البلاد في تلك المرحلة. فالمجلس الاسلامي الأعلى يشرف على أملاك الوقف الاسلامي، والمساجد، والجامعات وعدة مدارس، اضافة لذلك كان له علاقات واسعة مع الفلاحين. وكل ذلك انعكس على مستوى تأثيره السياسي. أما بلدية القدس فقد كانت على صلة وثيقة مع سكان المدن، ولها صلات واسعة مع التجار وأصحاب المهن الحرة. والجدير بالذكر أن الفلاحين في

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين كما في بقية المستعمرات كانوا في ذلك الوقت نواة القوى الثورية، أما التجار فكانوا ميالون دائما للمساومة. وبذلك نستطيع أن نفهم الآن السبب وراء الموقف الأكثر صلابة لأعضاء المجلس الاسلامي الأعلى الذين يتمتعون بصلات قوية مع الفلاحين تجاه الامبريالية البريطانية مقارنة مع بلدية القدس. ان الصراع بين هذين الاتجاهين وانقسام القوى الوطنية وارتباك الجماهير أدى الى زيادة تأثير العامل الديني في النضال الوطني. وقد استخدم اعضاء المجلس الاسلامي الأعلى الدين في سبيل اضعاف نفوذ الطرف الآخر، مما أدى الى تحويل الدين الاسلامي الى عامل مؤثر في النضال السياسي، خاصة وأن الحركة الصهيونية استندت في صراعها الأيديولوجي والسياسي على فلسطين الى الدين اليهودي. وليس صدفة ان الصراع الذي احتدم بين العرب من جهة، واليهود والسلطات البريطانية من جهة أخرى في عام ١٩٢٩ كان شرارته في باحة المسجد الأقصى الذي يدعي اليهود حقهم التاريخي فيه ويزعمون أن هيكل سليمان كان مكانه.

تمحور النشاط السياسي للقيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية في معظم الأحيان حول عقد المؤتمرات، وارسال الوفود الى لندن في محاولة منهم "لاقناع" الزعامة البريطانية في عدالة الموقف العربي، وانعكس ذلك في الممارسة السياسية لهذه القيادة في الثورة التي عمت فلسطين عام ١٩٣٦ فالقيادة التقليدية التي توحدت تحت ما سمي آنذاك ب "اللجنة العربية العليا" استطاعت ان تحكم في قبضتها الحركة الوطنية سياسية وعسكريا الى حد ما. وقد دعمت هذه القيادة مطالب الملوك العرب في دعوتهم الشعب العربي الفلسطيني وقف الاضراب التاريخي الشهير عام ١٩٣٦ والعودة الى الهدوء والاستقرار آملين كسب رضى الامبريالية البريطانية، ففي الثامن من اكتوبر عام ١٩٣٦ أعلنت الهيئة العربية العليا أنها تلقت برقية من الملوك والرؤساء العرب "تدعو الى الهدوء ووقف الاضراب العام معتمدين على النوايا الطيبة لبريطانيا في تحقيق العدل" (٤) وبعد ذلك أعلنت الهيئة العربية العليا وقف الاضراب والعمل المسلح في ١٢ اكتوبر عام ١٩٣٦م.

أما بالنسبة للبرجوازية الصناعية في فلسطين فمنذ بداية الانتداب البريطاني تطورت ببطء وظلت صناعاتها بدائية ونتيجة لذلك لم تستطع أن تتبوء موقعا مؤثرا في قيادة الحركة القومية الفلسطينية، وتجدر الاشارة هنا الى ان النظام الكولونيالي اتخم السوق المحلية بالسلع الجاهزة الرخيصة والتي لا يستطيع الانتاج المحلي منافستها. اضافة لذلك فقد تمتعت الحركة الصهيونية بامكانيات ضخمة لتأسيس قاعدة صناعية محلية لها بدعم من الرأسمال الأجنبي مما أدى الى تكثيف المصاعب على البرجوازية الفلسطينية حيث اصطدمت بمنافسة مزدوجة من الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية.

وبالنسبة لفئة الفلاحين والطبقة العاملة العربية في فلسطين التي كانت في طور التكوين، خاصة في ظل طرد الفلاحين العرب من أراضيهم واضطرارهم للهجرة الى المدن، فقد كانوا الأكثر ثورية مقارنة بالفئات الأخرى من الشعب في اطار الحركة القومية الفلسطينية خاصة وأنهم الأكثر ضررا من غيرهم من الانتداب البريطاني والهجرة الصهيونية التي أدت الى خلق مشاكل البطالة نتيجة احتلالها للأرض والعمل.

في الوقت الذي كانت فيه القيادة التقليدية للحركة القومية تتبع نهج المهادنة مع الانتداب البريطاني، قاوم الشعب الفلسطيني بعماله وفلاحيه الانتداب البريطاني والهجرة الصهيونية اذ

Digitized by Birzeit University Library

تميزت هذه الفترة بحدوث عدة انتفاضات كما ذكرنا في عام ١٩١٩ و ١٩٢٩ وكان ابرزها الثورة التي امتدت منذ العام ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩. وفي ١١ اكتوبر جرى صدام مسلح بين الجيش الانجليزي وفرق الأنصار الفدائية في جبال جنين، اذ قتل في هذا الصدام اربعة فدائيين كان من بينهم قائد فرق الأنصار الشيخ عز الدين القسام "وبعد موته اصبح أتباعه يسمون أنفسهم بالقساميين" (٥) ان هذا الصدام كشف وجود ونشاط فرق الأنصار الفدائية السرية التي مارست النضال المسلح والأهم من ذلك ان هذه التنظيمات عملت بشكل مستقل عن القيادة التقليدية للحركة القومية الفلسطينية وانتقدت أساليبها في العمل وناضلت في صفوف العمال والفلاحين. ان ثورة ١٩٣٦ أظهرت عمق الرصيد الثوري للشعب العربي الفلسطيني وتصميمه على مقاومة الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية وقد اشار الباحث الفلسطيني ابن سعيد في كتابه "فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية" ان "سكان القرى لعبوا دورا مهما في دعم الثورة وتصعيدها فقد شاركوا في معظم الفعاليات الثورية ودعموها بكل امكانياتهم المحدودة".

كانت أحد أبرز المظاهر النوعية في الحركة القومية الفلسطينية تشكيل "عصبة التحرر الوطني" في فلسطين عام ١٩٤٣، "فالعصبة أصبحت منذ تشكيلها في طليعة القوى الثورية التي قادت الصراع ضد الامبريالية، ودعت الى التعاون اليهودي العربي من أجل حل عادل للمشكلة الفلسطينية على أساس الدفاع عن مصالح الجماهير الشعبية" (٦)

منذ تشكيلها وضعت عصبة التحرر الوطني أمامها مهام محددة تتلائم والمرحلة التاريخية التي مرت بها البلاد، ودعت الى تفعيل النضال القومي العربي في فلسطين وتوحيد جميع القوى الثورية على أسس ديمقراطية من منطلق أن تحقيق هذه المهام سيصعد النضال من أجل انهاء الانتداب البريطاني ونيل الاستقلال.

وفي بداية الأربعينات بدأت الطبقة العاملة الفلسطينية تشهد نموا تدريجيا نتيجة التطور النسبي للصناعات العربية ونزوح الآلاف من العمال العرب للعمل في حاميات الجيش الانجليزي في البلاد، وقد أدى هذا النمو الكمي الى تغيير نوعي في الطبقة العاملة وفعالياتها الثورية في النقابات وفي المجال السياسي العام وتتوج ذلك في تشكيل جمعية العمال العربية في ١٩ آب ١٩٤٥ التي امتد تأثيرها ليشمل الحياة السياسية والنقابية في البلاد واصبحت الجمعية عاملا مؤثرا في تطور النضال الطبقي والقومي في فلسطين.

وفي تلك الفترة أيضا شهدت البرجوازية الفلسطينية نموا مضطردا اذ أصبحت عاملا ملموسا في الحياة السياسية، ولكنها لم تستطع أن تخلق لنفسها حزبا سياسيا مؤثرا أو أن تطرح مصالحها ضمن المهمات الملحة للحركة القومية الفلسطينية. ولذلك كان من الطبيعي أن تحتل عصبة التحرر الوطني الدور الرئيسي في بلورة أهداف النضال الوطني في حين كانت القيادة التقليدية مستمرة في تبني المفاهيم القديمة وتحاول ابقاء فلسطين في فلك الامبريالية البريطانية، وقد أدى ذلك الى تصاعد الخلافات الأساسية بين العصبة واللجنة العربية العليا وخاصة في مرحلة تصاعد النضال الوطني اذ مثلت الأخيرة الاتجاه القومي التقليدي ومثلت العصبة الاتجاه الوطني الثوري.

دعت عصبة التحرر الوطني والى جانبها القوى الوطنية الأخرى الى عقد مؤتمر وطني يتم فيه انتخاب قيادة وطنية قادرة على اقصاء القيادة التقليدية عن قيادة النضال الوطني، وفشلت

Digitized by Birzeit University Library

هذه الدعوة بسبب عدم وحدة القوى الوطنية التي تمثل مصالح البرجوازية الوطنية والفئات الوسطى في حزب واحد.

بعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ "وافقت عصبة التحرر الوطني على هذا القرار فبالرغم من أنه ألحق اجحافا كبيرا بالحقوق العادلة للشعب الفلسطيني على أرضه، الا أنه تضمن انهاء الانتداب البريطاني وانسحاب جيش الاحتلال وتشكيل دولة فلسطينية مستقلة على جزء من الأرض الفلسطينية" (٧) رفضت اللجنة العربية العليا والأنظمة الرجعية العربية قرار التقسيم، ونشبت الحرب العربية - الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ تمت فيها هزيمة ساحقة للجيوش العربية الضعيفة التجهيز، واثر ذلك احتلت القوى الصهيونية ذات القدرة العسكرية الضخمة معظم اراضي فلسطين ودمرت عصاباتها الكثير من القرى الفلسطينية وقتلت سكانها المدنيين، وذلك أدى الى هروب الغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني الى الدول العربية المجاورة. أما المساحة المتبقية للدولة الفلسطينية فقد وقعت تحت سيطرة مصر والأردن. بعد ذلك انقسمت الهيئة العربية العليا الى جناحين متنافسين الأول مثله الزعيم راغب النشاشيبي والذي كان أكثر ميلا للمساومة مع الامبريالية البريطانية وقد وجد طريقه نحو أمير الأردن عبد الله بن الحسين، والثاني مثله الحاج أمين الحسيني، وهو جناح مهادن أيضا ولكن علاقاته كانت سيئة مع الأردن وقد اظهر ميولا نحو الأنظمة الملكية في مصر والسعودية ذات النفوذ في جامعة الدول العربية. وقد اتخذ راغب النشاشيبي موقفا مؤيدا تجاه الحاق القدس والضفة الغربية بالأردن، في حين شكل الحاج أمين الحسيني وبدعم من مصر والسعودية وسوريا، ما سمي آنذاك "بحكومة عموم فلسطين" في محاولة لافشال الالحاق الأردني. ويتبين لنا من ذلك، ان القيادة التقليدية للحركة القومية الفلسطينية انجذبت نحو مشاريع الرجعية العربية وتنحت بنفسها عن النضال الوطني.

لكن القوى الثورية العربية التي وافقت على قرار التقسيم، وبعد انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتأسيس دولة اسرائيل، فقد طالبت هيئة الأمم المتحدة بتنفيذ هذا القرار وتشكيل دولة فلسطينية مستقلة. وقد أصدرت هذه القوى وفي طليعتها الأحزاب الشيوعية العربية في سوريا والعراق ولبنان، بالاضافة الى عصبة التحرر الوطني الفلسطينية، وثيقة تاريخية وجهتها الى الشعوب العربية لخصت فيها الأسباب الحقيقية وراء مأساة الشعب الفلسطيني. وفضحت خيانة الأنظمة الرجعية العربية وخطط الامبريالية الأمريكية - البريطانية الهادفة الى صهينة فلسطين وتقسيم العالم العربي الى مناطق نفوذ لها. ودعت هذه الوثيقة الجماهير العربية الى "توحيد كافة القوى الوطنية والديمقراطية في جبهة شعبية واحدة للنضال ضد الامبريالية وعملائها الرجعيين العرب من أجل جلاء الجيوش الأجنبية من المشرق العربي وتحقيق الاستقلال والديمقراطية. ولتتضافر الجهود في النضال ضد الاحلاف العسكرية، التي يريدون فرضها علينا! وليتعزز التضامن العربي من أجل وقف العمليات العسكرية في فلسطين. وعودة اللاجئين الى أراضيهم، وخروج الجيش الصهيوني والجيش الأردني من الأراضي الفلسطينية، وتأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة وعدم السماح بتقسيمها أو الحاقها في أي شكل من الأشكال". (٨)

بعد نكسة عام ١٩٤٨ وما نتج عنها من تشريد الشعب الفلسطيني، تشتتت الحركة الوطنية الفلسطينية الى أربعة مناطق رئيسية تحدها الحواجز الاقليمية والسياسية. وهي اسرائيل،

Digitized by Birzeit University Library

الأردن، قطاع غزة بالاضافة الى سوريا ولبنان. وقد أدى ذلك الى اضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية لفترة طويلة، وزادالمصاعب لتشكيل قيادة جديدة لها، اضافة لذلك فان الأنظمة الرجعية العربية اتبعت سياسة مزدوجه تجاه هذه الحركة حيث أنها رأت في القضية الفلسطينية عقبة نحو تعزيز علاقاتها مع الدول الامبريالية في ظل الخوف من نقمة الشعوب العربية عليها.

بعد تجزئة فلسطين بين اسرائيل ومصر والاردن، وهجرة الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين الى سوريا ولبنان، خاضت الحركة الوطنية الفلسطينية طريقا نضاليا شاقا في سبيل تحقيق استقلاليتها، وتضافر جميع قواها في النضال الوطني الفلسطيني. وسوف نستعرض الآن مجرى النضال الوطني لهذه الحركة في كل منطقه على حدة حيث تواجد الشعب الفلسطيني بكثافة في قطاع غزة، الأردن، وسوريا ولبنان.

في قطاع غزة:-

عاش سكان قطاع غزة واللاجئين الفلسطينيين فيه، تحت تأثير ادارة غير ديمقراطية حتى بعد حدوث ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة جمال عبد الناصر، حيث أن الادارة كانت تابعة لوزارة الدفاع المصرية. وانشأت هذه الادارة المشاريع الاقتصادية التنموية لصالح سكان قطاع غزة الأصليين وتجاهلت شؤون اللاجئين معتبرة مشكلتهم مؤقتة. ومع ذلك فقد كانت العلاقة بين سكان غزة ومصر أكثر ترابطا من علاقة سكان الضفة الغربية بالنظام الأردني، بسبب طبيعة النظام الوطني بقيادة عبد الناصر في مصر. ومنذ بداية خضوع قطاع غزة تحت الادارة المصرية رفض النظام الملكي الرجعي في مصر التسليم بهزيمة القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية وحتمية نهايتها، حيث انه رفض الموافقة على قرار الحاق الضفة الغربية الذي اتخذ في مؤتمر أريحا عام ١٩٤٨. وأعلن الشيخ حسن البنا في ٤ أيلول عام ١٩٤٨ زعيم حركة الاخوان المسلمين في مصر عن دعمه للجنة العربية العليا بقيادة الحاج أمين الحسيني، وفي ٢٠ سبتمبر عام ١٩٤٨ تشكلت حكومة عموم فلسطين، وفي غزة تم عقد مؤتمر وطني فلسطيني تحت رئاسة الحاج أمين. لكن هذه الحكومة لم تدم طويلا حيث تم حلها عام ١٩٥٢ من قبل جامعة الدول العربية. وانتهى الأمر بالحاج امين الحسيني الى التحالف مع النظام الأردني ضد الحركة الوطنية الأردنية وبذلك اختتم نشاطه السياسي. بالمقابل فقد تصاعد نشاط الجماعات اليسارية في قطاع غزة منذ خضوعها للادارة المصرية. وتم تشكيل الحزب الشيوعي الفلسطيني في (قطاع غزة) من الجزء الحقيقي من عصبة التحرر الوطني في قطاع غزة بعد حرب عام ١٩٤٨. فقد اصدر هذا الحزب عدة منشورات تضمنت "تحميل الغرب الامبريالي مسؤولية الوضع الذي يعاني منه الشعب العربي الفلسطيني من تشتيت وضياع ودعوا الى عودة اللاجئين الى أراضيهم واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة" (٩) وقد بادر الحزب الى تنظيم النضال الوطني ضد مشروع اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين في ١٠ اكتوبر ١٩٥٣، وتضمن هذا المشروع "ضرورة قيام الحكومة المصرية بتحويل المياه الى شبه جزيرة سيناء لري ٢٠ ألف دونما من الأراضي لتوطين ٥٠ - ٦٠ ألف لاجيء فلسطيني عليها" (١٠) وقد تم افشال هذا المشروع فبالاضافة الى المصاعب التكنيكية لتحقيقه فقد عمت المظاهرات في مخيمات اللاجئين في قطاع غزة تحت قيادة الشيوعيين، مطالبة بحل جذري للمشكلة الفلسطينية وعودة كافة اللاجئين الى أراضيهم.

Digitized by Birzeit University Library

بعد شن العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ الذي ضم بريطانيا وفرنسا واسرائيل على النظام التقدمي في مصر، واحتلال اسرائيل لعدة أشهر قطاع غزة، شكل الشيوعيون جبهة وطنية في غزة قادت النضال ضد الاحتلال الاسرائيلي، ورفضت المجموعات البرجوازية التحالف في اطار الجبهة بحجة أن الشيوعيين طرحوا في ميثاق التحالف ان الشعب الفلسطيني بالاضافة الى اعتماده على دعم الشعوب العربية فهو يعتمد أيضا على دعم القوى الثورية العالمية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي. بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا وظهور الجمهورية المتحدة تم انشاء ما سمي آنذاك ب "الاتحادالوطني الفلسطيني" وبعد ذلك دعى الاتحاد الوطني الفلسطيني في سوريا مثيله في قطاع غزة الى الوحدة بين الاتحادين وتكثيف الطاقات من أجل تحرير فلسطين. ولكن الجمهورية العربية المتحدة فزعت من هذه الوحدة خشية أن تؤدي الى تحولها الى ثورة تحريرية واسعة، وقبرت هذه الفكرة في مهدها بحجة أن العمل الفلسطيني يخضع لصلاحيات الجامعة العربية.

واستقرت هذه السياسة العربية في هذا الاتجاه حتى تم تشكيل م. ت. ف في العام ١٩٦٤.

في سوريا ولبنان:-

ظهرت في المخيمات الفلسطينية في سوريا ولبنان في تلك الفترة عدة تنظيمات بعضها لم يعش طويلا والبعض الآخر استمر فترة أطول. وفي حزيران عام ١٩٤٩ أرسل اللاجئون الفلسطينيون وفدا يمثلهم الى جامعة الدول العربية يطالبون فيها حكومات هذه الدول السماح لهم بالعمل فيها من أجل كسب قوتهم.

وفي نوفمبر عام ١٩٥٠ عقد مؤتمر ضم ممثلين عن مخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان انتخبت فيه لجنة تنفيذية، ودعى المؤتمر الى مقاطعة الوكالة الدولية لغوث اللاجئين ومخططاتها الهادفة الى توطين اللاجئين الفلسطينيين، ودعوا الى تنظيم مسيرة الى الأراضي المحتلة في حالة عدم مساعدة الأمم المتحدة لهم في العودة لأراضيهم. وبالرغم من أن هذه القرارات لم تتحقق على أرض الواقع ولكنها عبرت عن الطموح الوطني للاجئين الفلسطينيين.

بتشكل الاتحاد الوطني الفلسطيني في سوريا عام ١٩٦٠ وتفككه بعد فشل الوحدة المصرية السورية، وفيما يتعلق بالوطنيين الفلسطينيين فقد التحقوا بالاحزاب السياسية العربية المختلفة كل حسب موقع تواجده. وهنا من الضروري التوقف عند "حركة القوميين العرب" التي "ظهرت في بداية الخمسينات من ممثلي المثقفين العرب وشباب الجامعات في لبنان. نمت هذه الحركة على أساس ايديولوجية البرجوازية الوطنية التي دعت الى الوحدة العربية ومن ثم تحرير فلسطين. ومع مرور الزمن انقسمت هذه الحركة الى عدة اتجاهات وشخصيات تبنت في بعض الأحيان أفكارا يسارية" (١١) ومن الجدير بالذكر انه بالرغم من الاتجاه العام الذي اتسمت به حركة القوميين العرب فانها نشطت في النضال الوطني الفلسطيني واصدرت جريدة سميت آنذاك ب "الثأر"، والتي انتشرت بشكل واسع بين اللاجئين الفلسطينيين. ان اللاجئين الفلسطينيين في سوريا ولبنان مثلهم مثل اخوانهم في قطاع غزة والأردن، أفشلوا مشروع توطين اللاجئين الهادف الى تمييع قضية الشعب العربي الفلسطيني الطامح الى العودة والاستقلال.

في الأردن:-

Digitized by Birzeit University Library

واجه الفلسطينيون في الأردن ظروفا مختلفة عن اخوانهم في الدول الأخرى. فبعد الحاق الضفة الغربية بالأردن انخرطت الجماهير الفلسطينية في النضال الوطني في المملكة الأردنية الهاشمية حيث كانوا الأكثر تطورا وتنظيما من الناحية الاجتماعية والاقتصادية مقارنة بالمجتمع العشائري الذي ميز المجتمع الأردني في تلك الفترة. وفي ضوء ذلك لم يكن من الصدفة أن دعا الجزء المتبقي من عصبة التحرر الوطني - منظمة الشيوعيين الفلسطينيين - في الأردن الى مقاطعة الانتخابات البرلمانية الأولى الهادفة الى اضفاء الشرعية القانونية على قرار الالحاق الأردني للضفة الغربية، ودعت الى تشكيل الدولة الفلسطينية المستقلة، وفي أواسط عام ١٩٥١ توحدت عصبة التحرر الوطني مع المجموعات الماركسية العاملة في شرقي الأردن وشكلوا "الحزب الشيوعي الأردني". ولم يكن تشكيل هذا الحزب تخليا عن الطموحات الفلسطينية أو عن الحق الوطني للشعب الفلسطيني في دولته المستقلة، بل آمن الشيوعيون الفلسطينيون بضرورة التجاوب مع الظروف الموضوعية الجديدة الناشئة عن الالحاق الأردني والانخراط في صفوف الحركة الوطنية الأردنية في سبيل النضال من أجل التحرر الوطني في الأردن مما يساعد في انجاز أهداف النضال التحرري العربي العام ومن ضمنها النضال الفلسطيني.

وفي مرحلة مقاطعة الانتخابات البرلمانية التي جرت في الأردن في بداية سبتمبر ١٩٥١ برز الحزب الشيوعي الأردني كقوة سياسية فاعلة في النضال ضد الاقليمية التي تعرقل وحدة الشعبين الأردني والفلسطيني، اذ دعى الحزب الى رص الصفوف في المعركة من أجل حل المعاهدة الأردنية البريطانية الموقعة في عام ١٩٢٨ والتي تضمنت "هيمنة بريطانيا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا على الأردن وجعلته محمية بريطانية" (١٢) وطالب الشيوعيون أيضا باطلاق الحريات الديمقراطية في الأردن.

وقد حققت الوحدة النضالية بين الشعبين الفلسطيني والأردني انتصارات عديدة في مرحلة النهوض الثوري الذي ميز العالم العربي في تلك الفترة. وأدت المظاهرات الشعبية التي عمت الأردن أثناء زيارة رئيس تركيا جلال بيار في بداية شهر آب ١٩٥٥ الى افشال محاولة ادخال الأردن في "حلف بغداد العسكري". وقد تعاظمت انجازات الحركة الوطنية في الأردن، وتتوج ذلك بفوز العديد من أعضاء الجبهة الوطنية التي تشكلت من الشيوعيين والقوميين والبعثيين، في الانتخابات البرلمانية التي جرت في الأردن عام ١٩٥٦، وتم تشكيل أول حكومة وطنية في الأردن برئاسة سليمان النابلسي. وألفت هذه الحكومة في ١٥ آذار ١٩٥٧ المعاهدة الأردنية البريطانية التي حولت الأردن الى مستعمرة بريطانية، وكان ذلك آخر انجازاتها اذ قام النظام الملكي بانقلاب رجعي وشكل حكومة أخرى.

ونود أن نشير هنا الى أن الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة الممتدة منذ نكبة عام ١٩٤٨ وحتى تشكيل م. ت. ف عام ١٩٦٤ لم تستطع ابتكار أساليب جديدة في النضال ضد القوة المتصاعدة لاسرائيل وسياستها التي أدت الى طرد الشعب الفلسطيني من أرضه. ففي هذه المرحلة، فان القوى الأساسية للحركة الوطنية الفلسطينية التي اندمجت في اطار حركة التحرر العربية في كل بلد على حدة لم تستطع انجاز مهمتها نحو تشكيل الدولة الفلسطينية وعودة اللاجئين الى أراضيهم، فقد اعتقدوا أنهم يستطيعون تحقيق هذه المهام من خلال الوحدة العربية

Digitized by Birzeit University Library

أيّ على مبدأ - من الوحدة العربية حتى التحرير - ومع ذلك فقد حافظت المنظمات الشعبية الفلسطينية على هويتها الوطنية، مثال ذلك، فان اتحاد المرأة الفلسطينية الذي تشكل منذ عام ١٩٢١، حافظ على نفسه وفتح له عدة فروع عام ١٩٥١ في مختلف أنحاء الدول العربية حيث مارس نشاطاته الوطنية والاجتماعية.

لقد أفشل اللاجئون الفلسطينيون مثلهم مثل اخوتهم في الاقطار العربية مشروع توطينهم في الأردن والضفة الغربية.

في ظل النهوض الثوري العام الذي عصف بالعالم العربي في النصف الثاني من الخمسينات، لم تستطع الرجعية العربية أن تعلن جهارا تعاونها مع الدول الامبريالية وفي ظل صمود اللاجئين الفلسطينيين، وخوف هذه الأنظمة من الشعوب العربية التي نمت يقظتها الثورية وتعزز التضامن مع الشعب الفلسطيني. ومع اقتراب نهاية سنوات الخمسينات بدأت الحركة الوطنية الفلسطينية تعيد تنظيم ذاتها بنفس ثوري جديد. وانعكس ذلك خاصة، بتأسيس حركة التحرر الوطني الفلسطيني - فتح - في عام ١٩٥٩. وقد انهمكت هذه الحركة في تلك الفترة بتشكيل خلاياها في مختلف مناطق تواجد الشعب الفلسطيني وأصدرت أول نشرة لها سميت ب "فلسطيننا". وقد آمنت فتح في تلك الفترة ان "الشعب العربي الفلسطيني يقف في طليعة الشعوب العربية في النضال القوهي وعليه تقع المسؤولية في قيادة المعركة المصيرية حتى النصر" (١٣). كان فشل الوحدة المصرية - السورية في سبتمبر عام ١٩٦١، منطلقا لأقطاب حركة التحرر العربية نحو اعادة النظر في التوجهات الاقليمية المحلية لكل بلد على حدة.

في أيلول عام ١٩٦٣ اتخذت الجامعة العربية في اجتماع عقد لها، قرارا بتكليف المحامي الفلسطيني أحمد الشقيري باقامة اتصالات مكثفة مع ممثلي الشعب الفلسطيني نحو عقد مؤتمر وطني فلسطيني يتم فيه الاعلان عن تشكيل م. ت. ف.

المصادر:-

١ - توما، اميل: جذور القضية الفلسطينية. "بيروت ١٩٨٠"، ص٢٦.

٢ - نفس المصدر السابق، ص٨٠.

٣ - الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين. دمشق ١٩٨٠، ص١١٥.

٤ - توما، اميل: ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية. بيروت ١٩٧٨، ص١٣١.

٥ - جذور القضية ... مصدر سبق ذكره، ص٢٦.

٦ - شريف، ماهر: الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين، ١٩١٩ - ١٩٤٨. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، براغ ١٩٨٦، ص١٠٩.

٧ - ستون عام ... مصدر سبق ذكره. ص٢٠٠.

٨ - جريدة الاتحاد الحيفاوية، ٢٩ تشرين ثاني ١٩٨٧، عدد ٤٤/١٦٨.

٩ - ياسين، عبد القادر: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٧٠. بيروت ١٩٧٠، ص١٨.

١٠- المصدر نفسه، ص٣٦.

١١- مجلد مجلة الهدف السنوي، أعداد ٢٦٣ - ٢٨٧، "رسالة ياسل الكبيسي حول حركة القوميين العرب" ص١٩، بيروت ١٩٧٤.

١٢- تاريخ الأقطار العربية ١٩١٧ - ١٩٧٠. أكاديمية العلوم السوفياتية، معهد الاستشراق - موسكو ١٩٧٥، الجزء الأول، ص٧٠.

١٣- علوش، ناجي: حول الثورة الفلسطينية. دار الطليعة، بيروت ١٩٧١، ص٣٢.

Digitized by Birzeit University Library

الأسباب الحقيقية لمرحلة التغيير الحاصلة في الأردن الآن

- د. أسعد عبد الرحمن -

لا شك أن ثمة أسبابا وعوامل عديدة أسهمت في عملية بدء السير على طريق التعددية والديمقراطية في المملكة الأردنية الهاشمية. وتتباين هذه الأسباب/ العوامل في درجة أهميتها اذ بينها الأهم ثم المهم ثم الأقل أهمية. كما أن هذه الأسباب تتفاوت في درجة الطفو على السطح، فمنها ما هو عميق بعيد الجذور وغير مباشر، ومنها ما هو مباشر. كما أن هذه الأسباب متداخلة متشابكة متفاعلة على نحو جدلي بحيث أن درجة الأهمية لكل منها تتفاوت تبعا للمراحل الزمنية المختلفة، وبخاصة وأن بعض هذه الأسباب يبدو أحيانا وكأنه "نتيجة" سرعان ما تصبح هي ذاتها "سببا" في مرحلة زمنية لاحقة، وفي هذا السياق، يمكن ادراج جميع هذه الأسباب/ العوامل تحت عنوانين عريضين: أولهما، الأسباب أو العوامل الداخلية، وثانيهما، الأسباب أو العوامل الخارجية. ولاعتبارات تتعلق بشدة الاشهار والوضوح مما يستتبع الاختصار، نبدأ بالعوامل الخارجية.

العوامل الخارجية:

مما لا ريب فيه أن الأردن ليس جزيرة منعزلة في محيط، ولا هو بمنأى عن الفعل والانفعال بما يجري حوله. ولهذا كان طبيعيا أن يتأثر الأردن ويؤثر في بيئته المحيطة. وفيما يتعلق بالمسيرة التعددية/ الديمقراطية، لا شك أن الأردن الذي تعرض لرياح عربية وغير عربية تحث وتشجع على الانخراط في تلك المسيرة قد تأثر بتلك الرياح التي جاءت - نتيجة عوامل داخلية سنأتي على ذكرها لاحقا - رياحا ناعمة أشبه ما تكون بالنسيم العليل. ولعل ذلك هو السبب الأساسي في كون التجربة التعددية/ الديمقراطية العتيدة الراهنة في الأردن قد احتلت لنفسها موقعا في صدارة التحول الهادىء السلمي مقارنة بالتحولات الحادة، الدموية أو الدموية جدا أحيانا، التي وقعت في هذا القطر العربي أو ذاك البلد الأجنبي.

Digitized by Birzeit University Library

وغني عن الذكر أن الأردن - وبخاصة في عصر تحول العالم الى قرية بفضل ثورة الاتصالات والاعلام التي تشهدها كرتنا الأرضية - قد تأثر كثيرا بالتفكير السياسي العالمي الجديد وفي الطليعة منه الظاهرة الفورباتشوفية اللبرالية/ التعددية/ الديمقراطية، ومن ثم كثرت الدعوات الهامة. ثم الصريحة لاحقا، على امتداد الوطن العربي للمباشرة في نوع من البيروستروبكا العربية، وفعلا، لم يمض وقت طويل حتى التحمت عوامل التحول الديمقراطي الداخلي مع عوامل التحول الديمقراطي الخارجي وفي الصميم منها الظاهرة الفورباتشوفية، فبدا التغير في كل من فلسطين المحتلة والجزائر وغيرهما من الأقطار العربية، وليس بنا حاجة - ونحن من الشهود المرابطين في الأردن - للتأكيد على أن هذا الأخير قد تأثر تأثرا خاصا، واضحا ومتميزا، بالتحولات التي بدأت تشهدها دول المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي من جهة، وما شهدته فلسطين المحتلة على شكل انتفاضة شعبية ديموقراطية طويلة المدى ضد الاحتلال الاسرائيلي من جهة ثانية، وما شهدته من جهة ثالثة الجزائر على شكل انتفاضة جماهيرية ديموقراطية قصيرة وسريعة ضد أصحاب النظرية والمدرسة القائلة بما نسميه "المجتمع السياسي الواحدي" الذي يوظف بيروقراطياته المهيمنة والمتفشية لقمع الوجود الآخر والرأي الآخر. وفي هذا السياق، وفي ضوء المراقبة الانطباعية الرصينة والواعية رغم انعدام أدوات القياس العلمي، يبدو لنا أن الأسباب/ العوامل الداخلية في منع التحول التعددي/ الديمقراطي في الأردن قد لعبت في "التجربة الأردنية" الدور الأظهر. فما هي هذه الأسباب/ العوامل، وكيف تفاعلت لتصنع العرس التعددي/ الديمقراطي الذي شهده الأردن هذه الأيام؟.

العوامل الداخلية:

بداية لا بد من الاشارة الى أنه ما كان يمكن لنا أن نتحدث اليوم عن حقائق الوضع الداخلي لولا أن الأردن يعيش أجواء "العرس الديمقراطي" الذي يعيشه. هذا على مستوى الحرية.

أما على مستوى العلم، فما كان يمكن لنا أن نتحدث عن ظروف الوضع الداخلي مستخدمين كلمة "حقائق" لولا أن تلك الظروف/ الحقائق قد تكشفت، علنا، على لسان السلطة التشريعية من خلال نواب الشعب، وعلى لسان السلطة التنفيذية ممثلة في الحكومة الجديدة، وعلى لسان السلطة الرابعة ممثلة في الصحافة، وعلى لسان "السلطة الشعبية غير البرلمانية" ممثلة في القوى السياسية المنظمة والشخصيات الوطنية طوال فترة الانفراج التعددي/ الديمقراطي الذي عاشه الأردن وما يزال منذ النصف الثاني من العام المنصرم.

هذا، وتتجلى الأسباب/ العوامل الداخلية في مجمل الظروف المادية الموضوعية "التاريخية" والراهنة القائمة في الأردن. وفي هذا الصدد، تجدر الاشارة الى أننا هنا نتحدث عن شبكة مجمل العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وليس فقط عن مجموعة منها:

ففي دائرة العوامل الاقتصادية، حسب المرء أن ينوه بحقيقة أن الأردن قد عانى في الفترة الأخيرة، على سعيد أول، من مديونية عالية تجاوزت ثمانية مليارات من الدولارات الأمريكية. وقد وقع هذا التطور، أو بالأحرى التردي، على عكس "التقاليد" الاقتصادية الأردنية التي حرصت، حتى

Digitized by Birzeit University Library

في أشد حقب الفقر العربي، على أن "تمد أرجلها" بقدر ما يكون عليه "بساطها" وربما أقل من ذلك. غير أن الأمر سرعان ما اختلف وغابت تلك التقاليد منذ السبعينات. فعلى الرغم من الطفرة النفطية ونمو حركة المساعدات العربية، وتزايد وتيرة الأموال المحولة من المغتربين الأردنيين/ الفلسطينيين، والتي بلغت ما يقرب من(١,٢٥) مليار دولار سنويا، يلاحظ المراقب كيف أن المديونية الأردنية الخارجية قد ازدادت وعلى نحو لا سابق له ومرعب وخصوصا في سنوات النصف الثاني من الثمانينات.

وعلى صعيد ثانٍ مختلف، تواكب هذا الازدياد/ التردي في المديونية مع ازدياد الأحاديث عن الفساد سواء كان هذا الأخير معششا في أجهزة الدولة أو في القطاعين العام والخاص. ونشير الى هذا الموضوع بعبارة "الأحاديث عن الفساد" لأننا نؤمن بأنه ليس من حق أحد أن يتحدث عن هذا الموضوع بيقين وتأكيد سوى لجنة تحقيق منبثقة عن مجلس النواب، كي يعرف الجميع عندئذ من هو الفاسد حقا ومن هو البريء، بعيدا عن التهم التي مست الكثيرين الكثيرين، هذا، على الرغم من أن المراقب المدقق يستطيع أن يشير بالأصبع الى حالات من الفساد واضحة ولا تحتاج الى الكثير من الحقيقة.

وعلى صعيد ثالث مختلف، وفي ظل هذه الأجواء، تفاقمت مشكلة البطالة على نحو ضرب بطون وجيوب وأعصاب قطاعات جماهيرية واسعة، اذ تحدثت الدراسات والمقالات الخبيرة عن نسبة من البطالة تتراوح بين(١٢٪) في أكثر التقديرات تحفظا، وبين نسبة(٢٥٪) وربما أكثر في تقديرات أخرى ليست بالضرورة مبالغة.

وعلى صعيد رابع، كان الأغنياء يزدادون غنى، والفقراء يزدادون فقرا، مع الهبوط التدريجي، لكن الأكيد، لشرائح الطبقة الوسطى الى القاع الاقتصادي. ذلك أن الوضع قد تفاقم أكثر مع ازدياد نسبة التضخم الاقتصادي وارتفاع الأسعار التي تزامنت مع بدء عملية تجفيف الموارد الخارجية الرسمية والشعبية.

وعلى صعيد خامس جديد، تفاعلت هذه التطورات مع سابقاتها بحيث دخلت الشرائح الجماهيرية الأوسع في حالة من العسر شديدة بعد أن اهتز الدينار الأردني في مطلع العام ١٩٨٧، وفقد لاحقا وسريعا جزءا كبيرا من قدرته الشرائية في أعقاب الممارسات الخاطئة التي واكبت قرار فك الاتباط الاداري والقانوني مع الضفة الغربية، وخصوصا بعد أن اهتزت الثقة بالبلد وبالاستثمار فيه بحيث هرب رأس المال المغترب (ورأس المال دائما جبان) بعد أن هرب رأس المال المحلي الى الخارج.

هذه العوامل الاقتصادية وغيرها، خلقت أوضاعا وظروفا أشبه ما تكون بنوع من "الديناميت الاقتصادي" الذي كان ينتظر مجرد شرارة كي ينفجر.

أما العوامل السياسية، فهي العوامل الأكثر وضوحا والى درجة لا تحتاج الى طويل تفصيل. ولعله يكفي في هذا السياق أن نشير الى عناوينها الأبرز، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي. أما العنوان الداخلي السياسي الأبرز فيرتبط بموضوع مجمل الحريات السياسية التي تعرضت لضربات عدة والى جهود تقليصية تهميشية من جهة، والى جهود عقابية مبالغ فيها من جهة ثانية. ففي السنوات القليلة الماضية، تزايد اللجوء الى سلاح الأحكام العرفية المفروضة والمعلنة منذ حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ بحيث امتدت، بعد العام ١٩٨٧ على وجه الخصوص،

Digitized by Birzeit University Library

لتمس عددا من المؤسسات الاقتصادية الناجحة على أيدي "لجنة الأمن الاقتصادي"، أو لتمس عددا من المؤسسات الثقافية أو النقابية أو الرياضية ذات الوزن والشعبية (مثل رابطة الكتاب الأردنيين ونادي الوحدات الرياضي .. الخ).

وضمن هذه الممارسات العرفية، تمت مصادرة، أو تكريس مصادرة، حريات كثيرة بدءا من حرية التعبير مرورا بحرية العمل وغيرها، وانتهاء بحرية الانتقال والسفر وصولا الى ترحيل وطرد بعض المواطنين الأفراد الى خارج البلاد. وفي ظل هذه الأجواء وبسببها، كان "طبيعيا" أن يزداد تمدد الأجهزة الأمنية في نسيج "المجتمع السياسي" الأردني وأن تكثر أخطاؤها. وهكذا، أصبح المواطن عرضة للعقاب المتعدد الأشكال بسبب ماضيه السياسي حتى لو كان ذلك المواطن قد شارك في حدث سياسي عابر قبل عشرين أو ثلاثين عاما، ناهيك طبعا عن أولئك المواطنين الذين ما يزالون يمارسون أي نوع من العمل السياسي بما فيه ما يجب أن يعتبر - بكل المقاييس - مشروعا. وفعلا، كثرت، مع سنوات النصف الثاني من الثمانينات، ممارسات الاعتقال المتكررة لهذه المجموعة أو تلك أو لهذا المواطن أو ذاك، اضافة الى سحب جوازات السفر أو منع المواطنين من السفر أو منعهم من العمل ليس في أجهزة الدولة أو القطاع العام فحسب، وانما في القطاع الخاص أيضا الا بعد أن يحصلوا على موافقة ورضا الأجهزة الأمنية. وغني عن الذكر أن نتائج العقاب الاقتصادي/ السياسي هذا قد تفاقمت أكثر فأكثر وازدادت سوءا على سوء في ظل الأوضاع الاقتصادية البائسة السائدة. كما تفاعل كل ذلك مع مجمل العوامل السياسية السابقة، ومع حقيقة أن مئات وربما آلاف العائلات تضررت كثيرا وبالتالي احتقنت سياسيا أكثر عندما اكتشفت أنه لا مردود اطلاقا لاستثماراتها الكثيرة والطويلة في تعليم أبنائها وذلك حين عاد أولئك الأبناء فلم تتح لهم فرصة العمل اما نتيجة البطالة، أو نتيجة اشتراط موافقة الأجهزة الأمنية على عملهم داخل الأردن، أو نتيجة منعهم من السفر للعمل في الخارج بحثا عن لقمة العيش. ومما يلفت الأنظار ويجدر ذكره هنا أن التمدد الواسع وغير المبرر لنشاطات الأجهزة الأمنية قد أثار استياء حتى في بعض أوساط الأجهزة الأمنة ذاتها حيث صدرت بعض الأصوات محتجة ودفعت ثمنا غاليا نتيجة ذلك، في الوقت الذي حافظت فيه قطاعات أوسع ملتزمة بالنظام والمراتبية التنظيمية، على صمتها المتضايق وربما الغاضب من ممارسات ذلك البعض الداعي الى التمدد أكثر فأكثر في نسيج المجتمع الأردني.

وعلى نحو مختلف، تجلت العوامل السياسية الخارجية في مجموعة من المواقف السياسية التي أثارت مشاعر وغضب قطاعات واسعة من جماهير المواطنين. وقد تراوحت هذه المواقف بين العلاقات الأردنية مع هذا البلد أو ذاك في هذه المرحلة أو تلك بشكل أثار استياء وغضب هذه القوة السياسية أو تلك الشريحة الجماهيرية، كما أن تردي العلاقة الرسمية الأردنية - الفلسطينية الى قعر العمل القومي في مرحلة من المراحل، سواء قبيل صدور قرار فك الارتباط، أو بعيد صدور ذلك القرار على النحو الذي صدر عليه، أدى الى ايذاء مشاعر قطاعات جماهيرية واسعة من الأردنيين سواء كانوا من أصول فلسطينية أو غيرها. ثم أن بعض الممارسات الاقتصادية والسياسية والاعلامية الغريبة العجيبة الخاطئة، سواء تجاه منظمة التحرير الفلسطينية أو تجاه الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة، أو تجاه المنتفضين (منع استيراد زيت الزيتون والجبنة والحمضيات مثلا)، أدت الى تأجيج المشاعر والهابها. لذلك كله، لم يكن غريبا والحال على ما هو عليه، وخاصة بعد تفاعل العوامل السياسية الخارجية مع العوامل السياسية الداخلية وتفاعلها

Digitized by Birzeit University Library

كلها مع العوامل الاقتصادية آنفة الذكر، لم يكن غريبا أن يشحن طرف جديد أشبه ما يكون بنوع من "الديناميت السياسي" الذي ينتظر الشرارة، مجرد شرارة، كي يقع الانفجار.

أما على صعيد العوامل الاجتماعية، فان حسب المرء الاشارة، بعبارات موجزة، الى حقيقة أن "المجتمع الاجتماعي" الأردني قد نما على طريق التحديث والعصرنة نموا بارزا وملحوظا دون أن يتواكب ذلك مع تحديث سياسي أو ممارسات سياسية عصرية. فالمجتمع الأردني بدءا من مليكه العصري والعائلة الحاكمة العصرية، مرورا بالكثير الكثير من المظاهر والحقائق العصرية سواء في مستوى البنى الفوقية أو البنى التحتية، انتهاء بنظام التعليم الرسمي والخاص العصري، كل ذلك لم يعد يتناسب مع البنى والأطر السياسية القائمة والتي أكل عليها الدهر وشرب. فقد فعلت وسائل الاتصال ونموها فعلها بعد أن تحول العالم فأصبح قرية صغيرة. كما أن انخفاض نسب الأمية بفضل سياسة التعليم الشامل تركت أيضا بصماتها على المجتمع الأردني. كذلك، فان نمو حركة التمدين والتحضر وتقلص " التصحر الاجتماعي" كانت تطورات لها أثرها العصري، ثم ان انتشار التعليم الجامعي وتزايد أعداد الخريجين من جامعات الداخل والخارج على حد سواء وعلى امتداد سنوات طوال، كل ذلك كان له وقعه على حركة تحديث وعصرنة المجتمع. تلك الحركة التي مع نموها العصري التحديثي تنمو طلباتها السياسية المشروعة وفق كل اطار مجتمعي عصري حديث. لذلك، كان لا بد من أن ينشأ وضع أشبه ما يكون بنوع من "الديناميت الاجتماعي" الذي ينتظر شرارة، مجرد شرارة، كي يقع الانفجار.

وجاءت الشرارة على شكل بداية عنيفة وقعت في الجنوب الأردني في نيسان/ ابريل ١٩٨٩. ولولا رحمة الله، ووعي بعض المسؤولين والجماهير وقواها السياسية، لوقعت فتنة كبرى ما كان بامكان أحد أن يسيطر عليها أو يقدر نتائجها الوخيمة.

وعند هذه النقطة، تبلور نوع اضافي من الأسباب الداخلية لكن الذاتية المختلفة عن الأسباب العامة الموضوعية سالفة الذكر. وتتلخص هذه الأسباب/ العوامل في عبارة واحدة موجزة قوامها قرار شجاع اتخذه رأس النظام السياسي وانحاز بموجبه الى قوى التعددية والديمقراطية سواء كانت جماهيرية في الشارع أو طليعية في الحياة السياسية أو حاكمة في مختلف مستويات السلطة. وكان لذلك القرار أثره في توسيع وتسريع عملية الانحياز الواسعة في مراكز السلطة السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية على امتداد المملكة مما ضمن لعملية التحول والتعدد الديمقراطي سلاسة ما كان يمكن أن تكون، وقد شجع كل ذلك جميع القوى المعارضة - الجذرية القديمة الجديدة منها، أو المعارضة الناعمة أو المعارضة الموالية على حد سواء - على مقابلة التحية بمثلها. وكان كل ذلك ايذانا ببدء عملية التحول والتغيير باتجاه التعددية والديمقراطية التي جاءت سلمية غير حقودة وواعية وناضجة بدءا من تشكيل حكومة انتقالية متفهمة ومستوعبة لكل الظروف ومقتضياتها على صعيد التوجهات الديمقراطية الحقيقية، مرورا باجراء الانتخابات بحرية كاملة، انتهاء بقبول نتائج الانتخابات وما أعقبها من حوار صريح جرى بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في غمرة المداولات التي واكبت منح الحكومة الحالية للثقة وبخاصة بعد أن قامت الحكومة المعنية، في فترة ما قبل منحها الثقة، بسلسلة من الاجراءات الأساسية والهامة التي طمأنت قلوب أبناء الشعب ونوابه فكانت الثقة بها على ما فعلت من جهة أولى، وعلى ما وعدت بفعله في وقت لاحق من جهة ثانية.

Digitized by Birzeit University Library

الصحافة السرية
للحزب الشيوعي العراقي
منذ نشوئها - وحتى العام ١٩٥٨

سعد عباس عبيد

فيما يلي فصول من رسالة الماجستير للاستاذ سعد عباس محمد عبيد، وهي بعنوان "الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى العام ١٩٥٨"، ونظرا لأهمية الموضوع، سنقوم بنشر موضوعاتها على حلقات، هادفين بذلك، الى اطلاع قرائنا على جوانب هامة، من تجارب الحزب الشيوعي العراقي الغنية.

(٣)

اصدار "القاعدة" بدل "الشرارة"

في تموز ١٩٤٢ أنشقت أول كتلة عن الحزب، وقد عرفوا باسم "الاماميين" نسبة الى جريدتهم "الى الأمام"، وكان على رأس هذه الجماعة دنون أيوب، وهاجمت هذه الجريدة الحزب بلا خجل، تطالب بالحرية وعدم التقيد بالضبط الحزبي، وقد حلت نفسها لتنضم الى كتلة انتهازية ثانية سميت بـ "المؤتمرين"، لأنهم عقدوا مؤتمرا انشقاقيا معاديا للحزب، مطالبين بنظام داخلي وديمقراطية التنظيم وحرية مطلقة، منكرين ديكتاتورية البروليتاريا ومعتبرين العدو الرئيسي

Digitized by Birzeit University Library

للشعب العراقي الاقطاع وليس الاستعمار، وقد استولوا على مطبعة الحزب وجريدته الشرارة، فاصدرت اللجنة المركزية للحزب قرارا باجماع الآراء في ١٦ آب ١٩٤٢ بطرد الاعضاء قادر وفاضل ومحمود - (اسماؤهم الحزبية) - من الحزب باعتبارهم خونة مارقين، وجاء في هذا القرار، ان الرجعية العراقية والأجنبية ساءها نمو الحزب واطراد تقدمه، فخشية مغبة الأمر، تمكنت بمغرياتها وأساليبها الجاسوسية، بالتعاون مع العناصر الانتهازية "المنشفيكية" أن تستدرج قادر وفاضل الى خدمتها للقضاء على الحزب وتحطيمه، ومما لا شك فيه ان هذه الجريمة خطرة لأنها انبعثت من الداخل، والواقع ان المنشقين قادر وفاضل ومحمود حاولوا اتيان عمل لم تستطع الرجعية في مختلف مراحل نضال الحزب أتيانه(١١٩).

وكما أصدرت اللجنة المركزية في اجتماعها المنعقد في كانون الأول ١٩٤٢ القرار التالي "بعد أن وقعت الشرارة بايدي المخربين الانتهازيين، أصبحت لسان حال انتهازيتهم وبطلت ان تكون لسان حال حزبنا، ولما كان الواجب يحتم علينا أن يستأنف اصدار نشرة تقوم مقام الشرارة القديمة وتكون لسان حال الحزب الشيوعي العراقي. فقد تم الاتفاق بالاجماع على اصدار نشرة باسم "القاعدة"، وهو اسم يعبر تمام التعبير عن الظروف الاخيرة التي احاطت بالحزب من جراء خيانة رياض وعصبته تلك الخيانة التي دبرها أربعة خونة متآمرين من اعضاء اللجنة المركزية والتي خنقت بفضل اعضاء اللجنة الآخرين يدعمهم الصمود الجبار الذي صمدته قاعدة الحزب الواعية(١٢٠).

صدور "القاعدة" لسان حال الحزب الشيوعي

وهكذا صدر أول عدد من جريدة "القاعدة" في أواخر كانون ثاني ١٩٤٣، لتصبح سلاحا ماضيا بيد قيادة الحزب الماركسية - اللينينية ضد جميع فصائل الانتهازية، وتعبيرا عن التفاف قاعدة الحزب تحت قيادة الرفيق الخالد فهد.

وفي سنة ١٩٣٤ أنشق نفر آخر عن الحزب وشكل "رابطة الشيوعيين"، واصدر جريدة باسم "العمل" كما انفصل الانتهازيون الاكراد عن هذه الكتلة، ليكونوا حزبا شيوعيا كرديا منفصلا واصدروا جريدة باسم "شورش" (الثورة). وحلت هذه الكتلة نفسها وعاد المخلصون منهم الى صفوف الحزب، ثم تجمعت فلول جميع الكتل الانتهازية لتشكل كتلة انتهازية جديدة. أصدرت جريدة سميت "وحدة النضال" وقد حلت نفسها عام ١٩٤٥ وعاد المخلصون منهم الى صفوف الحزب(١٢١).

لقد لخص تجربة الحزب الثمينة لهذه الفترة الرفيق فهد في كراسة "حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية" موضحا الاساس الموضوعي لظهور التيارات الانتهازية في الأحزاب الشيوعية فكتب:

"اني ذكرت لكم اشخاصا جاءوا بانحرافات وقاموا بتخريبات. ولكن احذركم من الظن بأن ذلك لم يحدث لولا اولئك الأشخاص المعنيين احذركم من الظن بأن ما حدث في الحزب مجرد أعمال شخصيه لا تيارات وان لم تتبلور بشكلها النهائي بعد، لأسباب متصلة بحركتنا، وان كانت غريبة ايديولوجيا. اني لا انكر دور الأشخاص في هذه الانحرافات ولكنهم ليسوا مصدرها. انهم نبتات جذورها الراسخة في تربة قطرنا. ان العدو ليضحك من عقولنا ويفرح ان نحن حاربنا أوراق

Digitized by Birzeit University Library

الشجرة وأغصانها وتركنا جذورها سالمة. علينا أن لا نكون أغبياء الى حد اعتبار الأخطاء التي نشأت وتنشأ في وسطنا متأتية عن أولئك الأشخاص فحاربهم دون محاربة التيارات الانحرافية وتنظيف حركتنا منها.

لقد خرج الحزب الشيوعي العراقي من هذه المعارك الايديولوجية والسياسية والتنظيمية التي حفلت بها هذه الفترة من تاريخه، متراص الصفوف ذا خبرة نضالية جبارة وتقاليد ثورية ضد التيارات الانتهازية والحركات الانفصالية، والتصفوية مما وطد كيانه وعمق جذوره في ضمير الشعب العراقي وفي هذا يكمن سر بقائه جماهيريا قويا رغم كل محاولات اعدائه المتعددة للقضاء عليه(١٢٢).

وفي سنة ١٩٤٣ أرتأت الأممية الشيوعية حل تنظيمها فاستفتت عن ذلك حزبنا شأنه شأن الأحزاب الشقيقة الأعضاء في الأممية الشيوعية وقد كتب الرفيق الخالد فهد مقالا في افتتاحية "القاعدة" موضحا رأي الحزب في هذا الموضوع وتحت عنوان "حل الأممية الشيوعية والواجبات المترتبة على حزبنا" لخص فيه واجبات الحزب في المرحلة الجديدة وهي:

١- تعزيز جبهة الأمم المتحدة في نضالها من أجل الانتصار على الطغيان الهتلري.

٢- مكافحة الفاشستية العدو المشترك لجميع الشعوب ومكافحة رتلها الخامس.

٣- تعزيز النظام الديمقراطي في العراق وذلك بالنضال في سبيل تطبيق الدستور العراقي واحترامه من قبل السلطات الحاكمة.

٤- تأمين الخبز للناس وحاجياتهم الضرورية ومكافحة الغلاء.

٥- رفع مستوى العراق اقتصاديا وثقافيا وصحيا واجتماعيا وتحسين مستوى الشعب عموما.

٦- الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة.

٧- تحسين حالة الفلاح العراقي والدفاع عن مصالحه.

٨- تصريح الأطلسي: اننا نؤيد هذا التصريح ونتمسك بما تضمنه من حق الشعوب في تقرير مصيرها.

٩- تقوية الحزب الشيوعي العراقي، وذلك بتقوية صلاته أكثر من قبل الجماهير الشعبية وبزيادة عضويته من بين البروليتاريا(١٢٣).

وفي هذه الفترة وطد الحزب الشيوعي العراقي بناءه في غمرة كفاح لا يلين ضد التيارات الغربية على حركة الطبقة العاملة والداعية الى التحلل والليبرالية وحتى الى حل الحزب وحر فوضوية المثقفين الثوريين والاشتراكية الديمقراطية وارستقراطية العمال. وقد توطد كيان الحزب في هذا النضال الايديولوجي على أساس القواعد اللينينية في حياة الحزب الداخلية ومباديء المركزية الديمقراطية ووحدة الارادة والعمل والتقيد بالضبط البروليتاري، الشرط الأول الضروري لانتصار الثورة الحاسم ولتحرير الطبقة العاملة والمجتمع فكانت جهود مؤسس الحزب الرفيق الخالد فهد من عام ١٩٣٨ وحتى المؤتمر الوطني الأول عام ١٩٤٥ مكرسة لاعادة بناء الحزب وترسيخ وحدته وتوطيد تنظيمه وتقاليده الثورية على أساس الماركسية - اللينينية والأممية البروليتارية.

Digitized by Birzeit University Library

الكونفرنس الأول للحزب الشيوعي العراقي

شباط ١٩٤٤

ان مؤتمري موسكو وطهران عام ١٩٤٣ قد حتما مصير الهتلرية واذنابها وباتت الشعوب تريد الاسراع في كسب الحرب للرجوع الى البناء السلمي. فقد الهبت العواصف الثورية الانتصارات الباهرة التي حققها الجيش الأحمر على الجيوش الهتلرية. والشعوب التي ذاقت أهوال الحكم الهتلري والشعوب في المستعمرات لم تعد ترضى لنفسها الاستمرار على العيش وفق النسق القديم.

وفي الواقع ان العراق لم يتحرر من السيطرة الأجنبية ولم يمارس قط سيادته الوطنية كقطر مستقل الا في نواحي ضيقة حصل عليها الشعب نتيجة نضاله. ولقد سار العراق خلال سني "استقلاله" في سياسته الخارجية كذيل لبريطانيا في عصبة الأمم وفي علاقاته الدبلوماسية مع هذه الدول أو ضدها وسلك كأداة منفذة لسياستها بين الأقطار العربية المجاورة "فترى حكومتنا التي تعلن الحرب على دول المحور "بالرسميات فقط" لم تتقدم حتى الان بايجاد علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي القطب الجبار في جبهة الأمم المتحدة ولا اعترفت بلجنة التحرير الفرنسية مع العلم بأن مصلحة العرب عامة والعراق خاصة تفرض علينا الاسراع بايجاد علاقات لنا مع دولتين ديمقراطيتين لهما مكانتهما الدولية في الشرق القريب منا .."(١٢٤).

أما السياسةالداخليةفقد كانت ولا تزال في جوهرها تمليها مصلحة الاستعمار وظروفه الآنية ولا أثر للتمثيل الشعبي فيه رغم نص الدستور على أن العراق مملكة دستورية برلمانية، فكانت تستقيل وزارة ويؤتى بغيرها وتحل مجالس ويعين بديلها، والشعب لا يدري أسبابها ودوافعها، والشعب لا يهتم بما يحدث فقد خبر الشعب العراقي رجال السياسة الذين تناوبوا على دست الحكم فلم يجد فيهم سوى اداة عنف لاخضاعه ولتسليمه بالأمر الواقع، والوطنيون من رجال السياسة الذين كانوا خارج الحكم بموقفهم السلبي في النضال وانتظارهم الطويل لاصلاح الأمور من ذاتها ساعدوا في اتخاذ الشعب هذا الموقف اللامبالي مما يدور حوله، بالاضافة الى الضيق الاقتصادي الذي يقاسيه الشعب نتيجة الاحتكار والمضاربة بالمواد الغذائية، وبكافة ضروريات الحياة تحت أنظار الحكومة، ومساهمة بعض كبار موظفيها ووزرائها ونوابها الاقطاعيين، فالجهاز الحكومي البيروقراطي متفسخ من القمة حتى الأسفل، جهاز لم يفكر أعضاؤه يوما من الأيام بأنهم وجدوا لخدمة الشعب الذي يعيلهم بالضرائب التي يدفعها لمرتباتهم، بل يحسبون أنفسهم أصحاب حق مشروع في ابتزاز أموال الشعب بشكل ضرائب وسرقات ورشوات. ولاذلال مواطنيهم وليس بين أعضائه من لا يقول (نعم) لما يمليه عليه الانكليز مباشرة أو بالواسطة، ان كل وزير في الحكومة يعرف أنه يقوم على خدمة المصالح البريطانية دون مصالح بلاده وكما جاء في تقرير فهد للكونفرنس الحزبي الأول ".. وهل في مصلحة الاستعمار أن يكون موظفينا على غير ما هم عليه من فساد لاهين بما لديهم من قشور ليتسنى للاستعمار تمشية مصالحه وادامتها؟ ففساد نظامنا الحكومي ورجاله نتيجة لوجود الاستعمار في بلادنا(١٢٦).

كل هذه الأوضاع حتمت على الحزب الشيوعي العراقي درس الحالة وتعيين الأهداف الأساسية

Digitized by Birzeit University Library

لتلك المرحلة الدقيقة ولتهيئة الشعب منظما قويا للمطالبة والنضال من اجل حقه في الاستقلال الحقيقي واختيار شكل الحكم الذي يضمن له التقدم والرفاه(١٢٧).

ان هذه العوامل والظروف التي جابهت الحزب الشيوعي بواجبات كبيرة ومتشعبة دفعت اللجنة المركزية للحزب لدعوة كونفرنس حزبي طرحت أمامه تلك الواجبات لمعالجتها وتعيين مواقف وواجبات الحزب تجاهها، فاجتمع هذا الكونفرنس وكان الكونفرنس الحزبي الأول في شباط ١٩٤٤ وقد ساهم فيه ممثلون عن جميع منظمات الحزب (عدا منظمتين لم يتسن حضور ممثلين عنهما) ودرس المواد التالية. كما جاء في محضر الاجتماع فصوت لها بالاجماع وأصبحت نافذة ومنهاجا للحزب في تلك المرحلة (١٢٨):

١- تقرير الرفيق فهد عن

أ- الحالة الدولية.

ب- الحالة الداخلية.

ج- النفوذ البريطاني في العراق.

د- الحالة الحاضرة.

هـ شعارنا وميثاقنا الوطني، اي منهاجنا في مرحلتنا الراهنة.

و- كيف نحقق ميثاقنا الوطني.

ز- تقوية التنظيم الحزبي.

٢- العمل بين الشباب - تقرير الرفيق حازم.

٣- واجب الحزب التثقيفي - تقرير الرفيق صارم.

٤- تصديق ردود الرفاق الحزبيين حول استفتاء "الوحدة" (اعادة بعض المنشقين عن الحزب).

٥- تقرير عن حل الأممية الشيوعية - مقال الرفيق فهد.

وبعد أن القى الرفيق فهد التقرير عن الوضع العالمي والداخلي، وحدوا مهام المرحلة التي تجتازها البلاد، وعرض مهامها الأساسية في مشروع الميثاق الوطني، جرت مناقشة واسعة لبنود المشروع وبعد اجراء بعض التعديلات وافق المجتمعون عليه بالاجماع .. لقد شرح "الميثاق الوطني" لشعبنا بشكل واضح قضية الوطنية الديمقراطية، وصاغ الأهداف الأساسية لثورتنا الديمقراطية فنص على(١٢٩):-

١ - نناضل من أجل سيادتنا الوطنية.

٢ - نناضل لايجاد حكومة تعمل لمصلحة الشعب وجهاز حكومي .. ديمقراطي ..الخ.

٣ - نناضل لحل مشكلة التموين ..الخ.

٤ - أ- نناضل من أجل تنمية اقتصادنا الوطني.

ب- نناضل من أجل دفع الانتاج الزراعي.

ج- نناضل من أجل تخليص شعبنا من شركات الاحتكار الأجنبية.

٥ - نناضل من أجل ايقاف نهب أراضي الفلاحين والملاكين الصغار.

٦ - نناضل من أجل الدفاع عن مصالح العمال، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٧ - نناضل من أجل نظام ضرائب يعفي ذوي الدخل الصغير من أعبائها ..

٨ - توسيع نطاق التعليم لأبناء الشعب من كلا الجنسين وبدون تمييز ..

Digitized by Birzeit University Library

٩ - نناضل عن المرأة كمواطن ومساواتها بالرجل في الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

١٠- نناضل في سبيل ايجاد مساواة حقيقية في الحقوق القومية الكردية ..الخ.

١١- نناضل من أجل الاعتناء بالجندي العراقي المكلف. بصحته وتغذيته وتثقيفه ..

١٢- من أجل الصداقة والتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي مع الشعوب الديمقراطية، لتأسيس علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي.

١٣ - أ- نناضل في سبيل التقارب والتعارف السياسي بين الشعوب العربية.

ب- نناضل في سبيل ايجاد حلف شريف، اداة تنفيذ لهذه الغايات.

١٤- نناضل في سبيل التعاون الاجتماعي بين شعوب البلاد العربية.

١٥- نناضل في سبيل التعاون الاقتصادي بين الاقطار العربية من أجل المحافظة على ثروات بلادنا وتنميتها واستخدامها لرفع مستوى البلاد العربية الصناعي والزراعي .. الخ(١٣٠).

وأختتم الكونفرنس الحزبي الأول بنداءه المجيد الى كافة المواطنين "هذا هو ميثاقنا الوطني، هذا هو دستور مرحلتنا الحالية لكل مواطن شريف يحب وطنه وشعبه ومن أجل هذا ندعو كل مواطن شريف الى النضال لتحقيقه."(١٣١).

وهكذا فالحزب الشيوعي هو أول حزب بلور الأهداف الأساسية لحركة شعبنا التحررية وأصبحت منذ ذلك الحين منارا هاديا ليس للشيوعيين فقط في نضالهم الوطني التحرري، وانما لكل الوطنيين والقوى الوطنية، ومنذ ذلك الحين دخلت أكثر بنود الميثاق في برامج الأحزاب الوطنية الأخرى وهكذا يتجلى الدور الطليعي الذي أضطلع به الحزب في حركة شعبنا التحررية وسجل ارتفاعا في مستوى الوعي الوطني لدى الجماهير.

وبعد أن وضع الحزب الشيوعي برنامجه الوطني نشطت منظماته في سبيل تحقيقها ونشرها بين جماهير الشعب فازداد التفافها حوله بعد أن تعرفت على أهدافه الوطنية الحقة وجوهرها الانساني التقدمي. وكان البرنامج بمثابة الدم الحار الجديد الذي ضاعف نشاط الحزب على جميع الجبهات. وبعد أن أفلست جميع الكتل الانتهازية وتوطد بناء الحزب التنظيمي على أساس الماركسية اللينينية، وجدت قيادة الحزب بأن الظروف الذاتية والموضوعية تتطلب تثبيت الأسس التي يبنى عليها الحزب فقد تكدست لدى الحزب الخبرة العملية الكافية واغتنت كوادره بقسط كبير من التجربة والمعرفة النظرية مما يؤهلها لأن تضطلع بمهمة وضع نظام داخلي يستند عليه الحزب في حياته الداخلية فيتوقف على تطبيقها تثبيت كيان الحزب التنظيمي وقوته وتوسيع منظماته وتوحيد صفوفه ونشاطه فعقد الحزب الشيوعي العراقي مؤتمره الوطني الأول.

المؤتمر الأول للحزب الشيوعي العراقي

عام ١٩٤٥

عقد الحزب مؤتمره الوطني الأول تحت شعاري "وطن حر وشعب سعيد". و "قووا تنظيم حزبكم، قووا تنظيم الحركة الوطنية". وقد أوضح الرفيق فهد في خطاب الافتتاح أهمية التنظيم الحزبي وخصوصا التنظيم الحزبي الشيوعي لتحقيق أهداف الشعوب وصيانتها قائلا:

"أيها الرفاق تذكروا دائما أننا في عصر تريد فيه بيوتات مالية معدودة في الاقطار المستعمرة

Digitized by Birzeit University Library

فرض دكتاتوريتها الطبقية المكشوفة، هذه الطغمة البربرية المتمثلة بالنازية - الفاشية وجدت ثغرة لهجومها في تفكك وضعف التنظيم عند القوى الديمقراطية فبدأت في اقطارها حتى اغرقت العالم بجرائمها.

تذكروا أيها الرفاق أن هذه القوة الجهنمية لم تستطع الشروع بتنفيذ خططها الجهنمية الا بعد أن حطمت جميع أشكال التنظيمات الشعبية، وبصورة خاصة تنظيمات الطبقة العاملة وتركتها دون سلاح تدافع به عن نفسها.

تذكروا أن الرجعية عندنا بالاتفاق مع الاستعمار بعد "معاهدة الاستقلال" عمدت قبل كل شيء الى حل الاحزاب الموجودة وقضت على حق الشعب في التنظيم فنجحت الى حد بعيد في تفكيك قوى شعبنا.

أيها الرفاق ان ميثاقنا الوطني ليس باسطورة، بل هو منهاج عملي لا يتحقق بدون تنظيمات ملائمة، شعبية قوية وهذه لا تتم عندنا اليوم بدون تقوية التنظيم الحزبي عندنا"(١٣٢).

وأفضل تحليل للوضع العالمي والداخلي لتلك الفترة جاء في التقرير الذي القاه الرفيق فهد السكرتير العام للحزب في المؤتمر الوطني الأول حيث قال:

"عندما كنا نجتمع في مثل هذا المؤتمر (الكونفرنس الحزبي الأول) في العام الماضي كان الجيش الأحمر يطوق القطعات النازية ويفنيها في منعطف الدنيبر وفي ميدان لينين غراد. أما اليوم فقد طهرت أراضي الاتحاد السوفياتي جميعها من رجس المعتدين وتحررت تقريبا جميعا الاقطار الاوروبية.

وربط الرفيق فهد في تقريره بين نهاية الحرب وتطلع الشعوب الى التحرر من جهة وبين نهاية الحرب ونكوص الدول الرأسمالية عن تعهداتها ومواثيقها من جهة اخرى قائلا: "ان تقدم الجيش الأحمر السريع ومؤتمر القرم قربا من أجل الحرب وقربا موعد استحقاق كمبيالة الأطلسي، وكنا نود أن نرى بريطانيا والولايات المتحدة صاحبتي تصريح الأطلسي الأوليين، تستعدان للاعتراف للشعوب بحق تقرير مصيرها واختيار حكوماتها بذاتها."

"ان حزبنا الشيوعي يرى في التدخل بشؤون العراق المعترف باستقلاله من قبل بريطانيا نفسها، تجاوزا على الاتفاقيات المعقودة بين العراق وبريطانيا .. فالشعب العراقي يحتفظ بحقه الكامل بالمطالبة بمنع التدخل الأجنبي في شؤون العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحقه في المطالبة بالغاء جميع الامتيازات المضرة بمصالحه وباستقلاله والتي لم يكن له رأي في اعطائها .."

كما نبه الرفيق فهد الى بداية تغلغل نفوذ الاستعمار الأمريكي في بلادنا قائلا:

" وأمر آخر خطير أود تنبيه حزبنا اليه وهو التنافس الاستعماري الاميركي الذي ظهر منذ أكثر من سنة بشكل اقتصادي - الاستحواذ على مصادر نفطية في بلاد العرب - ثم الدفاع عن القضية الصهيونية يظهر الآن بشكل جديد، فالامريكان يريدون الآن أن يوجدوا لهم قاعدة اجتماعية في العراق، يريدون أن يستغلوا وضع الأكراد ويجعلوا منهم قاعدة اجتماعية لهم. لقد جاء العراق مؤخرا المستر (هارولد) الصحافي الأمريكي وأخذ يتصل بالشخصيات الكردية وبدأت المساومات بينهم وبينه وبدء يعطي الوعود الاستعمارية للأكراد بتوحيد المناطق الكردية وما أشبه.

اننا ننبه اخواننا الأكراد الى أن قضيتهم الوطنية مرتبطة بقضية العراق التحررية وان حرية

Digitized by Birzeit University Library

الأكراد في العراق لا تأتيهم عن طريق الوعود الاستعمارية من هذا المستر أو ذاك بل بالنضال المشترك مع العرب من أجل استكمال استقلال العراق.

ان حزبنا يدعو الى الصداقة العربية الكردية، الى النضال المشترك من أجل قضية العرب والأكراد على السواء".

الوضع السياسي والداخلي

وجاء في التقرير عن الوضع الداخلي ما يلي:- "جاءت حكومة الباجه جي الى الحكم اثر ضجة برلمانية اثيرت ضد سابقتها - حكومة نوري السعيد - فاضطرتها كما هو ظاهر الى التخلي. وفي مثل هذه الحالة على حكومة الباجه جي ان تنفذ مطاليب المعارضة، أحزابا سياسية وحقوقا ديمقراطية أخرى، حل مشكلة التموين، علاقة دبلوماسية مع الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية واصلاح شامل في العراق". ان حكومة الباجه جي اجابت مطلبين من مطالب المعارضة (مطالب الشعب العراقي): اعترفت لعمال بعض أقسام الصناعات بحقهم في تأليف نقاباتهم، أما العمال المستخدمون لدى الجيش البريطاني وهؤلاء يعدون بالآلاف، رفضت السماح لهم بالانتماء الى نقابة عمال السكك الحديدية كما انها لم تجب مطاليب عمال "البورت" الميناء في البصرة عمال شركة الكهرباء الأجنبية في بغداد ..

"كما أنها أنشأت العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي وهذا عمل وطني مشكور اذ ان اعتراف الدولة السوفياتية بدولة العراق تعزز استقلاله ومكانته اذا ما وجدت حكومة حازمة تغار على السيادة الوطنية وعلى مصلحة الشعب".

"وما عدا هذين العملين الطيبين لم تلب حكومة الباجه جي مطاليب الشعب الأخرى الملحة". وقد أعطى التقرير تحليلا للمعارضة البرلمانية التي اشتدت آنذاك قائلا "ان المعارضين على صنفين رئيسيين، فالصنف الأول يتألف من كادر الاستعمار عندنا ..، والثاني من المعارضين ينقسم الى فريقين الأول من وطنيين شاعرين بضرورة الاصلاح، والثاني من أصحاب مصالح.

"كما برز دور الصحافة الوطنية في اسناد المعارضة وخاصة جريدة "الأهالي"، الرأي العام وقال: "وحاربت الصحف وأظهرت كل طلب للاصلاح بمظهر للشيوعية ولاظهار الشيوعية على غير حقيقتها" وأنتهى التقرير بالنداء التالي:

"ان الواجب الوطني أيها الرفاق يلقي علينا مسؤولية عظمى، مسؤولية تنبيه شعبنا الى محاولات المستعمرين لتثبيت النفوذ الاستعماري في بلادنا الى الدسائس الاستعمارية الرامية الى تقسيم شعبنا وتفريقه، الى محاولات الرجعية للوقوف في طريق الاصلاح الذي ينشده شعبنا، ان الواجب يدعونا أيها الرفيق الى العمل السريع على تنظيم شعبنا وتجنيد قواه لاحباط محاولات جميع الذين يريدون تفريق شعبنا، جميع الذين يريدون الوقوف ضد شعبنا في نضاله من أجل "وطن حر وشعب سعيد" فالى العمل المثمر ادعو جميع المواطنين"(١٢٣).

ثم انتقل المؤتمر الى مناقشة تقرير الرفيق فهد عن التنظيم والنظام الداخلي الذي جاء فيه:-

"كان حزبنا قبل مؤتمر الميثاق الوطني (الكونفرنس الحزبي الأول) يفتقر الى أمر هام هو تبيان أهدافه واثبات وجوده للشعب وللطبقة العاملة فمؤتمر الميثاق الوطني جمع هذه الأهداف بشكل لا يقبل الالتباس والتأويل". وقد برهن تاريخ نضال سنة واحدة على صواب تلك القرارات.

Digitized by Birzeit University Library

ان المسألة الثانية التي تعذر الجواب عليها قبل اليوم هي المسألة التنظيمية الأساسية، فمسألة وضع النظام الداخلي للحزب، وهذه هي مشكلة الساعة المستفحلة وعلى حلها يتوقف تثبيت الحزب تنظيميا وتقويته وتوسيع تنظيماته وتوحيد نشاطه جميعا.

وتطرق التقرير الى الأسباب التي قامت دون وضع النظام الداخلي قبل المؤتمر فقال: "لقد طالبنا الطيبون بنظام داخلي للحزب كما انتقص الأشرار من حزبنا لعدم حيازته على نظام داخلي، طالبونا عندما كان حزبنا في دور التكوين وعندما كان كادر القيادة الحزبي قليل العدد .. قليل الخبرة. فارتأت أخيرا اللجنة المركزية وقررت دعوة المؤتمر الوطني الأول "مؤتمر التنظيم هذا، بعد أن تأكدت أنه سيضم مندوبين يؤلفون وحدة في الارادة والعمل والتنظيم، يمثلون منظمات حزبية ولديهم وعي طبقي ونضج سياسي وخبرة عملية كافية تكسبهم حق وضع أنظمة ومنهاج الحزب الشيوعي العراقي وحق رسم خططه وانتخاب قيادته(١٣٤)، وأنهى المؤتمر أعماله بانتخاب اللجنة المركزية والسكرتير العام للحزب "الرفيق فهد"، لقد جاء هذان الحدثان (الكونفرنس الحزبي الأول والمؤتمر الوطني الأول) صفعة قوية بوجه الاستعمار والرجعية وبوجه أدعياء الشيوعية الانتهازيين الذين كانوا يتسترون في محاربة الحزب وراء حجج واهية مثل عدم وجود برنامج ونظام داخلي له، ويهاجمون القيادة تحت ستار عدم انتخاب السكرتير ويرددون نغمة الديكتاتورية.

وفي هذين الحدثين العظيمين في تاريخ الحزب كان الحزب الشيوعي العراقي قد هيأ نفسه على المستويين السياسي والتنظيمي لقيادة المعارك الوطنية والقومية والطبقية التالية التي حفل بها تاريخه المجيد(١٣٥).

نضال الحزب الشيوعي وصحافته في المجال العمالي.

لقد كرس الحزب منذ نشوئه، جهدا متواصلا لنشر وتعميق الوعي الطبقي والوطني في صفوف الطبقة العاملة العراقية وتعبئتها في منظمات نقابية وسياسية ودفعها للنضال الاقتصادي والسياسي.

ظهر العمال على مسرح السياسة العراقية في نهاية عام ١٩٤١ نتيجة للحالة المعاشية السيئة، وقد نمت هذه الحركة تحت شعار تهيئة العمل للعاطلين وتطبيق قانون العمال رقم (٧٢ لسنة ١٩٣٦) فحدثت سلسلة من الاضرابات العمالية (١٩٤١ - ١٩٤٣) أضطرت الحكومة لاجابة بعض مطاليب العمال ففي سنة ١٩٤٣ اجريت بعض التعديلات على قانون العمل، ارتأت فيه اقامة لجان العمل للنظر في المشاكل والخلافات التي تحدث في المعامل وتحسين حالة العمل للنساء وزيادة الاجور بالنسبة لأيام العمل في العطل واعطاء اجور للعمل الاضافي (Over Time) ومنع تشغيل الأطفال(١٣٦). لم يكتفي العمال بهذه الانتصارات التي احرزوها وانما تطورت الحركة العمالية باتجاه المطاليب بالتنظيم والحريات الديمقراطية بالاضافة الى المطالبة بتحسين الحياة الاقتصادية، ففي عام ١٩٤٤ تقدم عدد كبير من العمال من مختلف المهن والأصناف بطلبات الى الحكومة لاجازة النقابات العمالية، فترددت حكومة الباجه جي كثيرا في اجازة هذه النقابات، فاستمر العمال في الضغط على الحكومة من أجل السماح لهم بانشاء هذه النقابات،

Digitized by Birzeit University Library

ساند الحزب العمال في مطالبتهم بانشاء النقابات فقد كتب الرفيق الخالد فهد في جريدة القاعدة يقول، "اننا نطلب الى رفاقنا العمال الذين قدموا طلبات بتأليف النقابات أن:

١- أن يميزوا طلبهم بعريضة يرفعونها الى رئيس الوزراء مصحوبة بمضابط تأييد من مئات وألوف العمال المستعدين على توقيعها.

٢- تأليف وفد كبير من المؤسسين ومن عمال صناعاتهم لمقابلة المراجع المسؤولة وربما من الأوفق أن يحمل هذا الوفد عريضة التمييز الى رئيس الوزراء.

٣- ان يحدد عمال بغداد يوم الاضراب يسمونه يوم النقابة، في حالة عدم أجابة طلباتهم خلال مدة معلومة (لا تزيد على خمسة عشر يوما)(١٣٧)".

وقد حدد الحزب الشيوعي طابع الحركة النقابية وصفاتها وطابعها التنظيمي ووضع الشروط الأساسية لها تنويرا لطبقتنا العاملة اذ جاء في جريدة "القاعدة" مقالا بعنوان "النقابة شعار اليوم" جاء فيه، "ان الشروط الأساسية للتنظيم النقابي هي:

١- أن يضم التنظيم النقابي جميع المشاريع الصناعية، آلية وغير آلية، وأن يضم الأكثرية الساحقة من العمال الماهرين وغير الماهرين.

٢- تثبيت النقابات وتقويتها والدفاع عنها والحيلولة دون التفريق بين العمال.

٣- منع تسرب نفوذ أرباب الأعمال والنفوذ المعادي بصورة عامة الى قيادة الحركة النقابية ومنع تسيرها في اتجاهات ممقوتة لا تخدم مصالح الطبقة العاملة في مرحلتها الراهنة(١٣٨)".

ودعا الحزب المواطنين الطيبين الى وجوب دعم نضال الطبقة العاملة العراقية في حركتها النقابية باعتبارها أولا الجبهة الأولى الوحيدة آنذاك في النضال الوطني الديمقراطي، تفتح الباب للتنظيم النقابي الذي لا بد أن يتبعه اشكال أخرى من التنظيم السياسي الديمقراطي. وثانيا لأنها تهدف رفع مستوى الطبقة العاملة العراقية التي هي أكبر طبقة مدنية يقع على عاتقها تحرر المجتمع في المستقبل. كما أصدر الحزب نشرة بعنوان "صوت العمال" نشرة عمالية داخلية وقد دعت النشرة الى النضال ضد الارهاب ومن أجل حرية التنظيم النقابي لكافة العمال(١٣٩).

الحزب الشيوعي وصحافته في اسناد نضال الفلاحين

ساند الحزب ونظم منذ تأسيسه نضال الفلاحين ضد الظلم والاستغلال ودافع عن حقوقهم المشروعة. ودعم انتفاضاتهم في أرياف العراق وكردستان. لقد جاء بالتقرير الذي قدمه الرفيق فهد للكونفرنس الحزبي الأول والذي أقره مؤتمره الوطني الأول عام ١٩٤٥، تناول بالتحليل الوضع الاقتصادي في الريف فقال "ان العوامل التي عملت على عرقلة تصنيع القطر هي ذاتها المسؤولة عن تأخرنا الزراعي واعتمادنا أساليب وأدوات انتاج يعود معظمها الى عهود بابل ونينوى والعلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاع تفرض رسوم واستقطاعات لا تجد لها أسما في قواميس الضرائب فالفلاح عدا ما يدفعه بدل ايجار الأرض والضرائب الحكومية فهو ملزم بدفع ضرائب للشيوخ والسراكيل قد تبلغ احيانا نصف حصته أو تفوق، هذا عدا الربا الفاحش الذي لا يقل في اي حال عن الـ ٦٠٪ وعدا نهب التجار بدون رحمة في شراء حاصلاتهم وفي بيعهم ما يحتاجون اليه وهذه الصفقات تتم في أغلب الأحيان بطريقة تجارية في ظاهرها، أما جوهرها فربا

Digitized by Birzeit University Library

فاحش. واقصد هنا بيع الحاصلات بالطريقة التي تسمى "على الأخضر" وهذه تتم عندما يضطر الفلاح على الاستقراض للاستمرار في الانتاج.

ولقد تعرض فلاحوا العراق في السنوات الأخيرة الى خسران أراضي كانوا هم وآباؤهم وأجدادهم قد عمروها ولا يزال هذا الانتقال لملكية أراضي الفلاحين يجري، فتسجل الأراضي باسم رجال الدولة المتنفذين ورجال الاقطاع الأغنياء ..

لقد عمل الحزب سنة ١٩٤٥ على تأسيس منظمة باسم "جمعية أصدقاء الفلاح" وأكد الرفيق فهد من خلال مقالة في جريدة "القاعدة" على أهمية تأسيس جمعيات أصدقاء الفلاح في مساعدة الفلاحين وأوضح أن واجب تأليف هذه الجمعيات ملقى على عاتق متعلمي المدينة ومثقفيها وحرفييها وعمالها الذين يهمهم رفع مستوى الفلاح ويرون في خضوعه للنظام الاقطاعي السائد عائقا دون نفعهم ورفاههم(١٤٠).

ودعا الشباب الى اخراج هذه الفكرة الى حيز العمل، فقدم (فعل ضمد) و٧ أشخاص آخرين طلبا الى وزارة الداخلية بواسطة متصرف لواء العمارة لتأسيس جمعية باسم "أصدقاء الفلاح"(١٤١)، الا ان وزارة الداخلية لم تجز الجمعية لاتهام طالبي التأسيس بالشيوعية ولكن الهيئة المؤسسة استمرت في العمل بدأب ونشاط.

كما كان لا يخلو أي عدد من جريدة "القاعدة" من شيء عن أخبار الفلاحين وشرح أو أوضاعهم الشاذة ويدعو للنضال من أجل القضاء على الاقطاع والعلاقات الاقطاعية ومن أجل توزيع الأراضي على الفلاحين ورفع مستوى الفلاح الاقتصادي والاجتماعي والصحي.

صحافة الحزب والجبهة الوطنية الموحدة

كان الحزب الشيوعي العراقي هو أول حزب سياسي في العراق طرح شعار "الجبهة الوطنية الموحدة" ففي سنة ١٩٣٦ قام الحزب بحملة فكرية من أجل تحقيق شعار الجبهة الوطنية الموحدة، وفي سنوات الحرب العالمية الثانية كان يتصدر الجريدة المركزية للحزب "القاعدة" شعار "يا جماهير الشعب احتدي ضد الفاشية وفي سبيل الخبز والحريات الديمقراطية في جبهة وطنية موحدة"، وذلك انطلاقا من الاهتمام الذي أبدته الحركة الشيوعية العالمية ومنظمتها "الأممية الشيوعية الثالثة" بموضوع وحدة نضال حركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة ووحدة نضال القوى الوطنية في البلدان المستعمرة والتابعة في النضال ضد الاستعمار، ومن التحليل العلمي للظروف الموضوعية التي تمر بها بلادنا وحركتنا الثورية والمهمات التي تجابهها(١٤٢).

جاء في تقرير اللجنة المركزية (كانون الأول ١٩٤٣) الذي نشرته "القاعدة" لقد طلبنا ولا زلنا ندعو الى تكوين الجبهة الوطنية الموحدة في العراق ولكن دعوتنا هذه قوبلت في حين من الأحيان من العناصر الديمقراطية بالصد مرة وبالرفض أخرى، فكان على حزبنا اذ ذاك أن يستمر مثابرا لوحده في اداء المهمة العظمى، مهمة النضال ضد النازية المجرمة العدو الأكبر لبلادنا المحبوبة وشعبنا العزيز.

ان الحزب الشيوعي العراقي لم يهمل واجبه ولا مرة واحدة في الدعوة للجبهة الوطنية

Digitized by Birzeit University Library

.."(١٤٣)، ودعت اللجنة المركزية الشيوعيين أن يزيدوا تغلغلهم بين الجماهير ونشر الوعي بينها.

ان انتصار الاتحاد السوفييتي وجبهة الشعوب الموحدة أدى الى دك صرح الفاشية الهتلرية وعمل على تعاظم النضال الوطني من أجل الاستقلال أو استكمال الاستقلال السياسي في المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة ومنها العراق، وفي مثل هذه الظروف وبعد أن سمحت الحكومة بتشكيل خمسة أحزاب وطنية بصورة علنية ولم تسمح لحزب التحرر الوطني بذلك. بذل الحزب الشيوعي بقيادة فهد جهودا مركزة من أجل تأليف جبهة وطنية تضم جميع الأحزاب لتناضل من أجل استكمال سيادة العراق ومجيء حكومة وطنية ديمقراطية .. "جبهة وطنية موحدة، هذا شعار العاملين اليوم في بلاد تريد الاستقلال أو استكمال الاستقلال. انه الطريق العملي الوحيد الذي يجب أن يسلكه جميع العاملين في الحركة الوطنية"(١٤٤).

ووضع الحزب آنذاك (١٩٤٥ - ١٩٤٦) لأول مرة في العراق الأسس التنظيمية والمنهجية لهذه الجبهة وحدد قواها الوطنية الرئيسية وفي الوقت نفسه أكد الحزب بثبات على ضرورة الحفاظ على الاستقلال التنظيمي والفكري والسياسي لكل من الأطراف المنضوية الى الجبهة، رحب الحزب باستئناف الحزب الوطني الديمقراطي لنشاطه السياسي وبين الحزب في جريدته المركزية "القاعدة" .. ان الواجب يدعوالوطنيين الطيبينان ينظموا أنفسهم ويواصلوا نضالهم في سبيل تحرير شعبنا من الاستعباد الاستعماري الانكليزي"(١٤٥). ووضع الحزب برنامجا للجبهة الوطنية المقترحة في (أيلول ١٩٥١) نشرته "القاعدة" دعا المنظمات والهيئات الوطنية الى التعاون ضمن هذا البرنامج الذي تضمن تحقيق المطاليب التالية:

١ - اسقاط وزارة نوري السعيد.

٢ - توسيع وتعزيز جبهة أنصار السلام في العراق، وابعاد العراق عن التكتلات والمواثيق العدوانية.

٣ - الغاء امتياز شركات النفط والتنوير ومصادرة ممتلكاتها وتأميمها.

٤ - احباط مشروع الاتحاد العراقي - الأردني.

٥ - اطلاق بنود الدستور المحبوسة واطلاق الحريات الديمقراطية بما فيها حرية تأليف الأحزاب والنقابات واطلاق سراح السجناء والمبعدين السياسيين.

٦ - الغاء معاهدة ١٩٣٠ العراقية - البريطانية وجميع المعاهدات والاتفاقات الاستعمارية.

٧ - اسقاط المجلس النيابي واجراء انتخابات حرة.

٨ - مصادرة أراضي الاقطاعيين وتوزيعها هي والأراضي الأميرية على الفلاحين.

٩ - منع تصدير الحنطة والحبوب الأخرى التي لا تزيد عن حاجة الاستهلاك المحلي، وتشجيع الصناعة الوطنية.

١٠ - حمل الحكومة العراقية على الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية(١٤٦).

الهوامش

١١٩- الشرارة العدد ٥ سنة ثانية آب ١٩٤٢.

١٢٠- القاعدة كانون ثاني ١٩٤٣.

١٢١- د. سعاد خيري، مصدر سابق ص ٩٥-١٠٠.

١٢٢- د. سعاد خيري، مصدر سابق ص ٩٥-١٠٠.

Digitized by Birzeit University Library

١٢٣- القاعدة عدد ٥ حزيران ١٩٤٣.

١٢٤- القاعدة عدد آذار ١٩٤٤.

١٢٥- سعاد خيري، مصدر سابق، ص ١٠٢.

١٢٦- جريدة القاعدة آذار سنة ١٩٤٤.

١٢٧- سعاد خيري، مصدر سابق ص ١٠٣.

١٢٨- نفس المصدر ص ١٠٤.

١٢٩- نفس المصدر ص ١٠٤.

١٣٠- الميثاق الوطني، كونفرنس الحزبي الأول ١٩٤٤.

١٣١- القاعدة آذار ١٩٤٤.

١٣٢- كراس قضيتنا الوطنية، يوسف سلمان.

١٣٣- نفس المصدر.

١٣٤- تقرير فهد للمؤتمر الوطني الأول ١٩٤٥.

١٣٥- سعاد خيري، مصدر سابق ص ١٢١.

١٣٦- فند جنكو، مصدر سابق بالروسية ص ١٠١.

١٣٧- القاعدة عدد ٤ ١٩٤٤.

١٣٨- القاعدة عدد ٥ ١٩٤٤.

١٣٩- صوت العمال - العدد الأول.

١٤٠- القاعدة عدد ١٣ تشرين ثاني ١٩٤٤.

١٤١- الرأي العام العدد ١٣٧٧ تشرين ثاني ١٩٤٤.

١٤٢- سعاد خيري، مصدرسابق ص ٧٧.

١٤٣- القاعدة عدد ١ كانون ثاني ١٩٤٣.

١٤٤- فهد، مقدمة كتاب حسين الشبيبي، طريقنا التاريخي.

١٤٥- القاعدة عدد ٣ سنة ٨ نيسان ١٩٥٠.

١٤٦- القاعدة عدد ١٦ سنة ٩ أواخر آذار.

والدة الإيطالية التي فقدت عينها في القدس:

أنا فخورة بك يا ابنتي

● مطران القدس كبوتشي في استقبالها لدى وصولها الى روما ●

● روما ـ كونا ـ عادت السيدة الايطالية الى هنا من أسرائيل، وسط استقبال الابطال، بعد أن فقدت احدى عينيها نتيجة لاطلاق جنود الاحتلال النار على متظاهرين مؤيدين للشعب الفلسطيني. وقالت والدة ماريزا مانو أنها فخورة جدا بابنتها التي اصيبت في مظاهرات يومي ٢٩ و٣٠ ديسمبر الماضي في القدس تضامنا مع الشعب العربي الفلسطيني.

وكان في استقبال السيدة مارْيزا والدتها وزوجها ومطران القدس في المنفى هيلاريون كبوتشي ووزير خارجية حكومة الظل الشيوعية، جورج نابوليتانو ونواب حزب الدمقراطية البروليتارية وحركات اليسار ورئيسة لجنة التنسيق النسوية لدعم فلسطين، انا سيرافيني.

وقالت ماريزا فور وصولها «سوف اكرر كل ما فعلت مرة اخرى لو قدر لي العودة الى القدس سوف اتظاهر مرة اخرى كما فعلت من اجل فلسطين والسلام». وعقبت والدتها وسط الدموع مرة اخرى «انا فخورة بك يا ابنتي».

وروت هذه الايطالية الشجاعة، التي فقدت عينها من اجل حرية شعب فلسطين العربي «كانت مظاهرة كبيرة ورائعة سلمية وهادئة تماما مما افقد الشرطة الاسرائيلية صوابها تماما ولم يقع حادث استفزاز واحد من جانب المتظاهرين لكن الشرطة هاجمتنا بوحشية وخلقت جوا من العنف الذي لايمكن ان يتصوره احد».

ومضت ماريزا تقول «اخذوا يضربون بالمطارق والهراوات ويطلقون العيارات المطاطية دون اسباب تذكر. ساعتها التجأت فورا لحماية نفسي الى فندق بيلجريم في القدس لاشاهد من النافذة وقائع القمع وهناك شاهدت جيدا احد رجال الشرطة يشير الى النافذة التي أقف عليها واصابني في عيني اليمنى».

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في بعض فصول برنامج الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا.

" الطريق الى السلطة " ١٩٨٩

- فيصل ابو السكن -

من أجل انتصار الديمقراطية والتقدم نحو الاشتراكية

المؤتمر السابع للحزب الشيوعي في جنوب افريقيا

"في ظل ظروف صعبة للغاية من اللاشرعية والفاشية والارهاب، بنى الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا قواعده السرية وأرسى دعائم نفوذه السياسي، ففي عام ١٩٥٠ تم حظر النشاط الشيوعي في جنوب افريقيا، ومنذ ذلك الحين والشيوعيون هناك يطاردون ويعتقلون ويعذبون ويقتلون، ورغم ذلك فقد ظلت افكار الماركسية اللينينية تجذب الناس وتثبت فعاليتها في مجال التغيير الاجتماعي، ويوما بعد يوم تترسخ قناعة الشعب الكادح ان الاشتراكية هي البديل لكل مظالم الرأسمالية ..

"الحياة الداخلية للحزب تسير على التقاليد اللينينية في المركزية الديمقراطية، فعلى مدار العقود الثلاثة الماضية حاولت القيادة أن تجعل هناك توازنا ما بين الديمقراطية والمركزية ، وحاولت أن تؤكد على أن جميع الاعضاء بما في ذلك الخلايا القاعدية تمنح لهم الفرصة الكافية من أجل المشاركة في صنع القرار السياسي، وحيثما توفرت الامكانية، فان المناصب العليا كانت تملأ عن طريق انتخابات مبنية على اساس الاقتراع السري .." ص ١٠ - ١١.

برنامج الحزب

"البرنامج السابق لحزب الطريق الى حرية جنوب افريقيا تبناه المؤتمر الخامس عام ١٩٦٢، وقد لعب هذا البرنامج دورا مرموقا في تحديد طبيعة المجتمع في جنوب افريقيا كما ساعد في بناء الحزب ، ولكن الفترة ما بين تبنيه وهذا العام شهدت تغييرا كبيرا في جنوب افريقيا وافريقيا الجنوبية وعلى صعيد القارة الافريقية بكاملها، والعالم بأجمعه من عدة وجوه،

Digitized by Birzeit University Library

ولهذا أصبح من الضروري تبني برنامج جديد يتلاءم مع التطورات التي نشأت ويسلط هذا الضوء على "الطريق الى السلطة" ص ١١.

وقد تمت مناقشة مسودة البرنامج من قبل جميع منظمات الحزب من القاعدة وحتى القمة وفي المؤتمر جاءت "النقاشات لتؤكد ان جميع المندوبين ليسوا منظرين مرتاحين في مقاعدهم الوثيرة، بل مقاتلين من أجل الحرية منخرطين تماما في العملية الثورية" ص ١٢.

الأممية

"أكد المؤتمر على مواقف الحزب الأممية، وعبر عن تضامنه مع جميع الشعوب والاحزاب وحركات التحرر التي تناضل ضد الامبريالية وسيطرة الاستعمار الجديد والعدوان، وبشكل خاص، أدان المؤتمر العدوان العنصري على دول المواجهة وعبر عن دعمه وتضامنه مع شعوب المنطقة ومنظمة شعب غرب جنوب افريقيا "سوابو".

وقد عبر المندوبون عن تقديرهم للدعم المبدأي وغير المشروط الذي تقدمه الدول الاشتراكية، وأكدوا ان الحزب سيستمر في النضال ضد الايدولوجيا والممارسة المناهضة للسوفييت، كما ثمنوا المبادرات السلمية السوفييتية والدور الذي لعبته القوات الكوبية في هزيمة الآلة العسكرية العنصرية في انغولا وفي المساهمة في تمهيد الطريق الى استقلال ناميبيا، كما تلقى المؤتمر رسائل دعم وتأييد من كافة الأحزاب الشيوعية في العالم" ص ١٢.

الطريق الى السلطة

(برنامج الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا الذي تم تبنيه في المؤتمر السابع عام ١٩٨٩)

مقدمة:

ان آفاق تحقيق تحول ثوري في جنوب افريقيا هذه الأيام هي أكبر مما كانت عليه في أي وقت من الأوقات، فنظام التفرقة العنصرية يواجه أزمة شاملة ناجمة عن نضالنا الثوري والخلافات الداخلية في صفوف الطبقة الحاكمة، ان ازمة النظام العنصري لا يمكن أن تحل الا بالتحول الثوري في هذه البلاد.

يقود المؤتمر الوطني الافريقي حرب التحرير الوطنية بالتعاون مع طليعة الطبقة العاملة- الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا - ومؤتمر النقابات المهنية في جنوب افريقيا، وهذا النضال التحرري يجمع بين عدة قوى دمقراطية وجماهيرية - الشباب، النساء، الطلاب والمدنيين وغير ذلك - بالاضافة الى الحركة النقابية.

ان هذه الجبهة العريضة، بديناميتها وتنظيمها ووحدتها في العمل قد اجتاحت كل أرجاء البلاد، وقد وصلت الى المصانع والمدن والمدارس والمناطق القروية، وقد أصبح نضالنا معروفا في كافة أرجاء العالم وصار يحث كل محبي الحرية في كل أرجاء البلاد. لقد كان بناء هذه الجبهة العريضة في داخل وخارج البلاد أهم انجاز حققناه بنضالنا.

في الثلاثين من تموز ١٩٢١، تم تأسيس الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا، وبهذا كان أول

Digitized by Birzeit University Library

حزب شيوعي في القارة الافريقية، وقد تجذر حزبنا في النضال والفكر والتنظيم الاشتراكيين اللذين وجدا في أشكال مختلفة منذ مطلع هذا القرن. لقد جاء تشكيل حزبنا بوحي مباشر من حزب لينين البلشفي ودوره الطليعي في أول ثورة اشتراكية، ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ ..

لقد فشل حظر النشاط الشيوعي واضطهاد الشيوعيين في القضاء علينا، فبعد حظر نشاط الحزب وحله بفترة وجيزة، تشكلت مجموعات شيوعية سرية في عدة مناطق، وفي عام ١٩٥٢، عقد سرا أول مؤتمر عام للحزب ..

"وفي الفترة الحاسمة القادمة، فان للحزب دور كبير في عملية التحريك والتنظيم والتطوير الايديولوجي لكافة أطراف العملية الثورية، وخصوصا الطبقة العاملة، ان النضال من أجل التحرر الوطني والقضاء على الكولونيالية من نوع خاص والانتقال الى الاشتراكية يتطلب حزبا طليعيا قادرا - في ظل ظروف جنوب افريقيا - على انجاز انضباط تنظيمي عال وتحليل دقيق للوضع قائمين على أساس الاشتراكية العلمية" ص ٧٢-٧٣.

حركات التحرر الوطني والنضال ضد الامبريالية في البلدان النامية

وتحت هذا العنوان جاء في البرنامج ان حركات التحرر الوطني والبلدان النامية سددت ضربات موجعة للامبريالية، ففي الخمسينات كان ثلث العالم يخضع للاستعمار، كما تلعب دول عدم الانحياز دورا مهما في السياسة العالمية، ولحركة عدم الانحياز مواقف مبدئية ضد الحرب والامبريالية والكولونيالية والتمييز العنصري، وهي تسعى من أجل خلق نظام اقتصادي عالمي جديد، وهذا النظام الذي تمت صياغته في العام ١٩٧٣ ينص على ما يلي:

- السيادة والمساواة لجميع الدول.
- حق كل بلد في اختيار طريق التطور الذي يريده.
- حق كل دولة في السيادة على مواردها الوطنية واقتصادها.
- الحق في ضبط مجمل نشاط الشركات فوق القومية.
- المساعدة الاقتصادية بدون أي ضغوط سياسية أو عسكرية.

والامبريالية التي تعتبر مناطق واسعة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية مناطق نفوذ لها، تحاول احباط مساعي البلدان النامية التي اختارت طريق البناء الاشتراكي.

ان نضال البلدان النامية ضد الامبريالية يرتبط ارتباطا وثيقا بنضال حركات التحرر الوطني ضد آخر بقايا النظام الكولونيالي، وبشكل خاص، فان اسرائيل الصهيونية ونظام التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا يعملان، كل في منطقتها، على اثارة القلاقل للدول المستقلة، ان نضال شعب فلسطين تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية، ونضال شعب ناميبيا تحت لواء منظمة شعب غرب جنوب افريقيا "سوابو" ونضال الغالبية السوداء في جنوب افريقيا تحت لواء المؤتمر الوطني الافريقي يكتسب أهمية أبعد من محتواه الحالي.

الانتقال الى الاشتراكية

Digitized by Birzeit University Library

وهنا يستعرض البرنامج الأخطاء التي وقعت في تطبيق الاشتراكية في بعض البلدان الافريقية، وأهم هذه الأخطاء هو القفز عن الظروف الموضوعية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، فعلى سبيل المثال، كانت هناك محاولات للقضاء على جميع اشكال الملكية الصغيرة، وهذا أدى الى تضييق القاعدة الاجتماعية للثورة والى الحاق اضرار عديدة بعملية السير نحو الاشتراكية، كما أنه وفي حالات محدودة، حاول بعض المتنفذين في أجهزة السلطة تجميع الثروة عن طريق الفساد واستغلوا مناصبهم من أجل حرف مسار عملية التحول الاشتراكي.

"ان عملية الانتقال الى الاشتراكية تتطلب الاعتماد على جماهير العمال، وتتطلب جهدا واعيا من أجل توسيع قاعدة الثورة، وهذا يتطلب العمل وبصبر من أجل كسب القوى الوطنية لصالح التقدم الاجتماعي، كما ان هذا يعتمد وبقدر كبير على قوة وتماسك الحزب الطليعي ونشاطه الايديولوجي المنظم في صفوف اعضائه والمجتمع، وعلى صعيد السياسة الخارجية فان علاقات المنفعة المتبادلة مع الدول الاشتراكية والتقدمية تكتسب أهمية عظيمة". ص ٨٥-٨٦.

منطقة افريقيا الجنوبية:

وفي معرض تحليلهم للوضع في المنطقة، يرى الشيوعيون في جنوب افريقيا ان تطور النظام العنصري هناك جاء لتكون جميع دول المنطقة معتمدة عليه في النقل والاقتصاد، وهكذا ظهرت جنوب افريقيا كدولة شبه امبريالية (Sub - Imperialist) لتكون شريكا للامبريالية ونائبا عنها في السيطرة على المنطقة.

كولونيالية من نوع خاص:

الرأسمالية في جنوب افريقيا متطورة، وهناك اضطهاد مثل بقية الانظمةالرأسمالية، ولكن هناك مميزات خاصة للوضع في جنوب افريقيا، فالطبقة البرجوازية الحاكمة تنتمي الى البيض، والأغلبية الساحقة التي يقع على كاهلها الاستغلال تتكون من المواطين السود، ويتمتع البيض بامتيازات كثيرة، صحيح ان هناك فروقا طبقية في كلا المعسكرين، البيض والسود، ولكن جميع البيض يستفيدون من الوضع القائم بدرجات متفاوتة ومختلفة وفي المقابل يعاني جميع السود من الاضطهاد بدرجات وطرق مختلفة.

أما بالنسبة للتركيبة الاجتماعية في جنوب افريقيا، فيقول الشيوعيون ان رأس المال يتحكم في جميع جوانب الحياة هناك، كما أن الطبقة العاملة الصناعية هي الأكثر عددا والسيادة للبرجوازية.

يبلغ تعداد البيض ٢ مليون، ومنهم رجال المال والاعمال والاداريين والتقنيين، وبالاضافة الى ذلك يشكل العمال البيض ارستقراطية عمالية، ويؤيد الكثير منهم الاحزاب الفاشية. ومع ذلك فان النقابات العمالية الخاصة بالبيض تثبت يوما بعد يوم انها عاجزة عن الدفاع عن مصالحهم، ورغم ان تنظيم العمال البيض في النقابات التقدمية وجذبهم بعيدا عن العنصرية ليس سهلا في الظرف الحالي، فانه يجب بذل كل جهد بهذا الاتجاه.

Digitized by Birzeit University Library

هناك خلافات في أوساط البيض ولكنها ليست حول ازالة التعسف الكولونيالي بل حول أفضل وسيلة للحفاظ على الامتيازات التي يتمتعون بها "ولكن، مع تعمق الزمة السياسية والاقتصادية، فان اعدادا متزايدة من البيض أخذت تشك فيما اذا كان نظام التفرقة العنصرية يعمل لصالحهم على المدى البعيد، وفيما اذا كان سيجلب لهم السلام والأمن، فسيادة العنصر الأبيض تعني صرف المزيد على النواحي العسكرية والبوليسية واثقال كاهل دافعي الضرائب وصرف الموارد عن طرق الانتاج المثمرة، انها تعني المزيد من التجنيد الاجباري للذكور البيض والخدمة العسكرية وحتى الموت في سبيل قضية غير عادلة .. ومستقبلا يلفه الغموض والخوف" ص ٩٤.

ومنذ العشرينات، انسلخ الكثير من البيض عن الأقلية التي ينتمون اليها ووقفوا بجانب السود وكانوا روادا في صفوف الحزب الشيوعي. ويعاني العمال السود من اضطهاد مزدوج، فبالاضافة الى الاستغلال الرأسمالي هناك فرق في الأجور بينهم وبين العمال البيض، ولكن الوعي الطبقي تطور لديهم من خلال العمل النقابي الذي يتجسد الآن في مؤتمر النقابات العمالية في جنوب افريقيا، وقد استجاب هؤلاء العمال للنداءات الوطنية واضربوا وعطلوا المناجم واتجه كثير منهم بنشاط لأخذ مواقعهم كماركسيين لينينيين في صفوف الحزب الشيوعي.

".. وفي بلدنا، فان هذه البروليتاريا تجمع قواها لتنهض بالدور التاريخي الذي تنبأ به ماركس وانجلز قبل أكثر من مئة سنة على الصعيد العالمي، فالطبقة العاملة في جنوب افريقيا، وهي تعد بالملايين في ظل اقتصاد رأسمالي متطور وتخوض نضالا ضد الاضطهاد القومي، مؤهلة لتكون حفارة قبر الاستغلال الرأسمالي .." ص ٩٦.

الثورة الوطنية الديمقراطية:

ان المهمة الملحة للغالبية العظمى لشعب جنوب افريقيا تكمن في مواصلة التغيير الأساسي: الثورة الوطنية الدمقراطية التي ستطيح بالكولونيالية وتؤسس جنوب افريقيا موحدة ودمقراطية ولا عنصرية، والمضمون الرئيسي لهذه الثورة هو التحرر الوطني للشعب الافريقي بوجه عام وللسود بوجه خاص.

تبين الخبرة التاريخية للشعوب المضطهدة في كل مكان ولشعبنا بشكل خاص، ان الطبقة الحاكمة لا تتخلى عن السلطة من تلقاء نفسها، انها يجب أن تعزل بالقوة المتحدة للشعب المناضل. ان استيلاء جماهير الثورة على السلطة هو المهمة الاساسية في الثورة الوطنية الدمقراطية، وهذا الأمر يقود حتما الى تحطيم مؤسسات الدولة القائمة التي تهدف الى الحفاظ على الاضطهاد الكولونيالي والدفاع عنه، واحلال مؤسسات دمقراطية محلها.

"وفي مجرى النضال، قامت جماهير الثورة ببناء أشكال أولية لحكومة الشعب في المناطق التي تم تحطيم المؤسسات العنصرية فيها أو اضعافها بشكل كبير،فاللجان الشعبية والمؤسسات الشعبية المرتبطة بها والجهود التي تهدف الى تدعيم الانجازات في مجالات أخرى مثل التعليم والثقافة والرياضة وغيرها تشكل تقدما خلاقا للثورة الوطنية الدمقراطية، وعلى الجماهير نفسها ان تجند القوة الكافية لتدعيم هذه المنجزات .. ان هذه المؤسسات ستساهم في تحديد محتوى الثورة الوطنية الدمقراطية. ان مهمة بناء وتقوية هذه المؤسسات والدفاع عنها يعد هدفا مهما للنضال .." ص١٠٢ - ١٠٣.

Digitized by Birzeit University Library

ومن بين المواضيع التي يشير اليها البرنامج ويدرجها ضمن أهداف الثورة الوطنية الدمقراطية بناء مؤسسات تمثيلية للشعب تقوم على أساس صوت واحد لكل ناخب، وعدم التفريق بين المواطنين على أساس العرق والجنس والملكية أو أية مواصفات أخرى .. ولضمان التقدم السريع للاقتصاد يجب أن يكون هناك ضبط شعبي لجميع قطاعات الاقتصاد الحيوية، وهذا الأمر يستوجب تقوية قطاع الحكومة في المناجم والصناعات الثقيلة والبنوك ..

دور الطبقة العاملة في الثورة الوطنية الديمقراطية:

ان تحقيق أهداف الثورة الوطنية الدمقراطية يعتمد على عوامل ومن أهمها: علاقة القوى الوطنية في التحالف الوطني، وقوة هذا التحالف بالقياس مع قوة الطبقات المطاح بها، وتوازن القوى على صعيد العالم، وبشكل نهائي، فان هذا يعتمد على الدورالمقرر الذي تتخذه الطبقة العاملة والناس المحرومون من ملكية الأرض والطبقات الوسطى في التحالف الدمقراطي ومن بين كل هذه القوى فان الطبقة العاملة هي القوة القائدة.

ان تحقيق هذه الأهداف يخضع لعوامل موضوعية وليس لرغبات أفراد وأحزاب معينة، وفي ظل هذا الوضع، فان وحدة كل المضطهدين والقوى الدمقراطية والتفافها حول المطالب الوطنية الدمقراطية تشكل أمضى سلاح ضد الحكام العنصريين.

ان ادراج الاشتراكية على جدول الأعمال حاليا يقلص من قاعدة التحالف الوطني ويؤدي بالمحصلة النهائية الى تأجيل تحقيق الاشتراكية .. ومع ذلك فان استراتيجية التحالفات لا تعني تخلي الطبقة العاملة عن تنظيماتها الخاصة بها. ان على الطبقة العاملة ان تقوى تنظيمها وتعززه في الوقت الذي تتعاون فيه مع القوى الدمقراطية، كما أن ذلك لا يعني تأجيل الدعاية الاشتراكية الى ما بعد الاستيلاء على السلطة. ان على الحزب الشيوعي ومنظات الطبقة العاملة الأخرى ان تعمق وتجذر الوعي الاشتراكي في صفوف الكادحين.

"واشنطن تايمز":

طائرة عسكرية اسرائيلية غادرت بنما قبل الغزو الأمريكي

واشنطن - الوكالات - ذكرت صحيفة "واشنطن تايمز"، يوم ١/١١، أن طائرة من طراز "سي - ١٣٠" تابعة للجيش الاسرائيلي اقلعت من بنما قبل ست ساعات من التدخل الامريكي في هذا البلد حاملة معها "أدلة" على وجود ترابط بين اسرائيل والرجل القوي السابق في بنما، مانويل انطونيو نورييغا.

ونقلت الصحيفة عن مصادر من أجهزة التجسس الامريكية ان الطائرة غادرت في الوقت الذي تم فيه ابلاغ العميل السابق في "الموساد" مايك هراري الذي كان مستشارا لنورييغا، الأمر الذي نفاه الأخير، عن التدخل الامريكي لفهرب من بنما.

ولم توضح الصحيفة ما اذا كان هراري موجودا على متن الطائرة الحربية الاسرائيلية ولا ما كانت تتضمنه "الادلة" على وجود روابط بين اسرائيل ونورييغا.

Digitized by Birzeit University Library

تساؤلات حول ملاحظات د. ابراهيم العلم حول المعمار الفني لقصتين من مجموعة صور وحكايات

- محمد أيوب -

في عدد يناير كانون ثاني ١٩٩٠ من مجلة الكاتب طالعنا الدكتور ابراهيم العلم بمقال يحمل عنوانا ضخما، وقد شدني العنوان فطالعت المقال، وقد فاجأني ما فيه من ابتسار وعسف، وقد تذكرت مقالا كان كتبه الدكتور زكي نجيب محمود في مجلة الفكرالمعاصر عدد كانون أول ديسمبر سنة ١٩٦٦ مما دفعني لمراجعة ما فيه، وفيه يقول ما نصه:

"واذا كنا كثيرا ما نسمع شكوى من أزمة النقد عندنا فان هذه الشكوى لها ما يبررها اذا أردنا النقد بمعناه الصحيح، وهو المعنى النظري المتكامل لكن ليس لها ما يبررها اذا أردنا التعليق الأدبي على ما يصدر من آثار أدبية، لأن صحفنا مليئة - والحمد لله - بالتعليقات التي تعلو بطائفة وتهبط بأخرى، صدورا عما ليس يعلمه الا الله من النزوات والدوافع".

ومن حقي بعد ايراد ملاحظة الدكتور زكي نجيب محمود السابقة أن أتساءل: هل يندرج ما كتبه الدكتور ابراهيم العلم تحت النقد؟ أم أنه يندرج تحت التعليقات الأدبية؟ واذا كان ما كتبه نقدا فهل هو نقد يستند الى نظرية نقدية معينة؟ واذا لم تكن ملاحظات الكاتب تنطلق من نظرية معينة فهل لفت انتباهه الى نواقص البناء اللغوي، وهل ربط بين العمل وبين حياة مؤلفه، وهل يستطيع الكاتب ومن خلال قصتين لم يكلف نفسه عناء النظر الى التاريخ الدال على فترة كتابتهما. أتول هل يستطيع الكاتب أن يصل الى اصدار حكم تعسفي مبتسر يؤكد فيه أن مجموعة صور وحكايات جسدت تراجعا يبعث على الأسى في بعض القصص عن قصص مجموعتي القصصية السابقة (الوحش) دون أن يبين لنا المرتكزات التي استند اليها في حكمه؟ وأود أن أسأل الكاتب ما اذا قرأ تاريخ كتابة قصة "مهرجان في البحر" وهو أغسطس ٧٦ أي قبل صدور مجموعة الوحش بحوالي سنتين!! وهنا أتساءل: هل يحق للكاتب أن يعتبر قصة مهرجان في البحر تراجعا عن قصص صدرت بعدها، ولماذا اختار قصتين فقط من المجموعة وتناولهما بالتعليق وكيف اختارهما بالذات. هل تم اختياره لهما عن طريق القرعة اذا كان في

Digitized by Birzeit University Library

اختياره لهما غير عامد كما يقول.

ومن حقي أن أتساءل تساؤلا بريئا: لماذا الآن بالذات اجتزأ الكاتب قصتين من مجموعة صدرت قبل أكثر من ثمانية شهور؟

والآن عودة الى موضوع التعليق الأدبي الذي كتبه الدكتور العلم. يقول في مقاله عن قصة الورم: (ولا شك أن الرموز واضحة الدلالة) ويتساءل: فهل كان الرمز فاعلا في الايحاء بمضمون القصة؟ ومن حقي أن أتساءل: كيف؟ لأنني أريد الاستفادة من خبرة صديقي الدكتور في مجال النقد الأدبي. يتساءل الدكتور: (كيف يرغم انسان في هذا العهد على التخلي عن زوجته) وأنا أرد على تساؤله بتساؤلات: هل يعتقد الكاتب أننا نعيش في مدينة أفلاطون الفاضلة؟ وهل نسي أن المجتمعات القبلية والعشائرية فيها من العسف والجور أكثر من اجبار شخص على تطليق زوجته، ويعقب كاتبنا على نهاية القصة بقوله: وكما كانت فاتحة القصة مجانبة للصدق الفني كانت خاتمتها غير مقنعة أيضا، دون أن يقول لنا كيف توصل الى هذه القناعة؟ وأود أن أسأل كاتبنا: هل قرأ التوراة؟ وأنا أعتقد أنه قرأها وقرأ قصة يعقوب وما ورد في التوراة عن تسميته بهذا الاسم. ماذا أقول لصديقي الدكتور الذي يعتبر أن عبارة الطفل (واكتشفت فجأة أن يعقوب انما جاء من العقب) غير مقنعة وأتساءل: هل هناك نهايات مطلقة في هذا الكون؟ أليست كل نهاية لشيء هي بداية في ذات الوقت لشيء آخر؟ ويقول الكاتب في تعليقه على قصة الورم: "ولو جعل الكاتب رمز الاحتلال ممثلا في جندي لأصاب نجاحا لأنه لن يضطر الى تكلف أحداث ينبو بها عن صدق الفن"، ثم يكمل "فضلا عن أنها قد ضاقت بتعقيد الواقع على الصعيدين السياسي والحضاري ففيها تبسيط له، ولا يخلو التبسيط من الخروج على معاييره الموضوعية وتقديمه في صياغات مضطربة لتياراته المتصارعة في أعماقه" ما هذا؟ ماذا يريد كاتبنا أن يقول؟ أية صياغات مضطربة أكثر من العبارات السابقة؟ وبماذا تساهم العبارات السابقة في تطوير كتاب القصة المحليين؟ وتحت أي نوع من النقد يمكن أن تدرج العبارات السابقة؟ هل ندرجها تحت باب النقد الأيديولوجي؟ أم النقد التقويمي؟ وهل يحق للناقد أن يقترح على الكاتب ماذا يفعل أم أنه يتعامل مع النص الأدبي الموجود أمامه كما هو ليبين ايجابياته وسلبياته بما يساهم في تطوير الكاتب والفرع الأدبي الذي يكتب فيه؟ وأخيرا وبعد أن يسقط الكاتب القصة يعود فيصدر حكما مناقضا لكل ما سبق حين يقول: "فقد كانت تانك الشخصيتان منسجمتين مع مضمون القصة ولم يند عنه سلوكهما" وأكرر ما هذا؟

أما في قصة مهرجان في البحر فيصل كاتبنا الى استنتاج أن بطل القصة "يضيق بهم لا ندرك كنهه" وأتساءل: كيف اكتشف كاتبنا ذلك؟ مع أن بطل القصة اعتاد التوجه الى شاطيء البحر للتمتع بجمال الطبيعة ويود أن يطول النهار حتى تطول فترة متعته وهو يكره الظلام ويشعر بالوحشة عندما يحل الظلام!! أليس هذا من حقه؟ يقود هذا الاستنتاج كاتبنا الى مراكمة مواقف وتساؤلات كنت أتوقع ألا يقع فيها، فهو يتساءل: فهل يكمن همه في الاحتلال؟ أم أن ظروفا خاصة تبهظ نفسه؟ ويعقب بعد ذلك بأن النية وحدها لا تجدي نفعا في انقاذ العمل الأدبي من الوهن دون أن يبين لنا وجه هذا الوهن هل هو لغوي أم بنيوي؟ أم أنه نفسي أم اجتماعي أم ماذا؟ ويقول كاتبنا: "كما لم يرسم لنا صورة تفصح عن سمات البطل الخارجية فنستعين بها على التواصل الوجداني معه".

اكليشيه ممتاز، لكن ناقدنا ينسى أنه يتعامل مع قصة قصيرة لا يتسع المجال فيها

Digitized by Birzeit University Library

لمثل تلك الصورة فالرواية هي الأنسب لما يريده كاتبنا، فالقصة القصيرة قد تصور حدثا معينا أو لحظة معينة دون ارتباط بما سبق أو ما سوف يلحق ذلك.

ويرى كاتبنا أن شخصية البطل ظلت تراوح مكانها فلم تتطور لأن شرخا يقوم بينها وبين الواقع فلم ينفعل به ولم يؤثر فيه، وأتساءل هل هي رواية؟ ويتساءل ناقدنا "ماذا فعل البطل ليصد العدوان ويستدرك بقوله: ولكن هل نستطيع أن نصف العالم كذلك في عصر تخلصت فيه الشعوب من الظلم الاستعماري وازدهرت شجرة الحرية فيها! وأتساءل: أي عدوان وقع على البطل في القصة؟ وهل عالمنا يسوده العدل كما يقول الدكتور؟ الا يأكل القوي الضعيف في عالمنا؟ وأين هي الشعوب التي تخلصت من الظلم الاستعماري؟ في جريناداً؟ أم في بنما؟ أم في الشرق الأوسط؟ وهل يمكن اعتبار اجتياح القوات الامريكية لدولة مستقلة مثل بنما واسقاط حكومتها واقامة حكومة جديدة هو من ثمار شجرة الحرية التي ازدهرت في رأي كاتبنا.

وأخيرا فان كاتب المقال يرى أن ابراز الطبيعة في ثوب جميل بدا مجافيا لنفسية البطل الكئيبة! ويتابع فيقول: لعل هذا الوصف الجميل اسقاط لنفسية كاتب القصة. ويحق لي أن أتساءل: كيف يسقط الوصف الجميل نفسية كاتب القصة؟ أم أن كاتبنا يقصد بكلامه الاسقاط النفسي؟ وهل في الوصف الذي أورده الكاتب ما يمكن أن نصفه بأنه اسقاط نفسي. انني أفهم الاسقاط النفسي بشكل آخر وهو أن يسبغ الانسان على غيره ما يشعر به ولعلي أكون مخطئا فلست معصوما من الخطأ.

١٩٩٠/١/٦.

اصدارات جديدة

لاتحاد الكتاب الفلسطينيين

صدر عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين مؤخرا، باكورة أعمال الكاتب علي الجريري، ديوان شعر "أبجدية فرج الحافي"، ضم عددا من القصائد - ٣٥ قصيدة، يقع الديوان في ٢٣٥ صفحة من الحجم الصغير، وكتب المقدمة الناقد نبيه القاسم، وصمم الغلاف الفنان كريم دباح.

كما صدر للدكتور سمير شحادة، باكورة أعماله الأدبية، مجموعة قصص قصيرة، بعنوان "الخروج من الدائرة"، ضمت احدى عشرة قصة قصيرة، بالاضافة الى المقدمة. صمم الغلاف الفنان سليمان منصور، وتقع المجموعة في ١٣٧ صفحة من الحجم الصغير.

وصدر للكاتب عبد الرحمن عياد، مجموعة قصص للأطفال، بعنوان "ذاكرة الزيتون" ضمت ثماني قصص، وجاء الكتاب في ١١٨ صفحة من الحجم الكبير.

الجدير بالذكر، أن الاتحاد، بصدد اصدار مجموعة من ابداعات أعضاء الاتحاد، ومنها مجموعة من قصص الأطفال لسامية الخليلي. وكذلك مجموعة قصص قصيرة للقاص عمر حمش.

Digitized by Birzeit University Library

أربعون عاما على رحيله

"عرار" .. شاعر عاش الشعر وكتبه

- عواد ناصر -

ثمة جمهرة من الشعراء العرب اجتمعت حول راية التغيير، وأجمعت على اختيار المقهى دون صالون الأدب، والرصيف دون البلاط، والتلقائية دون تكلف الاخلاق "الحميدة"، واحد أو أكثر من هذه الجمهرة في كل بلد عربي، نعرف بعضهم ونجهل البعض الآخر الذي يتحاشاه النقد، ولا تحتفي به الصحف التي لا تريد فقدان هيبتها النفطية.

ان نجيب سرور الذي تمرد على الواقع وهجاه حتى الموت، وأمل دنقل الذي قتلته التصالحات المشينة والبيروقراطية فقضى على سرير عار. وكذا عبد الأمير الحصيري الذي انتهى بتشمع الكبد، بعد أن رفض الوظيفة المرموقة والحقيبة "السمسونايت"، ولم يقف على قبره سوى حفنة من أصدقاء أوفياء. والحديث عن خليل حاوي لم يزل حاد المرارة، حين انتقم من نفسه وهو يرى الى شوارع بيروت المستباحة.

مصطفى وهبي التل (عرار) واحد من أبناء هذه الجمهرة الذكية التي تنفست، غبار الشوارع العربية ولم تجعل الشعر ممارسة ذهنية خاصة، لا تتم الا بمعزل عن الجموع، بل حملته رسالة ورواية، من أجل بناء انسان جديد في حياة جديدة.

"عرار" مع زملائه ربما كانوا الهامش الشعري، لكن هذا الهامش هو المتن الحقيقي، على حد تعبير أدونيس، واذ اختطوا لقصائدهم منحى آخر، يمكن تسميته "ضد الشعر"، فقد فرض عليهم جرحهم الساخن، الأبدي، أن ينشغلوا بالضماد دون أدوات الزينة. و"عرار" شاعر جعل قصيدته تكثيف أحاديث المارة شعرا.

وبما أنه ليس من تعريف صارم ووحيد للشعر، وهذا أحد أفضاله، فان عرارا أحد الذي نقلوا القصيدة من الصومعة الى الحارة الشعبية، ومن أروقة الاتحاد الأدبي الى مقهى يعج بالصعاليك.

للصعلكة في حياة "عرار" بعدها الملحوظ، الواضح، عندما أدار ظهره للحياة الرخية التي وفرتها له قرابته لامراء الأردن ووجهائها، فآثر النور (الغجر) بديلا، وجد فيه البساطة والوضوح

Digitized by Birzeit University Library

والصدق مع النفس، مثلما وجد في هذا البديل السلوك العلني، التلقائي، بخلاف الطبقات "الموقورة" التي تنطوي على غير ما تظهر.

النشأة والبيئة (×)

تعلم "عرار" في أربد ثم في دمشق وحلب (منفيا اليها)، ومثلما تنقل الوالد كثيرا، فكذلك ابنه "عرار" مختارا أو مكرها، وورث عن والده خفة الروح والمرح والذي كان بدوره زجالا، هذا جانب من جوانب تشكيلات حياته التي سرعان ما اكتسبت جملة من النقائض: الحزن والجد والعدمية وتحسس شديد لمعاناة شعبه ووطنه، حيث انعكس ذلك بمجموعه في مواقفه ومواجهاته مع العائلة والمحيط والبلاط، والواقع، برمته، وهو يخضع لمشيئة العثمانيين ومن بعدهم الانتداب البريطاني. حياة "عرار" اذن، لم تسر بخط مستقيم، بما في ذلك علاقته بالقصر الذي يهجوه طورا وطورا يتصالح معه. غير أن الرئيسي في حياته وشعره هو سخطه، ثم وعيه الوطني، ومشاركته في حياة شعبه.

تترابط لدى هذا الشاعر أبعاد السياسي بالاجتماعي، منذ بداية القرن العشرين (ولد "عرار" عام ١٨٩٧ حيث السيطرة العثمانية، مرورا بالانتداب - كما أسلفنا - حتى احتلال فلسطين عام ١٩٤٨، وهي حقبة غير مشرفة حيث سيادة الجهل والتخلف واستتباب الأمر، الى حد بعيد، للأجنبي المستعمر، فاستمر مدافعا عن حق شعبه في الحرية والاستقلال الحقيقي، وأخذ وعيه يتشكل، رويدا رويدا، مكتفيا بما يحسه ويراه ويتلمسه دون أن يسند هذا الوعي المتكون البعد الثقافي والفكري اللازم لشاعر جعل من قصيدته أمثولة شعبية يرددها أبناء شعبه.

ورغم أن فطرته الشعرية ووعيه السياسي كانا ثمرتين طبيعيتين للمستوى الفكري والثقافي في تلك الفترة، الا أن وعيه الوطني الحاد كان "مصدره الايمان بقضية شعبه وحقوقه ولم تكن وطنيتي عاطفية دون تعقل" كما كشفت احدى رسائله، كان "عرار" متطابقا بين نصه وخياره السياسي وممارسته الاجتماعية، فليس غريبا أن تتعرض حياته لشتى صنوف العسف: الفصل من الوظيفة، السجن، النفي المتكرر، مغامرة الخمرة لفك الاشتباك بينه وبين محيط قاس وفظ، دون أن ينجح كل هذا في النيل منه.

"عرار" الشخصية الوطنية

كان "عرار" ينتمي بعمق للأردن حتى التطرف، اذا جاز التعبير، فقد تمسك بشعار "الأردن للأردنيين" ضد الاستبداد الأجنبي المتكرر بمختلف ألوانه، وقد يتلمس المرء في هذا الموقف "محلية" مغرقة ضيقت من أفقه ازاء ما هو خارج حدود الوطن، ومبرر ذلك ربما يعود الى وطأة الاستبداد عندما تصبح الحرية والتعلق بها ردة فعل أكثر مما هي ممارسة واعية تفرضها الضرورة.

و"عرار" أيضا شخصية جريئة، وجرأته لا تكمن في شعره، فحسب، بل في حياته الممتدة، فهو الذي ضاق ذرعا بالأخلاق المدعاة والمفاسد المتفشية واختار الضفة الأخرى من النهر: "النَوَر" والصعاليك والبطالة .. وقبل كل ذلك، وفوقه، تصديه الشجاع للملك عبد الله نفسه، وهجومه عليه، بعد أن يئس من أي اصلاح سياسي أو اجتماعي:

Digitized by Birzeit University Library

" .. رفعت كل وضيع، لا يقام له
وقلت أولاد قومي،ينهضون بكم
هلا رعيت، رعاك الله، حرمتنا

الا بسوق الخنا وزن لميزان
وحسبكم أنه من خير أعواني
هلا جزيت تفانينا باحسان".

وفي وجه سياسة التضليل التي مورست بحق الشعب الأردني، محليا وخارجيا، وأساليب استخدام المفاهيم المفرغة من أي محتوى حقيقي مثل "الاصلاح والتطوير" و "الاستقلال" .. الخ، يقول في احدى قصائده، مخاطبا المعتمد البريطاني "هوبر" الذي كان يشرع ما يطيب له من قوانين:

"قانون هوبر حال بعد جريضه
قومي وقومك في الصغار وجهلهم
وأنا وأنت على اختلاف قبيلنا

دون القريض ودون كل بيان
معنى الحمية، كفتا ميزان
في عرف (بيك) وجيشه سيان"

أو عندما يقول مخاطبا "الهبر" أحد شخصيات (النَوَر) بالقول:

يا هبر استقلالنا الكرتوني
قد درت بين الناس كالمجنون

أخرجني كما ترى عن ديني
أسألهم عنه فما دلوني"

وأبدى "عرار" في احدى قصائده توقعاته لما ستؤول اليه الحال وما ستكون عليه صورة المنطقة والأردن اذا ما نفذ وعد بلفور عام ١٩١٧، عندما يقول:

"يا رب ان بلفور أنفذ وعده
وكيان مسجد قريتي من ذا الذي
وكنيسة العذراء أين مكانها

كم مسلم يبقى وكم نصراني
يبقي عليه اذا أزيل كياني
سيكون ان بعت اليهود مكاني"

كما مارس "عرار" فعل التحريض في قصيدته، الى الحد الذي يستفز فيه أبناء شعبه ويتهمهم بالسكونية، وعدم الاكتراث بما يجري حولهم، فيتجاوز قصائد الهجاء العادية التي هي كثيرة في شعره. يقول مخاطبا قومه:

"كم صحت فيكم وكمم ناديت من ألم فلم تفيقوا بصيحاتي وأناتي"

ويخاطب كوكس المعتمد البريطاني فيقول:

لا تحسب الجرح فيمن لا يضج أسى
والحق لا بد من اشراق طلعته
وقوة الضعف ان جاشت مراجلها

يا كوكس مندملا فالضيم نكاء
مهما استطالت على أهليه ظلماء
تنمرت نعجة واستأسدت شاء"

Digitized by Birzeit University Library

قصيدة "عرار" فنيا

بكل هذا أين نضع قصيدة "عرار" فنيا؟

يصح أن نطلق على هذه القصيدة انها قصيدة تسجيلية، والمشهد التسجيلي لا يركن لغير الوثيقة المستخدمة بحذق بهدف الفضح أو التحريض أو الاقناع. ووثيقة "عرار" هي الواقع المعاش والملموس والمتفاعل في ذات الشاعر على مدار الساعة.

يقول صديقه ونديمه محمود المطلق المحامي الذي طبع ديوانه ووضع له مقدمة: ".. فمصطفى قد سجل في شعره الشيء الكثير من حياة الأردنيين وعاداتهم وتقاليدهم وأمثالهم وحوادثهم، فكان ديوانه هو ديوان الأردن، وقد فتح عيون مواطنيه على جمال بلادهم وتغنى بمحاسنها، فجاء شعره سجلا حافلا بتمجيد الأردن".

وقصيدة "عرار" بسيطة فطرية، فهو لا يولي اهتماما باللفظ أو بالشكل الفني العام، الأولوية لديه هي ماذا يقول لا كيف يقول، الأمر الذي أضعف شاعريته، حتى بمقاييس تلك الحقبة.

أما لغته، فهي فصيحة متداولة، طعّمها بالكثير من العامي، الأمر الذي جعلها في متناول أيدي الناس، تسندها فكاهته وظرفه، الى جانب - بالطبع - شجاعته وحسّه الوطني العالي. ولا يخلو شعره من أخطاء لغوية واختلالات عروضية، وهذا يعود الى شخصيته اللاأبالية، التي اعتبرت هذا الجانب، لربما، من الشكليات!

لكن هذا لا يقلل من قصيدة "عرار" اذا كان يقلل من شأن قصائد غيره من الشعراء، فاهماله وعدم عنايته بلغته وثقافته بعض من سمات قصيدته، التي ربما فقدت الكثير من ملامحها بغير ذلك.

عن هذا الجانب يقول "المطلق": "لم يكن مصطفى واسع الثقافة والاطلاع والمعرفة، وانما كانت معارفه بسيطة وثقافته محدودة .. ولم يحاول فيما بعد أن يوسع ثقافته كثيرا، وان يطلع على المذاهب الفكرية الحديثة في العلوم والفنون والآداب، ولهذا كان مستوى ثقافته أقل بكثير من مستوى ذكائه الفطري. فقد كان مصطفى خارق الذكاء".

ونحن، اذ نحيي عرارا بمناسبة مرور أربعين عاما على رحيله ، شاعرا جعل من قصيدته سجلا لأبناء شعبه وحياة وطنه الأردن، فاننا نحييه، أيضا، شخصية وطنية مرموقة، ومهما تبدى لنا انسانا غريب الأطوار، متقلب المزاج، متباين الطبائع، فلا يعني كل ذلك سوى أحد جوانب الوجدان المبدع للشاعر الذي مهما تغنّم الأشياء في عينيه، فانه يظل الباحث عن جانبها المشرق، الجلي، الدوار كعباد الشمس باتجاه الحرية.

(*) افادنا كتاب د. أحمد أبو مطر "عرار الشاعر اللامنتمي". اضافة الى ديوان الشاعر الذي أعده للطبع، وكتب مقدمته صديق الشاعر محمود المطلق المحامي.

Digitized by Birzeit University Library

هل التقط الجمهور ما أرادته "الفنون"!

رؤية نقدية
لعرض " مرج بن عامر "

- صافي صافي -

(٢)

لقد أثارت مقالة "هل التقط الجمهور ما أرادته الفنون؟" رؤية نقدية لعرض "مرج بن عامر" المنشورة في العدد ١١٥ من مجلة الكاتب ردود فعل مختلفة، منها ما كان مؤيدا ومعمقا للاراء التي طرحت ومستوضحا عن بعض الملاحظات القصيرة التي وردت، منها ما أورد من ملاحظات أخرى لا تقع ضمن سياق المقال، بل تتعارض معه، ومنها ما كان معارضا وحتى رافضا لاستقبال أية ملاحظات أو انتقادات حول العرض باعتبار أن "ليس بالامكان أروع مما كان"، ووصل الحد في بعض الأحيان الى الاستخفاف ليس بما كتب بل بصاحب المقال، واذا كنت لا اتفق مع كل الملاحظات المنتقدة للعرض فانني في نفس الوقت أرفض رفض الملاحظات التي وردت من منطلق الدفاع عن "الذات"، واذا كانت معظم الملاحظات التي سمعتها أو وصلتني بطرق مختلفة، لا تقع بالضرورة ضمن اطار محاولة وضع رؤية نقدية صحيحة لدفع العملية الفنية في بلادنا للأمام، آخذة بما هو موجود ومطورة له، وواضعة يدها على النواقص لسدها لنخرج بأعمال فنية أكثر تطورا، فانني هنا سأحاول أن أجيب على بعض التساؤلات آملا من المهتمين بالفن الشعبي المساهمة بالكتابة كفرصة لتبادل الآراء والوصول في النهاية الى تقييم صحيح للعمل الفني نفسه "مرج بن عامر" ولأعمال أخرى بالضرورة سترى النور سواء من فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية أو غيرها.

تراث أم فن:

انني لا أتفق مطلقا بمحاكمة عرض "مرج بن عامر" من منطلق أن هذه الفرقة "خرجت عن

Digitized by Birzeit University Library

التراث"، فهذه الفرقة هي للفنون الشعبية وليست للتراث الشعبي رغم العلاقة الجدلية بينهما وهذا ما كان واضحا خلال العرض الأخير، ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه يقصدون الفلكلور وليس التراث وهناك فرق بينهما أيضا، اذ أن التراث يحمل في ثناياه أوسع بكثير من العمل الفلكلوري، وهذه الفرقة ليست بالتأكيد فرقة فلكلورية، ولا يجب أن ننتظر منها أن تقدم لنا قوالب جاهزة مغناة وراقصة ولابسة بالضبط كما جرى و يجري في موقع ما من هذه البلاد، وهيئات هذه الفرقة هي الكفيلة بتوضيح معنى الفنون الشعبية وأي طريق يودون سلوكه، لكن ما أراه هو أن التراث بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى هو الذخيرة التي نستند اليها لخلق نموذج فلسطيني متطور، وكنت قد نشرت مقالة في عدد سابق من هذه المجلة حول "الفنو ن الشعبية بين الأصالة والتطوير" (ع ٩١)، واذا كانت الأغنية الشعبية قد واكبت مرحلة معينة فليس بالضرورة أن تواكب مرحلة أخرى، بل تناقضها أحيانا، واذا كان الفن هو عمليا كأي مجال آخر في الحياة مهمته الأخذ من الواقع واعادة صياغته فنيا وعرضه ليدفع المجتمع دفعة أخرى للأمام، فان الاستناد الى الفلكلور والتوقف عند تلك النقطة فنيا لا يعني فقط عدم القبول بالتطور وبالتالي عدم رؤية المستقبل ومحاولة رسمه بصورة مشرقة بل أيضا يعني الرجوع الى الماضي والتوقف عنده وبالتالي جر الحاضر الى الماضي، بالضبط كما يتغنى به البعض، فالماضي والحاضر هما جزء من تواصلك كشعب على أرض ما، لكنك ستخرج نفسك من الحاضر ومهماته ان لم تر من خلاله مستقبلك. الماضي مضى والحاضر نعيشه رغم أنهما يعيشان تحت جلودنا، المهم أن نستخلص النتائج لبناء المستقبل،وبالتالي فانني أتفق مع بعض الفرق التي اختطت طريق التطوير ومنها "الفنون الشعبية الفلسطينية" وأشجعها وأساهم عمليا ليس فقط في دفع التطور بل أيضا في رسم الاطار الفني للمستقبل وها أنا أفعل.

ان التباكي على الماضي أصبح قضية اجتماعية، جزء من حياة شعبنا خاصة جيل الكبار في السن، وهذا التباكي امتد عميقا داخل أفراده وحتى مثقفيه خاصة في سنوات السبعينات لهدفين أولهما: البحث عن الهوية والتميز، وثانيهما: اظهار الظلم الذي حل بشعبنا ومقارنته بالماضي، لكن هذه تختلف مع وضع رؤ ية للمستقبل، اذ انها تحمل من جهة أخرى الاستسلام والركون لقوة خارجية ترجع والدي ووالدك ليحمل فأسا في ساعات الفجر الأولى ينكش الأرض ويزرع ويحصد بيديه ولا يشتري نعناعا ولا قمحا ولا لحما .. الخ، انهم بذلك يريدون ان يلغوا السنوات التي تطور فيها المجتمع والمجتمعات المحيطة بحجة العودة الى "أيام زمان"، لقد تجاوزت الحياة كل هذا والآن ترسم طريقها بشكل أكثر تطورا في المواصلات والتصنيع والفكر بغض النظر عن المآسي التي حدثت لبعض الشعوب ومنها شعبنا، وبالتالي فانه يجب أن نستند الى الحاضر الذي يحمل الماضي في ثناياه لنرسم المستقبل بما في ذلك الأشكال الفنية لعروضنا.

هذا لا يلغي أبدا أن تتخصص بعض الفرق والمؤسسات في الأعمال الفلكلورية، هذا من شأنها، أما من يريد فنا متطورا منسجما مع حركة الشعوب وأمانيهم المستقبلية فيجب بالتالي أن لا يقف حجر عثرة في طريق التطور الفني.

انطباع أم نقد:

انني أعرف ويعرف غيري ذلك أيضا،أن ليس هناك حركة نقد فنية متماسكة ومتبلورة، وهذا له

Digitized by Birzeit University Library

عدة أسباب منها التشتت المتتالي للشعب منذ أوائل هذا القرن ومنه العزلة الثقافية بيننا وبين العالم العربي، مما أحدث عدم تواصل وانسجام حتى بين الحركة الفنية والأدبية في الداخل والخارج، ويتضح هذا من معظم الانتاج الفني والأدبي وحتى العلمي على هذه البقعة من الأرض، لكن هذا ليس مبررا على الاطلاق للتقوقع حول الذات، اذ أن الامكانيات المتاحة يجب استغلالها وتطويرها، وهذا ما يحدث، انني أشعر بالاستياء حين أسمع كيل المديح لأي عمل فني أو أدبي لمجرد خروجه الى النور، انني أسمع دوما كلمات مثل: قدّم، أبدع، أضاف، خلق .. الخ، وكأن عملية النقد أصبحت شكلا من كيل المدائح وشعار "ليس في الامكان أبدع مما كان" هو شعار الموتى، شعار العقم الفكري، شعار الكسل الذهني، فالحياة التي نعيشها تحمل في ثناياها ما هو أبدع وأفضل وأجمل مما كان، ينطبق هذا على كل المجالات بما في ذلك العملية الفنية ذاتها بصفتها جزءا أساسيا من حياة الشعوب وخلق الثقافة العامة المتطورة لرسم المستقبل، وما علينا الا أن نبحث في الحياة، "ننبش" فيها بمزيد من روح الشباب، بمزيد من الحيوية والثقة والانتباه والتقاط ما هو صالح فنيا لصياغته وعرضه على الجمهور، وان عملية البحث هذه بدأب وتعب مضن هو المطلوب دوما.

في هذا السياق الذي ذكرت أعلاه ليس الانطباع نقدا، وعلينا أن نسأل دوما انطباع من؟ فلا يمكن وضع كل أفراد الشعب وكل من شاهد عرضا في نفس المستوى، وفي هذا السياق أيضا فان انطباعات ذوو الذوق الفني ومن لهم تجربة في العمل الفني ومن هو معني بالثقافة والفنون هي جزء مهم من عملية النقد، ويجب كتابتها والنقاش حولها، واذا كنا ننتظر ناقدا فنيا وحركة نقدية فنية تهبط من السماء فلن يحدث ذلك أبدا، أما اذا كنا نتحدث عن عدم وجود حركة نقدية وحركة فنية مثالية ولن يحدث ذلك أيضا فاننا نتحدث عن حركتين متوازيتين وفي نفس المستوى تقريبا في الفنون ونقدها، ويجب الاستناد الى هذه الذخيرة في عملية تطوير ثنائية لكل من الحركة النقدية والحركة الفنية معا.

واذا كنا على قناعة بأن ليس هناك ثمة شيء اسمه المطلق الجامد، فاننا بالتالي على قناعة بأن ليس هناك ثمة فن كامل الأوصاف، ليس فيه نقص من أمامه أو ورائه أو في ثنياته، ومهمة النقاد هي البحث عن النواقص لتلافيها في أوقات لاحقة والكشف عن ما هو جيد لترسيخه واعتماده والبحث عن الاسس ووضع الاطار الفني المناسب، ومهمة الناقد أيضا البحث عن خفايا العمل والتي لا يستطيع الجمهور العادي التقاطها وتوصيلها له، كل ذلك في علاقة جدلية مع الأعمال المعروفة والحياة والحركة الثقافية والنقدية التي نعمل على تقدمها وتطويرها معا.

حق النقد والتطور الفني:

ان عملية النقد وحتى الأجزاء منها هي حق لأصحابها وهي واجب مفروض عليهم ايضا، وهذه العملية بارتباطها بالأعمال الفنية وعروضها هي التي ستعمل على التطور، وليس هناك شخص أو أعمال فنية تقع فوق النقد حتى النقد نفسه، ولا يجوز أن نرى أن ابداء ملاحظات نقدية حول عمل ما هجوم عليه، بل يجب أن يقع في اطار عملية التطوير، وان رفض أية ملاحظات هو جزء من التقوقع والانزواء حول الذات، تشكل في ذاتها مركزة العالم في تلك الذات وتأليهها، فعملية النقد تحمل في داخلها صراعا حتى بين الذات والذات الفنية، والأفكار، والماضي والحاضر

Digitized by Birzeit University Library

والمستقبل، اذ أن أي عملية فنية بدون صراع داخلي لن يكتب لها النجاح.

ان من حق أي كاتب أن يدلي بدلوه في أي عمل فني يعرفه وتقع المسؤولية بعد ذلك على الفرق الفنية والفنانين للأخذ بها أو رفضها. ان العملية الفنية واستنباط ما بداخلها ورفع مستوى الذوق الفني عند الجمهور تقع على عاتق الفنانين أنفسهم والنقاد معا، وهي تشكل وحدة واحدة رغم المهام النوعية الملقاة على كل منهما، ولا يجوز مطلقا تمييع العمل الفني بحجة أن الجمهور يجب أن يستقبله ببساطة، ولا يجوز مطلقا في نفس الوقت تعقيد العمل الفني بصورته البنائية بحجة أن الجمهور يجب أن يرتقي لهذه الدرجة، والتعقيد هنا هي مسألة نسبية، وهنا تقع مسألة البساطة والسهولة في طرح الموضوع بصورة فنية هدفها رفع مستوى الذوق الفني لدى الجمهور متضمنا في داخله أيضا دفع المجتمع للتغير في جوانب الحياة المختلفة والمعاشة، وبناء على ذلك فاننا في الفن وحتى الأدب يجب أن نلم باصول الوسيلة الفنية التي نتبعها كطريقة للتعبير عن أنفسنا، وبصورة أوضح وأدق فان الكثير من الفنانين والهواة أيضا يغنون لنفس الشيء ولنقل الحرية، لكن الفرق بين هذا وغيره أن فنانا يملك صوتا جيدا يستطيع أن يصل للجمهور بصورة محببة، يستطيع أن يدخل داخلك ويصبح بأغنيته جزء منك وهناك الأداء والألحان والموسيقى والكلمة، ان الأغنية بالتالي هي نتاج لكل هذه العوامل لتشكل وحدة واحدة اسمها الأغنية، هناك أغان مُنَفرة وهناك أغان جاذبة، والسهولة هنا تكون في أدوات الوصل للارتقاء بالجمهور وبالفن نفسه، وان عملية البحث عن أدوات أفضل للتوصيل والتواصل سيظل أمرا مهما، ولنأخذ مثالا : رواية "رجال في الشمس" لا تنبع قيمتها الفنية من مجموعة الأحداث التي وردت فيها، اذ أن أحداثا كثيرة نسمعها يمكن أن تكون أكثر ايلاما وحتى أكثر حركة، ومن يعيش في الخليج أو على قرب من شعبنا هناك يعرف الكثير عن أحداث مشابهة، لكن قيمة الرواية الفنية في قدرة كاتبها على ربط كل هذه الأحداث معا في اطار فني روائي لتصبح رواية، كما أن قيمتها لا تكمن فقط بالحدث نفسه ككل بل بارتباط تلك الأحداث بدلالاتها وهذا ينطبق أيضا على أعمال أخرى لكتاب وفنانين آخرين: مسرحية "رأس المملوك" لسعد الله ونوس، مسلسل ليلة القبض على فاطمة. تسلسل الحدث وفي النهاية دلالاته، واذا لم يكن هناك تسلسلا منطقيا في الحدث فان ذلك يؤثر على دلالاته، والأهم هي الدلالات اذ أنها هي هدف أي عمل فني لاحداث عملية التغيير، علاقة الشكل الفني بالمضمون، المضمون له علاقة وثيقة بالوسيلة الفنية واذا انتفت الوسيلة أصبح كل شيء فنا وحلت الكارثة.

علاقة العرض الفني بالقصة:

تقول فرقة "الفنون الشعبية الفلسطينية" في بيانها بأن العرض الفني "مرج بن عامر" هي: "قصة قرية فلسطينية .." وبالتالي فان القصة المعروضة هي حلقات متكاملة ومقدمة بشكل فني، وخلاصة المقال المنشور في العدد ١١٥ من مجلة الكاتب يقول: "انني لا أقصد بأن هناك انفصال بين العرض والقصة ولكن هناك بتر في أكثر من مكان بينهما .. الخ" وبشكل دقيق ومحدّد سأورد تفصيلا أكثر مما قلته:

١- رقصة المقدمة: انها مقدمة لذلك العرض والمفروض اما أن تكون معبرة عن بداية القصة أو

Digitized by Birzeit University Library

ما قبلها أو أن تكون شاملة ومعبرة عن القصة ككل، وهي لم تأت كذلك، فالقصة المكتوبة تقول: " .. الجفاف والجدب، احدى نسائه مقيم .. ، .. ، يأتي الانجليز الى فلسطين". معنى ذلك أن القصة بدأت في أواخر العهد التركي، أما الرقصة فلا تعبر عن الجدب والجفاف ولا عن مجيء المحتل الجديد وبالتالي كانت "الرقصة" خارج العمل الفني الذي يدور حول قصة ما دام لم يعبر عنها من داخله، واذا كنت لا أود أن تخرج هذه الفقرة من العمل فانني أفضل أن تكون في مكان ما في العرض بعد عودة خضرة وتخليصها من يد الاقطاعي.

٢- المواويل: رغم أن المغنين ليسوا جزءا من العرض عمليا بصورتهم وأجسادهم (انظر ٣) الا أن المواويل جاءت بصورة محركة للأحداث رغم انهم ليسوا جزءا من الحدث، فحين يظهر المغني يغيب أعضاء الفرقة الراقصين والمحركين للأحداث والمشاركين فيها، وبالتالي تم تحريك الأحداث من الخارج وليس من الداخل، خاصة وأن عملية الرواية حدثت بصورة الأمر وكمثال على ذلك:

حطوا المزاهر يا صبايا
واحملن الجرار
ملوها من عين السما
من مية الامطار
وافرد يا مرج الخير
.. .. .. الخ.

٣- الكلمة والمغنين: لقد كان هناك عمليا عرضان، العرض الأول: من يؤدون الحركات، العرض الثاني: من يغنون الكلمات، وبما أننا ذهبنا لمشاهدة عرض واحد فانني لا أجد مبررا لظهور المغنين،والاكتفاء فقط بمن أدوا الحركات، وحدث هذا في مكان آخر من العرض، اذ أن الموسيقى والعازفين لم نرى صناعها وصورتهم واعتُمد على التسجيل، وهذا لم يضعف العمل الفني أبدا، ولن يحدث خلل أذا لم نشاهد المغنين، فكان يمكن أن يغنوا من وراء الستار أو يعتمد نظام التسجيل، ولقد سررت جداواستمتعت أكثر حين كان يحاول مؤدوا الحركات أن يؤدوا الكلمات أيضا بحركات شفاههم، وقد شاهدت ذلك في فقرتي "عالبيدر السهرة" و "ما بين حيفا وجنين" مما أدى الى التصاق فعلي ما بين الحركة والكلمة معا، ولقد لفت انتباهي حركات المغنين وانفعالهم مع الحدث باياديهم و "بحطاتهم" أيضا وبقسمات وجوههم مما أدى كما أعتقد الى ارباك الجمهور في متابعة العرض (الحركات) وترافقها مع الكلمة وما بين الكلمة ومن يؤديها، وهذا خلل ليس بسيطا رغم أن المغنين وقفوا في زاوية المسرح.

٤- خضرة: لقد تم استبعاد خضرة عند حدوث الأزمة (خطفها) فالخطف عُبر عنه بالكلمة وفترة احتجازها عبر عنه بالكلمة أيضا، وعملية استرجاعها تمت بالكلمة وبالمعركة، وبالتالي خلقنا من خضرة عنصرا سلبيا في الحدث بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، ليس فقط بالمضمون (مشاركة المرأة في التغيير) بل أيضا بتقديم العرض الفني، فكيف تصرفت خضرة عند اختطافها وطوال فترة احتجازها وعند تخليصها؟ لم يعبر عن ذلك حتى بالكلمة وهذا بتر في العمل وخلل.

٥- الاقطاعي: يحق للفرقة أن تستبعد شخصية الانجليزي وتبقي على الصراع الداخلي

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني وتصوير الواقع من خلال الصراع بين الطبقتين (الفلاحين والاقطاع)، ورغم أن التاريخ لم يحمل في ثنياته انتصار الفلاحين على الاقطاع كطبقة رغم الثورة التي حدثت في تلك الفترة اذ لم ينتصر الاقطاع ولا الفلاحين (تاريخيا) بل انتصرت البرجوازية التي جاءت بجزء منها من طبقة الاقطاع خاصة في من تبقى على هذه الأرض ولم تجرفه عملية التهجير، وهذا ما حدث في كل البلدان الرأسمالية اذ ليس بالضرورة عند حدوث صراع بين طرفين أن ينتصر أحداهما اذ ربما ينتصر طرف ثالث، وقراء التاريخ القديم والحديث يعرفون ذلك، تم اختطاف خضرة من قبل الاقطاعي وهو الذي احتجزها، وظهر فقط عند المعركة الفاصلة، ولا أقصد أن يحتل الاقطاعي الجزء الأكبر من الأحداث اذ أن التركيز كان على الفلاحين ولا اتعارض مع ذلك، لكن كان من الممكن أن يظهر في فقرة أخرى سابقة عند أختطافها مثلا بدون أن يؤثر ذلك على سياق العمل الفني البنائي نفسه.

علاقة الفن الرسمي بالتطور الفني:

أحيانا تجري عملية اختصار العالم في الذات المجردة وتلك مصيبة، فالذات هي ليست الذات المجردة بل هي مجموع العلاقات الاجتماعية المتمركزة في تلك الذات، هناك صراع بين الطبقات من جهة وهناك وحدة بين بعضها وحتى كلها في نفس الوقت في ظرف تاريخي محدد، هناك صراع طبقي وهناك صراع وطني، كل طبقة تحمل ثقافة في ذاتها وهي تعكس ذلك بوعيها لتصبح طبقة لذاتها، وعلى سبيل المثال ليس كل عامل يناضل من أجل طبقته بل يناضل أحيانا لغيره وبالتالي فهو عامل في ذاته ولكنه ليس عاملا لذاته وهذه عملية صراع طويلة مرتبطة بالوعي والثقافة والدور الجماهيري للطبقات، وفي نفس الوقت ونظرا لان المصلحة الوطنية رغم عملية الصراع الداخلي هي التي تحافظ على وحدة الشعب فان هناك تبادلا ثقافيا حتى بين الشعوب والبلدان فما بالك بالعلاقة بين أفراد الشعب بطبقاته، هذا اذا كنا نتحدث عن الصراع الطبقي الداخلي الذي يصل بحدته الى معارك بين اطرافه فما بالك بالثقافة التي يسيطر عليها غالبا الطبقة العليا، وبرعاية الحكومة بكل ما تملكه من اعلام ومؤسسات فانها تحاول اعادة صياغة المجتمع بالصورة التي تراها مناسبة لتسيطر عليه، بينما ينبت تحتها ثقافة تحتية تحاول فرض ما تراه مناسبا أيضا للمستقبل وكيفية رسمه، وبسبب هذه الامكانيات الهائلة فان الفن الرسمي قد تطور لدرجة كبيرة من الناحية الفنية الصرفة (الفن للفن) بل وأكثر من ذلك: الفن للسلطة، وما شكل نقصا في العملية الفنية ككل من وجهة نظري هو الكلمة رغم علاقة ذلك بالشكل الفني. وفي ظل هذا الوضع رسم كل قطر عربي طريقه الفني الذي يجب استغلاله لتطويره وفق رؤيتنا للمستقبل وقراءتنا للماضي، فاذا كنا نعتبر فيروز فنانة لبنانية عبرت عن لبنان بفنه المدخر في حياته الاجتماعية فان أغانيها لا تقع ضمن نفس المستوى، فهناك فرق هائل بين أغنية "يا داره دوري فينا" وبين "بحبك يا لبنان" ويصفها النقاد عادة بأنها تنتمي في أغانيها ومسرحياتها الى البرجوازية الصغيرة وفيروز بالمعنى الاجمالي (كلمات، ألحان، صوت) ووديع الصافي ونصري شمس الدين قد بلوروا الشكل الفني للأغنية اللبنانية.

أما في مصر فان مرحلة صعود البرجوازية المصرية قد حملت معها صعودا للحركة الفنية ككل

Digitized by Birzeit University Library

وعمت حركة فنية وثقافية ليست بسيطة في تلك الفترة رغم أن تلك السلطة ضربت ذات اليمين وذات الشمال في نفس الوقت (انظر: قراءة في نماذج أغاني الثمانينات: هيفاء السياسي و صافي صافي - الكاتب ع ٧١) وبرز في تلك المرحلة عمالقة للأدب المصري والعربي ومنهم نجيب محفوظ والحائز على جائزة نوبل للأداب، وبرز أيضا عمالقة في الفن المصري والعربي أمثال: ام كلثوم وعبد الحليم حافظ، ورغم الموقف الطبقي منهم جميعا الا أنهم فنانون، ويقع عبد الحليم حافظ على يسار نجيب محفوظ من هذه الناحية، فنجيب محفوظ كان من المباركين لاتفاقية "السلام" أما عبد الحليم فسمي بمغني الثورة المصرية ولم يسقط كما سقط مثلا محمد عبد الوهاب وغيره، اختط موقفا سلبيا ولم يهبط للقاع، وبغض النظر عن ذلك فان قيمتهم الفنية معروفة بالمعنى الدقيق للكلمة، اذا كنا هنا نود أن نبحث ونشق طريقنا في خلق نموذج فلسطيني فاننا لا نستطيع أن نتخذ موقفا عدميا مما حولنا بقولنا: نحن الوحيدون الذين نعيش على هذه الأرض، وظهور مارسيل خليفة في لبنان لم يلغ التاريخ الفني للبنان بما في ذلك التاريخ الرسمي بالتطور الفني الذي وصله، ومحمد منير وحتى الشيخ امام لم يلغ التطور الفني الذي حدث على مستوى السلطة وبرعايتها، وظهور يوسف القعيد لم يلغ انتاج طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ، بل استفاد من الرواية المصرية ووضعها في شكل يتناسب والمضمون الذي يريده.

أريد أن أصل الى أن ذكر أغنية "فاتت جنبنا" لم يكن المقصود منها مضمونها ولا أعتقد أن ذكر أغنية تحكي قصة كأحد النماذج كانت شتيمه لتوجع أحدنا، كما أن ذكرها ليس بحاجة للصيد في الماء العكر خاصة وأن المتابعين للكتابات عن الفن والأغاني يعرفون موقفي تماما والذي ما زالت مجلة الكاتب تحتفظ به صفحاتها عبر السنين التي شاركت في الكتابة عنها.

وماذا بعد؟:

هناك الكثير، وقضية الاستمتاع بالعمل الفني هي في النهاية محصلة لعوامل عديدة، منها ما يتعلق بالذات: الثقافة والمعرفة والمتابعة ومنها ما يتعلق بالعرض: مضمون وشكل فني، ان فرقة الفنون أو جذور وغيرها تنتمي لنا بنفس القدر الذي ننتمي اليها، وان ما تقدمه هو عملية تطوير للمجتمع كما أن ما يكتب عن الفرق وعروضها هو في النهاية عملية تطوير للفرقة وبالتالي للمجتمع، هذا حق لنا وهو واجب علينا، وآمل أن لا أكون قد خرجت عن هذا السياق.

Digitized by Birzeit University Library

الفن أداة للتغيير .. وليس للتدمير *

أكرم المالكي

اذا كان الفن هو موقف من الحياة فالفنان والحالة هذه مطالب بالصدق مع ذاته أولا ومع أدواته الفنية بحيث يستطيع ان يعبر عن هذا الموقف تعبيرا يتلائم مع انتمائه وكذلك التزامه المترتب على هذا الانتماء.

ان تزوير الحقائق الحياتية والتاريخية وكذلك الفنية او محاولة تشويهها والغاء دور الاخرين ومساهماتهم لهو نزعة فردية انانية هدامة يترفع عنها أى فنان صادق مع ذاته وفنه ويريد ان يقدم فنا تقدميا وثوريا.

ان احد المهام الاساسيه للفن الثورى هو تغيير الانسان الذى هو اداة تغيير الواقع قدما الى الامام واذا فشل النتاج الفني لأي فنان في ان يغيره هو بالذات فنستطيع الجزم هنا ان فن هذا الفنان لن يستطيع تغيير جمهور المتلقين وبالتالي سيفشل حتما في تغيير الواقع المعاش.

كان التاريخ وما يزال عرضه للكثير من التأويل والتفسير لمصلحة هذا او ذاك، وقد تنبه لذلك ارسطو منذ زمن بعيد حين قال "الفن اعظم من التاريخ" وكان يعتقد الرجل حين قال ذلك ان للفن وسائله الدفاعية الكامنة فيه والقادرة على حمايته من هذاالتأويل ولكن لم يدر بخلده انه سيأتي زمان يستطيع فيه من هب ودب ان يكون فنانا وان يتحدث بكل بساطة عن الفن ويطلق فيه ما شاء من الاحكام الجزافية.

تحت عنوان "ملاحظات حول الوضع الراهن للمسرح في المناطق المحتلة" انبرى قلم احد هؤلاء "الفنانين المسرحيين" لينتقل من مغالطة الى اخرى وحيث انها كثيرة فسأكتفي بتصويب بعضها واترك الباقي لمن يهمه الامر.

يتطرق زميلنا وتحت عنوان "أين تقف الحركة المسرحية الان" الى تقسيم النتاج الفني الى مدرستين اطلق على احداها اسم (مدرسة الفن للفن) ووضع على رأس هذه المدرسة فرقة (الحكواتي) وكذلك اجمل معها (الورشة الفنية).

* ردا على ما نشر في مجلة الهدف في العدد ٩٧٤ في العاشر من أيلول ١٩٨٩ والتي نشرته مجلة الكاتب في العدد ١١٧ ١٩٩٠ ص ٧١ - ٧٦.

Digitized by Birzeit University Library

ان قراءتنا لتاريخ الفن تقودنا الى ان حركة الفن للفن والتي كانت ذات الصلة الوثيقة بالحركة الرومانسية قد نشأت في العالم البرجوازي، ال .. ما بعد ثوري وان هذا الموقف الذي تبناه الشاعر الفرنسي (بودلير) كان صرخة احتجاج ضد النفعية التافهة وضد الاهتمامات السطحية والتجارية للبرجوازية في عالم اصبح كل شيء فيه سلعة حتى الفنان ونتاجه، ان شعار الفن للفن هو محاولة وهمية للتفلت الفردي من العالم البرجوازي، هل كان نتاج (الحكواتي) كذلك ..؟ لا اظن.

ان المتتبع لاعمال الحكواتي منذ مسرحية (بسم الاب والام والابن) وفيلم (عيش وملح) ومرورا بمسرحية (جليلي يا علي) وانتهاء في مسرحية (كفر شما) سيجد خيطا يربط كل هذه الاعمال.

لقد لجأت (الحكواتي) ومن خلال مسيرتها الفنيه الى رصد كثير من مظاهر الخلل في الواقع ولكن النيه هنا لم تكن حسنه فهي لم ترصدها من اجل تغييرها وانما ابرزتها بشكل قدري يستحيل على التغيير وحتى يسهل عليهم ذلك لجأوا الى حيل فنية مستندة اساسا الى مقولات علم النفس التي كان ابرزها "ان الانسان اذا اثير بدرجه معينة فانه يتقبل اشياء تملى عليه لا يتقبلها في الوضع العادي" ومن هنا فانهم لجأوا الى الاثارة الحسية والجنسية واستخدام وسائل بصرية في المسرح تعمل على الابهار والاثارة وكانوا دائما يستطيعون دس السم في الدسم فيخرج المتفرج ولسان حاله يقول (اضرب كاسك بكاسي، بلا صح بلا غلط). ان هذا الكلام الانف الذكر ينطبق على فرق اخرى غير الحكواتي انتهجت نفس الاسلوب ولكن لايمكن ان نضعهم كذلك تحت تصنيف (الفن للفن) .. كنت اتمنى لو انهم ينتمون الى مدرسة الفن للفن كما قال زميلنا لكان خطرهم اقل. لقد كان خطرهم فعلا اقل مع وجود الوعي عند المتفرج.

ان المغالطة الثانية التي يقع بها هذا الزميل حين ينصب نفسه ملكا مطلقا للمدرسة الثانية النقيض للمدرسة انفة الذكر ويدافع عن الفن الشعبي ويصف هذا الفن باوصاف سحرية بعيدة كل البعد عن الحقيقة العلمية لهذا المفهوم الفني وبعيدة كذلك كل البعد عن دوره التاريخي.

ان مفهوم الفن الشعبي أو (الفولكلور) كما يسميه البعض مصطلح صاغته الحركة الرومانسية في بحثها عن الوحدة الضائعة وفي احتجاجها ضد الاستلاب الرأسمالي، وقد حاولت البحث عن ذلك في الاغاني الشعبية وانطلقت من الشعب كوحدة متجانسة وهنا يكمن الخلل، فالشعب ليس وحدة متجانسة بل طبقات متصارعة ذات مصالح مختلفة واذا تعمقنا في النتاج الشعبي نرى ذلك واضحا ففي فترة صعود الطبقة العاملة اصبح (المارسليز والنشيد الاممي) وكذلك اشعار بريخت هي الاغاني الشعبية لهذه الطبقة. ان مفهوم الشعب المتجانس المزود بروح شعبية هو مفهوم رومانسي وهو مجرد وهم ذي مغزى رجعي. فلا ادري من هو الشعب والجمهور الذي سيمسك طرف الخيط. ان الفن الثوري هو الذي يقسم الجمهور في القاعة وليس الذي يجعله يجمع على الامساك بالطرف الآخر للخيط.

ان المغالطات لم تقف عند الحد الذي ذكرته بل تعدته لتشمل جهد زملاء مسرحيين كنت أنا واحدا منهم. عند نهاية الصفحة الاولى وبداية الصفحة الثانية من المقال يكتب هذا الزميل فيقول "ومن بلا لين انبثقت فرقة صندوق العجب التي لم يبق من اثارها اليوم سوى الفنان عادل الترتير ولم تقم منذ عام ٧٩ الا بعملين فقط اولهما (مونودراما) لعادل فقط كاتبا ومخرجا وممثلا والثاني (الاعمى والاطرش) للشهيد

Digitized by Birzeit University Library

غسان كنفاني ولكنها لم تكن ناجحة فنيا حيث شابها ثغرات فنية كبيرة".

كوني احد المشاركين في اعداد مسرحية (الاعمى والاطرش) واخراجها فان حكما طائشا مثل هذا يصيبني حتى النخاع وخصوصا اذا انطلق من (ملك) المسرح الشعبي كما نصب نفسه ولا نستطيع الا القول ان رايا كهذا لا يمكن ان ينم الا عن جهل بشروط العمل الفني، وكنت أتمنى أن يكون لهذا الزميل القدرة على نقد العمل بشكل علمي في حينه لاستطعنا ان نرد على كل الامور التي أشكل عليه فهمها ولكن جهله بذلك هو الذي دفعه على اطلاق حكم جزافي على أمل أن لا تقع مقالته بين أيدينا ونستطيع الرد عليها.

اذا قصد زميلنا بالثغرات أن النص المسرحي المقدم على خشبة المسرح ليس هو النص الادبي الذي أبدعه غسان كنفاني فأود أن أؤكد له على ما قلته من اختلاف شروط العمل المسرحي التي تقتضي اجراء تعديلات في النص الادبي بحيث يصبح من الممكن أن يتلائم وشروط العرض مع مراعاة عدم التعرض لفكر المبدع وهذا ما حدث فعلا.

لقد تم اختيار نص (الاعمى والاطرش) من اجل اعداده ليقدم كعمل مسرحي، وعند قرائتنا الاولى للنص أدركنا صعوبة المهمة ولكن الذي شجعنا على القيام بها هو عمق الفكر المطروح بهذا النص، وعند القيام بعملية الاعداد الاولى للنص فقد تم ذلك بناء على فهم واضح لما يريد غسان كنفاني قوله فالى جانب صرخة الغضب التي تعودنا سماعها في الكثير من أعماله أضاف غسان كنفاني هنا سخرية لاذعة من كل الرموز المرتبطة بالولي عبد العاطي والتي تدعو الى الاستكانة والانتظار والامل ولسان حاله يقول (ما بحك جلدك غير ظفرك) ونتيجة هذا الفهم الواعي فقد تم بناء النص مسرحيا اعتمادا على هذه الرؤيا وحتى حين تم اقتراح تعديلات على النص من خلال العمل به فلم تخرج تلك الاقتراحات والتعديلات عن ذلك الفهم المسبق لطبيعة هذا العمل وقد روعي في عملية الاخراج ابراز هذا الفهم والتأكيد عليه وقد ابدع كل من الممثل عادل الترتير (الاعمى) وخلف امير طه (الاطرش) في تصوير الشخصيات وساعدهم في ذلك اكتشاف وتلمس عنصر السخرية الذي اراد غسان كنفاني ابرازه بحيث يسخر من كل تلك الرموز، وقد شاركهم في ذلك زملاء اخرون هم ماجد الكرد، درويش ابو الريش، ومها ابو دحو. لقد نجح هذا العمل في الوصول للجمهور وفي ايصال فكر غسان كنفاني له ومع أن نفس النص قد تناولته فرقة المسرح في الناصرة وحاولت التمسك بالنص الادبي وفي حشد الكثير من الممثلين والديكورات له وعن طريق المصادفة كان يعرض بنفس الفترة التي كانت "صندوق العجب" تعرضه فان عمل صندوق العجب هو الذي رشح للمشاركة في مهرجان غسان كنفاني في كل من ام الفحم ومجد الكروم، لا اريد أن اقلل من عمل الزملاء في الناصرة ولكني اريد أن أؤكد على نجاح عملنا من كل النواحي الفنية والفكرية، فأي ثغرات فنية يتحدث عنها زميلنا؟ وأي نجاح يقصده؟

اذا كان مستوى النجاح الذي يفهمه هذا الزميل هو ما كتبه في مقالته حيث قال "وأسسوا المسرح الشعبي الفلسطيني وقدموا رائعة الشهيد غسان كنفاني "عائد الى حيفا" في مسرحية بعنوان "الانسان قضية" والتي اخرجها أحمد ابو سلوم ولاقت رواجا لم تحظ به مسرحية حتى الان".

لا أدري ما الذي عناه زميلنا بالرواج هل هو مقياس لنجاح العمل؟ أم هو المعادل لرأي أحد الألمعيين في الاخراج السينمائي (حسن الامام) حين سألوه عن معيار نجاح الفيلم، فكان دائما يجيب بأنه شباك التذاكر.

Digitized by Birzeit University Library

لقد كنت خارج البلاد لانهاء دراستي في فن الاخراج المسرحي حين تم عرض مسرحية "الانسان قضية"، ولم استطع أن أكون شاهدا على الحدث، ولكن قراءتي لنقد موضوعي تناول هذا العمل بالتحليل وقد اعطاني فكرة واضحة عن طبيعة هذا العمل، وأعطاني كذلك دليلا واضحا على مغالطة أخرى كان قد وقع بها زميلنا وهو يدون ملاحظاته، وباستطاعة أي زميل في الحركة المسرحية أن يعود ويقرأ الصفحات ٧٠-٧١ من العدد الخامس لسنة ١٩٨٠ من مجلة "الكاتب" ليطلع على الحقيقة بنفسه.

تحت عنوان (عام ٨٠ وسياسة القبضة الحديدية) يعترف الزميل ضمنا بالدور الرائد ل "مسرح الرحالة" الذي كنت احد المؤسسين له بالاشتراك مع الزميل المسرحي يعقوب اسماعيل.

أن "مسرح الرحالة" ومنذ بداية أعماله (الديكتاتور) قد انتهج نهجا تجريبيا ابداعيا لم يكن مطروقا في الوسط المسرحي وهي اعتماد المسرحية على شخصيتين، وقد ساعد في نجاح تلك التجربة توظيف كلمات الشاعر حسين البرغوثي واداء والحان الموسيقي جريس بصير، وفي التجربة الثانية لمسرح الرحالة وهي مسرحية (الرجال لهم رؤوس) والتي ألفها الأديب محمود دياب فقد فتح مسرح الرحالة باب التعاون مع الزملاء المسرحيين الاخرين فشارك في التجربة كل من الزميلة سهام غزالة والزميل حيان يعقوب، وكان لنجاح التجربتين أثره الكبير في الساحة المسرحية حيث ساهمتا في تنشيط الحركة المسرحية حيث تجرأت الفرق الأخرى على استلهام هاتين التجربتين في تقديم أعمال مسرحية تعتمد على شخصيتين فقدمت فرقة المسرح الفلسطيني مسرحية (من العاقر) تبعتها بمسرحية أخرى (لعنة عتريس) وعندما تأسس مسرح سنابل فقد استفاد من هذه التجربة وقدم مسرحية (سيدي الجنرال) والتي كانت شديدة الشبه من حيث الشكل والمضمون بمسرحية الديكتاتور، قدم مسرح الرحالة بعد ذلك مسرحية (المزبلة) وهي تأليف الشاعر حسين البرغوثي وتمثيل واخراج يعقوب اسماعيل وشاركه التجربة الموسيقى جريس بصير، تبعتها مسرحية (الكاتب والشحاد) وهي تمثيل واخراج أكرم المالكي الذي قام بدور الكاتب ويعقوب اسماعيل الذي قام بدور الشحاد. لقد برزت أعمال مسرح الرحالة وشكلت حالة مسرحية مميزة ومع تكرار هذه التجربة من الفرق الأخرى فقد برزت هذه التجربة كظاهرة حتى أن البعض أطلق عليها (ديادراما).

ماأود ذكره هنا أن الأمانة تقتضي منا ذكر الحقيقة فلا يجوز الاسهاب عندما يتحدث الانسان عن جهده واللجوء الى الاختزال أحيانا والى التشويه في أحيان أخرى عند الحديث عن جهد الأخرين فكان الأجدى لزميلنا والحالة تلك أن يحتفظ بملاحظاته لنفسه راجيا من كل الزملاء في الحركة المسرحية عدم تكرار هذا الخطأ حتى يبقى الفن أداة للتغيير وليس أداة للتزوير والتدمير.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

خيط القمر

عمر حمّش

بيتنا في المخيم تحت القمر، والقمر تفاحة محروقة معلقة، خيط رفيع يربطنا به، نهتز نهتز، القمر جميل، لكن لو انقطع بنا الخيط، سنهوي في الفراغ السحيق.

جاورتني على الفراش، مشدودة معي الى القمر،أراها يغادرها الشحوب، تغدو وردية، تغدو هي الأخرى تفاحة يغزوها الاحتراق، أراها بنتا للقمر، عروسا جاءتني من عالم الفضاء، أراها محرابا يغريني أن أعبره.

مشحون أنا في هذه الليلة، تتقدمني روحي نحو المحراب، أقترب أقترب، أرى القمر يبتهج، خيطه وتر رفيع يجذبنا، وأنا رحى تدور، والدوران فن يا قمر، يوحدني مع المحراب، يجعلنا نصول ونجول، فارس أنا يحرث بحصانه الصحراء، عازف يعامل آلته مثل ساحر، وخيط القمر يزداد صلابة، يزداد توترا، يصبح وترا يشدو، نعزف عليه دورانا، دورانا نشيد، نشيد يا قمر.

الليلة غافلناهم ودرنا، كأننا لسنا هنا، كأن المخيم بستان، وهم؟، زالوا أو ماتوا، نحن في بستان ويكفي، ندور مع القمر، وأنا والمحراب نشيد، نذوب ونمتزج، ننصهر ونختلط، ونصح بلحن البستان، أنا العابر صحن المحراب، فيه أذوب، أنا الصادح بنشيد البستان المفقود.

في لحظة، انشد الخيط بعنف، وصرنا كمن يهوي. داست أقدام على السماء، والأرض والجدران والهواء والماء واليابسة والسائلة، انتشرت فوق رأسي وصدري وقدمي، قبضت على نشيدي وصوتي ولهاثي وانفاسي، عضت على شهيقي وزفيري ونبضي وضغط دمي.

الدنيا صارت أقدام.

أقدام تدق باب البيت بجنون، أقدام تهوي على الخيط المشدود، أقدام تهرس تحتها القرميد، أقدام في معدتي تجوس.

صرت مشدودا من عنق رأسي، معلقا، عاريا. كنت كما عملني الله.

حملقوا عجبين في عريي، فأنا كنت أفعل ما يفعله الرجال .. أنا اكتشاف.

ضبطونا في أوج اللحن، قبل أن يكتمل اللحن، ويصل ذورته، آه لو وصل اللحن لذروته.

ساقوني، وتركوا محرابي يبكي داخل اللحاف الملفوف، صفدوا قبضتي وعقلي وقلبي ورئتي، دفعوني الى العربة، وقبل أن يقفلوا نصفي العلوي بكيس الخيش سرقت نظرة الى السماء، كان القمر مذبوحا ويهوي، والخيط معه يرمح مقطوعا.

١٩٨٩/١١/٢٨م

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

" عمو " فايز

عبدالرحمن عباد

جدتي تحب الحديث عن أبنائها كثيرا، فتارة تحدثني عن أبي، وتارة تحدثني عن عمي، ولكن حديثها كان ينصب عن "عمو" فايز، فقد خدم في العسكرية وكان يمشي مثل الغزال، سريعا، نشيطا، وكان يكره التدخين، وينام مبكرا، ويصحو مبكرا، فيتوضأ ويصلي الصبح ثم يذهب الى الحقل لمساعدة ابيه في أيام اجازته ..

وعندما اعتقلته القوات الانجليزية بعد معركة (الترعة) الشهيرة أخذوه أسيرا الى معتقل صحراوي، مع كثير من العرب، وقف أمامهم جاويش بريطاني بدين مفتول العضلات وأخذ ينادي كل واحد باسمه، ويطلب اليه ان يقول: "حاضر سيدي". وعندما جاء دور "عمو" فايز. قال: "حاضر" .. حينها توقف الجاويش عن متابعة المناداة، وصاح بأعلى صوته، بوجه "عمو" فايز قائلا حاضر وبس ..؟!!

- رد "عمو" بهدوء لقد سألتني وأجبتك ..!

- يجب ان تقول حاضر سيدي ..!!

- ومن قال لك انني سأقولها.!!؟

- ان لم تقلها باللين فسوف تقولها بالشدة.

- صدقني لن أقولها ..

وانهال الجاويش بالسوط على "عمو" فايز، ولكن "عمو" ظل حتى النهاية يرفض ان يقول لسجانه سيدي.

Digitized by Birzeit University Library

كان زملاؤه ينظرون اليه باعجاب، ولكنهم لا يجرؤون على مساعدته .. وعندما وجد الجاويش انه قد فشل، سحبه من شعره، وربطه تحت ميزاب المياه، طوال الليل.

قضى "عمو" فايز الليل تحت الميزاب، وكان ذلك في شهر كانون الثاني، "فحل الشتاء". وكان برد الصحراء قارسا .. عند الصباح كان "عمو" فايز قد تجمد من البرد، ولم يكن قادرا على تحريك يديه أو رجليه أو رقبته .. مما شجع الجاويش على مفاوضته، حتى يقول حاضر سيدي. لكن "عمو" فايز لم يقلها.

قضى "عمو" فايز ستة أشهر، وعندما عاد كان أنحف بكثير مما كان عليه، ولكن قامته كانت واقفة، منتصبة كالرمح.

عند هذا الحد، كانت جدتي تتوقف عن الحديث فكنت اسألها: ولماذا لم يقل "عمو" للجاويش حاضر سيدي، .. و؟

- كانت تقول: سلوه

- وذات يوم شاهدت "عمو" فايز خارجا من المسجد فقررت أن اسأله ..

- "عمو" فايز .. لماذا رفضت ان تقول للجاويش حاضر سيدي؟؟

- حينها حملني بين ذراعيه وراح يقبلني وهو يقول ..

"السجان لا يمكن ان أقول له سيدي .. هو يسلبني حريتي أما أنت "عمو" فأقول لك سيدي .."

- ماذا تريد يا سيدي ..؟

- قلت له .. أريد فستق بتعريفة.

حينها قال: "حاضر سيدي" .. وناولني التعريفة وهو يقول: تفضل سيدي.

ومنذ ذلك اليوم وأنا أحب "عمو" فايز والفستق وأكره السجان ودولة حاضر سيدي.

Digitized by Birzeit University Library

شعر

- ح. ش. ف -

(الى ح.ش.ف العزيز)

يوسف شحادة

١ - حمام -

سماءٌ تُعشّشُ قُربَ اليدينِ
وتنتعلُ الأرضَ والبحرَ والقبلتينِ
تطيرُ
مُنرجَسَةً ومُدنّسَةً بصفاءِ المساءْ
حَمامُ على وَشْكِ أن يُسقِطَ الأرضَ
في قلبهِ ويطيّرها كهواءِ السّماءْ
حَمامُ
يحومُ على حَبَقٍ أسودَ الوجنتينِ
فيملكنا اللّيلُ في عشّ أحلامنا
ثم يمضي
نفيضُ على مَطرِ القَحطِ طُحلبَ صُبحٍ أخيرْ
فيدركنا ظلُّ الحمامِ الكَسيرْ..
حمامُ يحومُ.. يطيرُ الحمامْ
نقومُ..
نطيرُ الى نجمةٍ تختفي في الأمامْ.

× × ×

٢ - شيخ -

من حاضرة الفاتيكان الى صحراء عُمانْ
سار القلبُ هزيلاً تحمله الأشعارْ
في منتصف الدربِ أتتهُ عصافيرِ القدسِ
فرادى وأشاعت في أذنيه الأخبارْ
من حاضرة الفاتيكان الى خاصرة الصحراءْ
سكتَ الفجرُ ولم يطلقْ..
غاصَ البحرُ قليلا في الصدرِ وخمشَ الأضواءْ
من حاضرة الفاتيكان الى صحراءِ عُمانْ
اتّكأ القلبُ على لحيةِ شيخٍ
وتعثّر حين رماهُ الشيخُ بعكّازٍ
وطواهُ بعصورِ النسيانِ
وخبّأهُ بأثافي رمضانْ
من حاضرة الفاتيكان الى صحراء عُمانْ
شيخٌ يشخرُ ويشـ.. (يبول) على الفجرِ الشائبِ
شيخٌ!! آهٍ لو نقتله ونناْم!
آهٍ لو نلفظه من رقصةِ غفوتنا
ونناْم!
نفترسُ اللّيلَ ونصحو
ونطيّرُ أحلامَ طفولتنا وعصافيرِ الأقفاصِ
وسربَ حمامْ..
شيخٌ صَمَدٌ.. أحَدٌ.. نحسٌ!!
لا تأخذه سنةٌ.. لا يأخذه نومٌ وسباتٌ
لكنه يشخرُ!! ماذا لو نقتله ونناْمْ؟!؟!

× × ×

Digitized by Birzeit University Library

٣ - فاطمة -

تَنَحّي قليلاً
عن البحرِ فاطمةُ
واقبلي اليَّ
أعدّي ليَ اليومَ لي
ما استطعتِ من الخيل واللّيل والظلّ
في ظلّ هذا الصراط
الطويلْ..
تنحّي قليلا
عن الموجِ فاطمةُ
واشربيني نبيذاً يذوبُ
برائحةِ الزنجبيلْ
تعالي اسحبيني
من الصمتِ ريحاً سُمُومْ
تعالي ..!!
تنحي عن البحرِ والعاشقِ المستحيلْ
وثم اقتليني
بسكّينِ هجركِ
انّي غفورٌ رحيمٌ ..
وانّي أعدُّ لهم ما استطعتُ
من الخيل والليلِ و ..
الإنتقامْ
أفاطمَ حُلّي وثاقي
ولا تتركيني طويلاً أنامْ ..

× × ×

ملامح أدبية

صدر حديثا عن "دار ايبلا" في دمشق، كتاب "ملامح من حنا مينه" للكاتب صياح الجهيم.

وهذا الكتاب، موجه الى القارىء العادي، اسهاما في مساعدته على فهم أعمق، وأصح، لأدب الروائي حنا مينه.

يقع الكتاب، في ١٢٥ صفحة من القطع الوسط.

رجل خالي الذهن
جمال ناجي

للكاتب الروائي الفلسطيني جمال ناجي، صدرت أولى مجموعاته القصصية "رجل خالي الذهن" عن "دار الكرمل للنشر والتوزيع" في عمان.

وكان ناجي قد أصدر من قبل ثلاث روايات كانت على التوالي: الطريق الى بلحارث (١٩٨٢)، وقت (١٩٨٤) ثم "مخلفات الزوابع الأخيرة" (١٩٨٨).

ميدالية ناجي العلي ..

قرر "مركز ناجي العلي الثقافي" منح "ميدالية ناجي العلي الذهبية" لكل من الشاعرين عبد الرحمن الأبنودي، ومظفر النواب، لنتاجهما الشعري الذي تناول الانتفاضة والرسام ناجي العلي ومواقفهما القومية.

عبد الرحمن الابنودي

وسيتم تسليم الميداليتين في حفل يقيمه المركز الذي نظم ندوة لمناسبة مرور عامين على الانتفاضة.

Digitized by Birzeit University Library

شعر

"أبو حشيش"

موسى حافظ - مخيم جنين

أبو حشيش: "انسان حقيقي من لحم ودم، عاش في المخيم، وبقي يعتقد لأربعين عاما أن الزمن قد توقف بعد خروجه من قريته، وأن أغنامه وأبقاره التي أجبر على تركها ما زالت حية ترزق. برنامجه اليومي هو جمع الحشائش من مرج بن عامر واطعامها للأغنام والأبقار في المخيم دون مقابل، لم يصدف أن حلق لحيته أو بدل ملابسه، وبقي يرفض النوم في "وحدات" الوكالة، وأخيرا وجدوه ميتا في زريبة للأبقار بجانب كومة من الحشائش.

يِخْرِبْ بيتَكْ يا أبو حَشيش ... وْغِ شِبِرْ مَيّه بِطّيش
ما بِطْلع مِنّْ ريشَك ريش ... بَّخْلُقَة ثوب وْبَنْطَلون
قَضّيت العُمر تعبان ... كُلّ رُقْعَة عَ جَنْبو لُون
عِشْت كْديش وْمُتْ كْديش ... وْلِحْيِة بْتِحْكي نابِليون
عايِشْ عُمْرك يوم بْيوم ... صَفْرا مِن الخَتْرِيش
مِشْ حامِل بْقَلْبَك هَم ... مِشْ عَ بالَكْ خال وْعَم
مِتْغَلّب مَا بْتِعْرِف نوم ... ضَيَّعْتِ العُمُر بِالّكَم (١)
عايِشْ يومَك عَ مَفيش ... عَ اللُّقْمِة تْفَتّش تِفْتيش
صَاحي وْتِحلم فِي الماضي ... عَ اللُّقْمِة تْفَتّش تِفْتيش
طالِعْ نازِل عَ الفاضي
وْبِهموم الدنيا راضي ... يَا جَماعَة قَلْبي طَقْ
وْبِهَالعُمر تْخَفّش تِخْفيش ... زُحْطو عَ الغَرْبْ وْعَ الشَرقْ
قَضيت العُمر بِدّور ... إِللي مَالو أَرض وْحَقْ
تِفْتِل تْبرُم بين الدُور ... بْتِنْهَش لَحْمُه الخَفافيش
وتْبَيّت بين لِقْبور ... وْيِغْمِر بيتك يَا أبو حَشيش

(١) : المخيم

Digitized by Birzeit University Library

ملحق

- الديمقراطية تشكل الأساس لحل الأزمة في السودان.
- الثورة تستطيع الدفاع عن نفسها.
- كيف يجري الاصلاح الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي؟
- بواكير الأمن وقيود العقائد الجامدة.
- ما من انسان جدير بأن يكون سيدا لانسان آخر ..

Digitized by Birzeit University Library

الديمقراطية تشكل الاساس لحل الازمة في السودان

- الطيب علي أحمد -×

اشار الانقلاب العسكري الاخير في السودان الذي اطاح بالحكومة المدنية الشرعية التي كان يترأسها السيد الصادق المهدي في الثلاثين من حزيران الماضي عدة تساؤلات. وفي مقدمة تلك التساؤلات الاسباب التي ادت الى ذلك الانقلاب وهوية العناصر التي نفذته ثم الاهداف والمشاريع التي ينوي الانقلابيون تنفيذها.

البيان الاول الصادر عن قادة الانقلاب والذي اذاعه الفريق عمر حسن احمد البشير اشار الى ان الاسباب التي ادت الى الانقلاب العسكري تكمن في "تدهور الاوضاع الاقتصادية وانهيار الخدمات الصحية والتعليمية واستشراء الفساد وتشكيل المليشيات الحزبية وتدهور العلاقات الخارجية واهمال اعداد القوات المسلحة والفشل في تحقيق السلام واضاعة رئيس الوزراء لوقت البلاد وتبديده لطاقاتها من كثرة الكلام والتردد في السياسات والتقلب في المواقف".

بالاضافة الى ذلك اعلن الانقلابيون ان الاحزاب السياسية جميعها مسؤولة عن الاوضاع المتردية التي تحدث عنها البيان الاول.

بناء عليه جعل الانقلابيون من انفسهم اوصياء على الشعب السوداني واطلقوا على مجلسهم العسكري اسم "المجلس العسكري للانقاذ الوطني" وكونوا حكومة حملت ايضا اسم "حكومة الانقاذ الوطني".

المتتبع لسير الاحداث والتطورات في السودان منذ انتفاضة الشعب السوداني في نيسان ١٩٨٥ وحتى انقلاب ٣٠ حزيران ١٩٨٩، يستطيع ان يؤكد ان البيان الاول لقيادة الانقلاب العسكري لم يأت بجديد من حيث تشخيص الاحوال المتردية في بلادنا. فقد توصلت الى ما توصل اليه البيان معظم القوى السياسية

بما فيها القوى السياسية الموجودة في قيادة اكبر حزبين هما حزب الامة والحزب الاتحاد الديمقراطي. كما توصلت الى تلك الحقيقة ايضاً قيادة القوات المسلحة السودانية عندما رفعت الى السيد رئيس الوزراء والى مجلس رأس الحكومة مذكرتها الشهيرة في العشرين من شباط ١٩٨٩ باسم ضباط وجنود

× ممثل الحزب الشيوعي السوداني في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية"

Digitized by Birzeit University Library

القوات المسلحة. وقد تضمنت واحدا وعشرين بندا تقريبا اشارت بوضوح الى تردي الاوضاع الاقتصادية وانفراط عقد الامن وتفكك الجبهة الداخلية وعزلة السودان على الصعيد العالمي نتيجة لسياسة المحاور والاستقطاب التي نتنهجها الحكومة. كما تعرضت المذكرة الى الاثار المدمرة التي تتركها الحرب الاهلية على حياة الشعب.

واهم شيء اكدت عليه المذكرة هو ضرورة التمسك بالتجربة الديمقراطية وحماية النظام الديمقراطي. لذلك طالبت بحل حكومة الائتلاف التي تتكون انذاك من حزب الامة والجبهة القومية الاسلامية وبعض ممثلي الاحزاب الصغيرة الاخرى والعمل على تكوين حكومة ذات تمثيل واسع تشارك فيها كل الاحزاب السياسية والنقابات والمنظمات الجماهيرية.

ونستطيع القول ان الصدى والتجاوب الواسعين اللذين حظيت بهما تلك المذكرة يعبران عن التفيير الكبير الذي حدث في ميزان القوى في بلادنا لصلحة توطيد وترسيخ التجربة الديمقراطية السودانية، الامر الذي كان من شأنه ان يفتح افاقا رحبة ويهيىء الاجواء لحل لزمة الحكم في اطار الديمقراطية.

وقد نتج عن هذا التغيير في ميزان القوى انصياع السيد رئيس الوزراء السابق الصادق المهدي لمطالب القوى السياسية والشعبية خارج وداخل القوات المسلحة المعبرة عن اهداف ومطالب انتفاضة نيسان ١٩٨٥، مما ادى الى تكوين حكومة الجبهة المتحدة في اذار ١٩٨٩ التي تبنت برنامجا مرحليا وقع عليه اربعون حزبا ونقابة ما عدا الجبهة القومية الاسلامية التي عارضت تكوين الحكومة وعارضت كذلك برنامجها ثم عارضت بعد ذلك اتفاقية السلام بين الحركة الشعبية لتحرير السودان والحكومة واعلنت عن عزمها على محاربة الحكومة والعمل على اسقاطها.

ولكي تكون صورة تطور الصراع السياسي في السودان واضحة امام القارىء نورد هنا وللمرة الثانية تفاصيل البرنامج المرحلي الذي تبنته الحكومة آنذاك:

١) ضرورة الحفاظ على الشرعية الدستورية والنظام الديمقراطي وتأمين امن البلاد والوصول الى انهاء الحرب واحلال السلام وذلك باتباع سياسة دفاعية وامنية عن طريق دعم وتأهيل القوات المسلحة النظامية الاخرى، ودعم الجبهة الداخلية والقبول الرسمي بمبادرة السلام السودانية والعمل على عقد المؤتمر الدستوري في اسرع فرصة.

٢) حل ازمة الاقتصاد الوطني وتحسين الاحوال المعيشية للمواطنين.

٣) على صعيد العلاقات الدولية ضرورة انتهاج سياسة خارجية متوازنة بعيدا عن المحاور.

٤) ضرورة التحضير للانتخابات العامة وفق قوانين جديدة تضمن تمثيل القوى الحديثة.

اولى الخطوات الايجابية التي اتخذتها حكومة الجبهة الوطنية المتحدة كان تبنيها لمبادرة السلام السودانية والدخول في مفاوضات مباشرة مع الحركة الشعبية لتحرير السودان، الامرالذي تمخض عنه الاتفاق حول ايقاف العمل بقوانين الشريعة الاسلامية الى حين انعقاد المؤتمر الدستوري، الغاء اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والسودان، الغاء البروتوكول العسكري مع ليبيا، وقف اطلاق النار بين الجيش السوداني وقوات الحركة الشعبية ثم التحضير للمؤتمر الدستوري من قبل كل الاطراف المعنية. وقد كان من المفترض ان تعقد في الرابع من تموز ١٩٨٩ جولة اخرى من المحادثات في اتجاه مواصلة البحث والوصول الى اتفاق حول المسائل المختلف حولها.

عندما حدث الانقلاب العسكري في الثلاثين من حزيران ١٩٨٩، الذي قطع الطريق امام سير عملية السلام. وفي هذا الخصوص نرى انه

Digitized by Birzeit University Library

من الضروري ان نعيد الى الاذهان ما اوردناه في مقالة سابقة نشرت في العدد الثامن من مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" هذا العام حول سير العملية الديمقراطية في السودان قلنا فيها: "دون شك ستعمل القوى المعادية وخاصة الجبهة الاسلامية القومية بكل ما تملك من امكانات اعلامية واقتصادية وعلاقات عالمية لعرقلة نشاط الحكومة وتعطيل المسيرة الديمقراطية". وهذا ما حدث.

واليوم يتضح بجلاء ان الانقلابيين لا يملكون برنامجا محددا يبررون به استيلاءهم على السلطة ويميزون به مواقفهم واهدافهم عن مواقف واهداف الحكومة المدنية الشرعية التي اطاحوا بها. الا ان الخطوات والاجراءات التي اتخذوها منذ استيلائهم على السلطة وحتى اليوم وما ينوون القيام به، تؤكد حقيقة اساسية الا وهي انهم يتبنون وينفذون عمليا برنامج الجبهة القومية الاسلامية. وفي مقدمة ذلك مصادرة المكتسبات والحقوق الديمقراطية التي انتزعها الشعب السوداني عبر نضاله الطويل الشاق الزاخر باغلى التضحيات والذي امتد لاكثر من اثنين وعشرين عاما ضد الانظمة الدكتاتورية العسكرية.

فالى جانب حل المؤسسات الشرعية كالجمعية التأسيسية ومجلس الوزراء ومجلس رأس الدولة وابطال العمل بالدستور وحل الاحزاب السياسية والنقابات والمنظمات الجماهيرية وتعطيل الصحف ومصادرة ممتلكاتها واعتقال قادة الاحزاب السياسية وقادة النقابات وطرك اكثر من خمسمائة من ضباط الجيش والبوليس من الخدمة بمن فيهم ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة، اعلن قادة الانقلاب عدم اعترافهم باتفاقية السلام السودانية وبقية الاتفاقات التي سبقتها كاتفاق "كوكا دام" واعلنوا الابقاء على قوانين الشريعة الاسلامية بعد طرحها على الاستفتاء الشعبي العام وكذلك الابقاء على اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والسودان بعد ان كانت الدولة المصرية المبادر الاول الذي اعترف بالانقلاب العسكري والداعم له.

هذا هو بالتحديد برنامج الجبهة القومية الاسلامية الذي لا يملك الانقلابيون الجدد برنامجا اخر سواه.

واخطر ما يهدف اليه ذلك البرنامج هو التخطيط لتفتيت وحدة البلاد والعمل على تكوين دولة في الشمال تحكم بقوانين الشريعة الاسلامية على نمط الدولة الايرانية واخرى في الجنوب يترك امر تدبيرها الى المسيحيين، كما تروج لذلك اجهزة اعلام الجبهة القومية الاسلامية.

وتمشيا مع هذا التوجه اعلن قائد الانقلاب اكثر من مرة لوسائل الاعلام العالمية والمحلية انهم عازمون على الابقاء على قوانين الشريعة الاسلامية حتى وان ادى ذلك الى فصل جنوب السودان عن الشمال، الامر الذي يعني ببساطة اصرار قادة الانقلاب الجدد على تنفيذ برنامج الجبهة القومية الاسلامية بحذافيره غير عابئين بنضال وتضحيات الشعب السوداني في سبيل الوحدة وتعزيز السيادة الوطنية. وكذلك غير عابئين بالرأي العام الدولي والمواثيق الدولية التي تدخل في تعدادها اتفاقية السلام السودانية المودعة لدى منظمة الوحدة الافريقية.

وللافصاح اكثر عن توجهاتهم ونواياهم الشريرة الهادفة لتصفية مكاسب الشعب السوداني، اتخذ الانقلابيون قرارا قضى باطلاق سراح المجرمين من قادة النظام العسكري المباد وهو ابو القاسم محمد ابراهيم، خالد حسن عباس ومأمون عوض ابو زيد الذين ادانتهم بعقوبة السجن المحاكم المدنية التي شكلت لمحاكمتهم بعد الانتفاضة الشعبية في نيسان ١٩٨٥ والتي وفرت لهم فيها كل فرص ووسائل الدفاع المشروعة.

كما اصدروا قرارا باعادة الاعتبار للمؤسسة

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادية العسكرية التي خربت الاقتصاد السوداني اثناء فترة حكم الدكتاتور جعفر محمد نميري.

وبعد ان اتخذ المجلس العسكري قراراته ومراسيمه القاضية بترقية قائد الانقلاب الى درجة فريق وقائدا عاما للقوات المسلحة السودانية ورئيسا لمجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء واعطائه صلاحيات تشريعية وتنفيذية لا حدود لها في ظل مصادرة الديمقراطية واستمرار فرض حالة الطوارىء، تهيأت كل الظروف لفرض حكم الفرد المطلق كما كان حادثا في عهد النظام الدكتاتوري العسكري المباد والانفراد هذه المرة بالسلطة كلية من قبل الاخوان المسلمين.

وكما هو معلوم فان تجربة تكريس حكم الفرد المطلق السابقة وتنصيب السفاح واللص العالمي الجنرال جعفر محمد نميري اماما للمسلمين كان مهندسوها ومنفذوها جماعة الاخوان المسلمين بزعامة الدكتور حسن الترابي الامين العام للجبهة القومية الاسلامية حاليا والذين شاركوا جعفر نميري الحكم لاكثر من سبع سنوات عجاف. وقد كانوا يخططون انذاك للانقلاب عليه والتخلص منه ثم الانفراد كلية بزمام السلطة.

وها هو اليوم قائد الانقلاب الفريق عمر حسن احمد البشير الذي يعتبر الرجل الثاني في التنظيم العسكري السري لجماعة الاخوان المسلمين داخل القوات المسلحة السودانية يصرح لمجلة الوطن العربي ان تاريخ الانقلاب الذي كان يزمع القيام به يعود الى عام ١٩٧١، لكنه تأجل بعد ان عاد الجنرال جعفر محمد نميري للسلطة مرة ثانية وذبح الشيوعيين.

ومما تجدر الاشارة اليه انه قد سبق انقلاب ٣٠ حزيران ١٩٨٩ انقلاب فاشل اخر وقع في النصف الثاني من نفس شهر حزيران وان قائد ذاك الانقلاب المعروف بانتمائه للجبهة القومية الاسلامية يعتبر الرجل الثاني في عضوية المجلس العسكري الخاص. كما تم الافراج فورا عن بقية الافراد الذين اشتركوا في العملية الانقلابية الفاشلة.

ان كل قرائن الاحوال والمعلومات المتوفرة لدينا تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان انقلاب حزيران ١٩٨٩ قد خطط له ونفذته الجبهة القومية الاسلامية.

الجبهة القومية الاسلامية قد بشرت بالانقلاب قبل وقوعه عندما نشرت الصحيفة التابعة لها "الوان" في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢٥ وثيقة تتحدث عن انقلاب سيقع في الثلاثين من حزيران.

واستنادا الى المعلومات التي اوردتها صحيفة "الميدان" الصحيفة المركزية للحزب الشيوعي السوداني التي تصدر حاليا بصورة سرية في عددها الصادر في تموز/ آب ١٩٨٩، ان مائة من المدنيين من اعضاء الجبهة القومية الاسلامية اشتركوا في عملية الانقلاب وكانوا يرتدون الزي العسكري وقاموا بتأمين اماكن استراتيجية في العاصمة كدار الهاتف والاذاعة والتلفزيون والمطار ومحطة الاقمار الصناعية. يضاف الى ذلك ان المدعو علي عثمان محمد طه نائب الامين العام للجبهة القومية الاسلامية هو الان المستشار الاول لقادة الانقلاب. واكدت "الميدان" كذلك ان جميع الذين اعتقلوا من قيادة الجبهة القومية الاسلامية وعلى رأسهم الدكتور حسن الترابي، الامين العام للجبهة القومية كانوا مستعدين بحقائبهم لحظة الاعتقال. الى جانب ذلك فان اتحادات الطلاب التي تسيطر عليها الجبهة القومية الاسلامية كاتحاد طلاب جامعة الخرطوم وجامعة القاهرة الفرع وجامعة ام درمان الاسلامية وما يسمى باتحاد عام الطلاب السودانيين واتحاد الطلاب السودانيين في كل من مصر وباكستان اعلنت تأييدها الفوري ودون تحفظ للانقلاب العسكري.

Digitized by Birzeit University Library

وبالاضافة الى كل ما سلف ذكره فان تكوين المجلس العسكري والقيادة العليا الجديدة للجيش ثم تشكيل مجلس الوزراء تضم في عضويتها اكثر من ٨٥ في المئة من اعضاء الجبهة القومية الاسلامية المعروفين لدى افراد الشعب السوداني.

وعلى الرغم من كل الحقائق والمعلومات التي اوردناها حول حقيقة الانقلاب وعلاقته بالجبهة القومية الاسلامية، الا ان قادة الانقلاب بعد ان تكشف امرهم وضرب الشعب السوداني طوقا من العزلة حولهم يحاولون دون جدوى نفي اية علاقة تربطهم بالجبهة القومية الاسلامية.

توجه نائب رئيس تحرير صحيفة "الاتحاد" المدعو نظير مجلى بسؤال للفريق عمر حسن احمد البشير اثناء المقابلة التي اجراها معه والتي نشرت بتاريخ ١٨ ايلول ١٩٨٩، حول علاقة قادة الانقلاب بالاخوان المسلمين ذاكرا له ان هناك محاولات لتقديم ادلة مثل تبني قوانين الشريعة الاسلامية التي وضعها الجنرال جعفر نميري. اجاب الفريق عمر ان المعارضة "لم تجد شيئا تحاربنا به سوى اتهامنا بالانتماء الى حزب. والهدف من هذا الاتهام هو اظهارنا للناس اننا محصورون في اطار ضيق، في الوقت الذي جئنا فيه لتمثيل كل الشعب السوداني بكل فئاته وعرقياته، كلها ممثلة داخل مجلس الثورة".

عندها اردف مندوب "الاتحاد" سائلا: "بمن في ذلك ممثلو الفئات التي يقبع قادتها في السجن منذ الانقلاب؟".

اجاب الفريق عمر: "لا طبعا. انا لا اقصد بالفئات الاحزاب. نحن كفرنا كلنا بالحزبيات. وطبعا لا يمكن ان ننتمي لاي حزب. خصوصا اذا كان صغيرا كهذا... اي كحزب الاخوان المسلمين". ثم اضاف "ربما جاءت التهمة الينا بالانتماء للاخوان المسلمين بسبب كونهم حزبا معارضا".

نحن نعتقد ان الانقلابيين الجدد يمارسون نفس اساليب الكذب والنفاق والخداع في السياسة التي كان يمارسها قادة الجبهة القومية الاسلامية ووسائل اعلامها. وتجربتنا في السودان اوضحت ان تلك الاساليب لا يمكن ان تخدع احدا خاصة وان شعبنا السوداني يمتلك حسا ثوريا عاليا ويمتكل خبرات وتجارب نضالية كبيرة تمكنه من الوصول الى كبد الحقيقة بسهولة ويسر.

ليس من قبيل الصدفة ان القرار السري الذي اتخذه قادة الانقلاب مباشرة بعد استيلائهم على السلطة بتصفية السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء السابق وسكرتير عام الحزب الشيوعي السوداني الاستاذ محمد ابراهيم نقد وكذلك تصفية الاستاذ التيجاني الطيب بابكر عضو سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني ورئيس تحرير صحيفة "الميدان"، ثم التخطيط لاغتيال البعض من قادة الحركة الشعبية لتحرير السودان، كلها قد انفضح امرها واثارت موجة من السخط والاشمئزاز وسط الرأي العام في بلادنا وعلى نطاق العالم، وارتفعت اصوات الاحزاب والمنظمات والشخصيات العالمية مطالبين بوقف الاعمال الاجرامية التي ينوي النظام العسكري القيام بها.

والشعب السوداني والرأي العام العالمي قد الما كذلك بتفاصيل الزيارة السرية التي قام بها قائد الانقلاب الى ايران يرافقه فيها قادة بارزون في الجبهة القومية الاسلامية امثال علي عثمان محمد طه ومهدي ابراهيم وما تمخضت عنه تلك الزيارة من اتفاقات سرية التزمت ايران بموجبها بتقديم العون العسكري والدعم المادي للنظام العسكري في السودان.

بالاضافة الى ذلك فقد اصبح معلوما على نطاق واسع الموقف العدائي للنظام من النظام الثوري في اثيوبيا وتخطيطه مع القوى الرجعية في المنطقة العربية ومع امريكا لاسقاطه. كما

Digitized by Birzeit University Library

يجري التخطيط لمحاصرة وشهر حرب اعلامية ضد النظام التقدمي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

وعند زيارة ممثل وزارة الخارجية الامريكية المستر كوهن مؤخرا للسودان والتقائه بقادة الانقلاب اعلنوا له عن استعدادهم لمنح امريكا قاعدة بحرية في "ترنكتات" في شرق السودان على البحر الاحمر وقاعدة جوية في غرب السودان في "الفاشر" شريطة ان يسحب الكونغرس الامريكي القرار رقم ٥١٣ ويقدم دعمه للسلطة الجديدة.

واليوم وبعد مرور اكثر من سبعة اشهر من عمر الانقلاب العسكري، فان المحصلة الواضحة للعيان تتلخص في العزلة القاتلة التي يعاني منها الانقلابيون على الصعيدين المحلي والعالمي والفشل الكامل في حل اية قضية من القضايا المزمنة المستعصية التي يعاني منها الشعب السوداني الذي هبوا لانقاذه ونجدته كما يدعون، ثم الفشل التام في تحقيق السلام والعجز عن تقديم اية فكرة او مقترح يمكن ان يسهم في التوصل الى حل لمشكلة الحرب الاهلية مع الحركة الشعبية لتحرير السودان. وكما هو معلوم فان الجولة الاولى من المحادثات التي اجريت في اديس ابابا بين وفد الحركة الشعبية ووفد المجلس العسكري قد انهارت منذ الوهلة الاولى نتيجة لعجز وفد المجلس العسكري عن تقديم اية مبادرة.

اننا في هذا الاطار نود ان نلفت الانظار الى ان الحركة الشعبية لتحرير السودان التي استجابت لدعوة الحوار والمناقشة مع الانقلابيين دون شروط مسبقة ووافقت على وقف اطلاق النار لمدة شهر وتمديده بعد ذلك ثم المساعدة على فتح الطرق والقنوات لتوصيل مواد الاغاثة للجنوب، قد اتخذت موقفا سياسيا مبدئيا رافضا لعملية الانقلاب من اساسها كوسيلة لحل ازمة الحكم وبقية المشاكل التي يعاني منها السودان. ففي حديث ادلى به قائد الحركة لجريدة "الانباء" الكويتية بتاريخ ٥ ايلول ١٩٨٩، عندما اتهم مراسل الجريدة الحركة الشعبية لتحرير السودان بانها تنادي بالديمقراطية ولكنها في نفس الوقت عن طريق تصعيد الحرب تسعى لتقويضها، اجاب الدكتور جون قرنق ان "الذين عملوا على تحطيم الديمقراطية ومعها السودان هم في الحقيقة الطائفيون وضباط الجيش وكلهم غير ديمقراطيين لان الانقلاب هو الاخر عمل غير ديمقراطي وهو يؤدي للدكتاتورية العسكرية".

والموقف السياسي الجريء حيال الانقلاب العسكري الاخير انعكس في التصريحات التي ادلى بها الدكتور جون قرنق لوكالات الانباء العالمية ولراديو الحركة والتي طالب فيها قادة الانقلاب بان يحلوا المجلس العسكري ويعيدوا الحياة الديمقراطية ويطلقوا سراح المعتقلين. كما وادان في تلك التصريحات كل الممارسات غير الديمقراطية التي قام بها قادة الانقلاب منذ توليهم السلطة.

ومما تجدر الاشارة اليه ان قادة الحركة الشعبية لتحرير السودان اشارت الى انه في حالة عدم استجابة قادة الانقلاب لما دعا اليه فانه سيتوجه الى الشعب السوداني للقيام بالاضراب السياسي العام والانتفاضة الشعبية التي ستجد كل الدعم من حركته.

نود هنا ان نقول باختصار ان هذا الموقف الذي اتخذته الحركة الشعبية لتحرير السودان حيال الانقلاب العسكري يتفق وينسجم تماما مع موقف الحركة الشعبية السودانية تجاه الانقلاب الذي سيواجه دون شك نفس المصير الاسود الذي واجهه نظام الدكتاتور جعفر محمد نميري.

وبهذا الموقف تكون الحركة الشعبية لتحرير السودان قد اثبتت مصداقيتها امام بقية اطراف الحركة السياسية في السودان بالتزامها ودفاعها

Digitized by Birzeit University Library

عن المواثيق التي ابرقها مع القوى السياسية كاتفاق "كوكا دام" واتفاقية السلام السودانية.

والمهمة الاساسية العاجلة اليوم التي تجابه حركة المعارضة والتي تعتبر الحركة الشعبية لتحرير السودان جزءا لا يتجزأ منها هي مسألة التنسيق وتحديد مهام النضال وشن النضال المشترك الذي من شأنه ان يؤدي الى الاطاحة بالنظام الدكتاتوري العسكري ويعيد ويرتب الحياة السياسية على اسس ديمقراطية جديدة.

وفي الختام نود ان نؤكد ان التجربة العملية للتطور السياسي في السودان قد اثبتت فشل الانظمة الدكتاتورية العسكرية التي حكمت السودان اكثر من اثنين وعشرين عاما في حل مشاكل البلاد الاساسية بل انها فاقمت من تلك المشاكل وادخلت السودان في متاهات وازمات يصعب على المرء ان يتصور ابعادها الحقيقية. وان تجربة الحكم الوطني الديمقراطي، على علاتها، اثبتت ان هناك امكانات وفرصا لا حدود لها لرص الصفوف وتهيئة الاجواء للمناقشة والحوار والبحث عن افضل الطرق والاساليب لحل ازمة الحكم في السودان.

نحن في الحزب الشيوعي السوداني توصلنا الى قناعة راسخة نابعة من تجربتنا في النضال على ارض الواقع السوداني وهي ان تسلط الدكتاتورية العسكرية وتفاقم ازمات البلاد ما هي الا امتداد لازمة مصادرة الديمقراطية في بلادنا وذلك منذ ان جنحت الدوائر اليمينية، مدنية كانت ام عسكرية، لغرض طريق التنمية الرأسمالية والتبعية للاستعمار الحديث بالقهر والعنف. وستبقى الازمة مستفحلة ما لم تعد للشعب حرياته وحقوقه التي قننها دستور البلاد وتضمنتها مواثيق انتفاضة الشعب السوداني المجيدة منذ اندلاعها في نيسان ١٩٨٥ وحتى قيام الانقلاب العسكري الاخير في حزيران ١٩٨٩.

رابطة حقوق الانسان:

حالات تعذيب سجلت العام الماضي في تونس

تونس - أ.ف.ب - ذكرت الرابطة التونسية لحقوق الانسان يوم ١/١٤ أن حالات تعذيب سجلت العام ١٩٨٩ في تونس بالرغم من تبني هذا البلد في تموز ١٩٨٨ المعاهدة الدولية لالغاء التعذيب.

وفي ندوة جرت في أحد فنادق تونس عرضت الرابطة حصيلة لوضع حقوق الانسان العام الماضي وقالت ان "تونس تعتبر بالطبع في طليعة البلدان العربية في ما يتعلق باحترام حقوق الانسان لكن ارتكبت للأسف أعمال عنف في اثناء التحقيق مع المعتقلين في مراكز الشرطة".

وأعطت اللجنة المشرفة على الرابطة مثالا على ذلك حالة أحد الناشطين في تشكيل حزب صغير غير معترف به هو الحزب العمالي الشيوعي التونسي الذي قالت أنه "تعرض لتعذيب جسدي في اثناء توقيفه في مركز للشرطة في قفصة"، وقال عضو اللجنة المحامي عبد الرحمن كريم "لقد طلبنا فتح تحقيق في هذه المسألة وهو مستمر".

وذكرت الرابطة ان عشرين حالة اعتداء جسدي وتعرض للكرامات سجلت في صفوف المعتقلين.

Digitized by Birzeit University Library

الثورة
تستطيع الدفاع عن نفسها

- نجم الدين كاوياني -x

لقد اشترط قيام ثورة نيسان ١٩٧٨ بقيادة حزبنا موضوعيا خوض الشعب الافغاني نضالا مريرا من اجل الديمقراطية والتطور الوطني. وعلى امتداد عشر سنوات كدس حزب الشعب الديمقراطي الافغاني خبرة في قيادة البلد، وتمكن من تعبئة ملايين الناس للدفاع عن الوطن، وهو المبادر الى طرح سياسة المصالحة الوطنية.

لقد بدأت الثورة في بلد زراعي اسلامي متخلف، ورث من الماضي مجموعة كاملة من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقومية المعقدة.

ويمكننا الان الاعتراف، ونحن نستعيد السنوات المنصرمة، انه قد ارتكبت مجموعة اخطاء خلال السعي للتعجيل بالعملية الثورية. وهذا لا يعود بدرجة كبيرة الى النشاط الخياني لحفيظ الله امين فحسب، بل والى الاخطاء التكتيكية الخطيرة ومحاولات استعجال التاريخ والقفز فوق عدد من المراحل الثورية الطبيعية ايضا. وبالنتيجة تبين ان الحزب كان في وقت من الاوقات معزولا عن الفلاحين الذي يشكلون الكتلة الاساسية من السكان. كما ان المواقف الاستفزازية للاقطاعيين الكبار والبيروقراطيين واعداء التحولات الاخرين وتدخل الطغمة العسكرية الباكستانية والاوساط التسلطية للولايات المتحدة الامريكية، فاقمت صعوبات الجمهورية.

كما استوعب الشعب وجود وحدات من الجيش السوفييتي باشكال متفاوتة. وهذه مسألة معقدة يتوجب علينا تحليلها لاحقا. لقد كان لقوى الثورة المضادة وحلفائها شعار مشترك للتعبئة هو: سحب القوات السوفييتية من افغانستان. ولا نستطيع اخفاء انهم تمكنوا بفضل هذا الشعار من تجميع قوى كبيرة حولهم. كما ان الرجعية المدعومة من النظام في باكستان وبفضل التلاعب بمشاعر الجماهير الدينية والوطنية استغلت الفرصة وتمكنت من تعزيز تأثيرها في الريف.

* عضو المكتب السياسي، سكرتير اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، عضو المجلس الأعلى للدفاع عن الوطن.

Digitized by Birzeit University Library

ولم يخضع السكان في المناطق الريفية وفي القرى الجبلية والنائية بشكل خاص للحكومة المركزية، حيث تمكنت قوى الثورة المضادة بفضل المال، احيانا، والسلاح والخداع، احيانا اخرى، من تشكيل فصائل مسلحة، كما استغلوا حتى اخطاءنا الصغيرة لتحقيق مصالحهم.

لقد فر اولئك الذين طالت الثورة مصالحهم الى ايران وباكستان، وجرى هناك بشكل اساسي تشكيل المعارضة المسلحة. وقد ساعدها بمختلف الاشكال ضياء الحق والشاه محمد رضا بهلوي. وتم تنظيم الاعداد العسكري للارهابيين وسلحوا وزودوا بالاموال وارسلوا الى افغانستان. لقد كان لديهم هدف واحد هو خنق الثورة عن طريق الاستفزازات واعمال التخريب. وقبل عدة سنوات من احداث نيسان بدأت اوساط معينة في باكستان بمباركة وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية تشكيل مراكز لتحضير اعمال التخريب ضد قيادة الجمهورية الفتية. ولعبت السياسة الاستفزازية للولايات المتحدة الامريكية والسعودية دورا ليس بالقليل في تفاقم الاوضاع. لقد تشكلت في نهاية المطاف عمليا سلطة مزدوجة من نوع خاص، الحكومة الوطنية في كابول واوكار قوى الثورة المضادة، التي تعمل من اراضي باكستان.

قام حزب الشعب الديمقراطي الافغاني منذ اربع سنوات ١٩٨٦ باجراء تحليل نقدي شامل لتكتيكه وللوضع العسكري السياسي في البلاد. كمان التحولات في الوضع العالمي وسير الاحداث داخل افغانستان وضعت امام الثورة مهمات نظرية وعملية جديدة. فطرح الحزب لمصلحة الشعب ومستقبله فكرة المصالحة الوطنية. لقد تعبت بلادنا المنهكة من الحرب. وقد كان في اساس عملية المصالحة بين الاطراف المتصارعة شعار تأمين الشروط لحياة بناءة امنة. و تحركت عمليا جميع القوى السياسية والاجتماعية في المجتمع. لقد نشأ في البلاد وضع سياسي جديد. وازدادت وضوحا الهوة بين مصالح الجماهير الافغانية الاساسية ومساعي زعماء المعارضة المسلحة الرافضة للمصالحة والرامية الى استمرار المعارك، بين الاعضاء العاديين لفصائلها والقادة الذين يعيشون في فيلات فاخرة في باكستان وايران وبعض بلدان الغرب.

فمن المعروف انه جرى في جنيف في ١٤ نيسان ١٩٨٨ التوقيع على الاتفاقيات المعروفة باتفاقيات جنيف بين افغانستان وباكستان وبرعاية الامم المتحدة. وكانت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي الضامنين لها. وعلى الرغم من ان الصحافة العالمية تحدثت عنها على نطاق واسع، لكنني اشير، مرة اخرى، الى ان هدف هذه الاتفاقيات هو تحييد العوامل الخارجية التي تعيق حل المسالة الافغانية. وقد نصت بنود الاتفاقيات الموقعة على ضرورة وقف اي تدخل من جانب اسلام اباد في شؤوننا الداخلية (بما في ذلك تجهيز الاسلحة). كما قضت باغلاق معسكرات المجاهدين ومراكز تدريبهم ودعايتهم، وتمكين اللاجئين من العودة الى الوطن دون تأخير.

وفي الوقت الذي نفذ فيه الاتحاد السوفييتي التزاماته، تقوم الولايات المتحدة الامريكية وباكستان بخرق الاتفاقيات عمليا. فاسلام اباد ليس فقط لم تقلص عدد مراكز الاعداد العسكري، بل فتحت مراكز جديدة (يبلغ عددها الان ١٨٠ مركزا). ويتم عمليا كل اسبوع تقريبا تحضير من ٣٠ الى ٣٥ مجموعة تضم ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ شخص للقيام باعمال ارهابية. ويتم اطلاق الصواريخ الامريكية الصنع على مراكز السكان الامنيين.

لقد توقعنا ان يقوم المتطرفون بهجوم عنيف بعد انسحاب القوات السوفييتية، فقررنا الدفاع عن الثورة وصد العدوان وطبعا اعددنا القوات

Digitized by Birzeit University Library

المسلحة في الجمهورية للقيام بذلك. كما خضع اعضاء حزب الشعب الديمقراطي الافغاني لدورة تدريب عسكرية وانخرطوا في النضال. لقد ادركنا ان الهزيمة لن تكون سياسية فقط، بل وتعني الموت. وهذا ما ادركه جميع العسكريين في القوات المسلحة الافغانية.

دعونا نذكر ذلك الهجوم النفسي القوي الذي شنته وسائل الاعلام الغربية ضدنا قبل انسحاب الوحدات السوفييتية. فقد اكدت ان مستقبل الجمهورية اصبح محتوما. تضاعف حجم المساعدات العسكرية والمالية للمعارضة. وقامت بعض البلدان باغلاق سفاراتها في كابول، على امل ان تعود الى فتحها في ظل المجاهدين. يبدو انهم فكروا بالشكل الاتي: ما دامت الوحدات السوفييتية مع قوى الجمهورية لم تتمكن خلال عشر سنوات من ضمان امن البلاد، كما زعموا، فستتكون بعد انسحاب هذه الوحدات ثغرة يمكن من خلالها ان تقتحم وتتسلم السلطة.

ان الهجوم النفسي والضجة الدعائية للرجعية الافغانية وحماتها ساعدا في البداية على زيادة نشاط جزء كبير من قوى المعارضة. وجرت محاولة لتشكيل حكومة على اساس "مجلس راولبيندي" ولكن لم يتم ذلك، اذ تخاصم "الزعماء". فشكلوا "حكومة انتقالية" بعد ان لحقهم الخزي امام العالم كله. وقرروا نقلها الى جلال اباد اولا ثم الى كابول. قاد الاوركسترا هنا حميد غول الرئيس السابق لمكافحة الجاسوسية في باكستان وخبراء وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية. لكن تبين ان حكومة راولبيندي التابعة لهم ولدت ميتة.

من السهل تفسير اسباب الخلاف في معسكر المعارضة. لقد تشكلت فصائلها على اساس المناطق والخصائص القومية والدينية. ووراء كل مجموعة كانت تقف قوى خارجية مختلفة تمولها وتساندها. وخلال المفاوضات التي جرت بين الاصوليين والمعتدلين، اي "تحالف السبعة" الذي يقع مقر قيادته في بيشاور و "تحالف الثمانية" الذي يقع مقر قيادته في ايران اضافة الى القادة الميدانيين الموجودين في افغانستان، لم يتمكنوا من الاتفاق بشكل خاص حول توزيع المناصب في "الحكومة المؤقتة". اذ لم تضم في البداية ممثلي عدد من القوميات والمجموعات الدينية والمناطق. فعلى سبيل المثال، رفضوا "تحالف الثمانية" ولجزء من "تحالف السبعة" الدخول عمليا في "الحكومة"، وكان هذا من نصيب القادة الميدانيين للفصائل المحاربة داخل اراضي البلاد، التي تلعب دورا رئيسيا في المعارضة المسلحة. ومن سخرية القدر ان تطفو على الساحة السياسية مجموعات ضعيفة تابعة للولايات المتحدة الامريكية وبعض البلدان العربية كالسعودية والبحرين والسودان اضافة الى ماليزيا ممن ليس لهم حتى الان اية صلات مع افغانستان.

لقد عقد في الخامس من اذار ١٩٨٩ اجتماع ضم سفير الولايات المتحدة الامريكية في اسلام اباد ومثل المعارضة حميد غول. وقد تم خلاله اتخاذ قرار بشن هجوم على جلال اباد بمشاركة وحدات باكستانية كبيرة. وفي السادس من اذار بدأ قادة عدد من مجموعات المعارضة وزعماء المجاهدين، "في محاولة منهم لاظهار روح المبادرة"، القيام بعمليات عسكرية.

لماذا الهجوم على جلال اباد بالذات؟ انها لا تبعد اكثر من ساعة بالسيارة عن بيشاور. ومن السهل على فصائل الجنود الباكستانيين في الملابس المدنية المشاركة في العمليات. وقد توقعت وكالة الانباء الباكستانية سقوط المدينة خلال ٧٢ ساعة، وانتظرت من مئات الصحفيين الاجانب خبرا عن سقوط المدينة وانتقال "حكومة المجاهدين المؤقتة" اليها، حتى ان "رئيسها" حدد الجلسة الاولى للحكومة في ١٠ اذار ١٩٨٩.

Digitized by Birzeit University Library

اما التاريخ، فقد كان له رأي اخر. فعلى الرغم من اطلاق مئات الصواريخ الامريكية من طراز "ارض - ارض" على المدينة غير انها صمدت. لقد فشل الهجوم وتكبد المهاجمون خسائر فادحة.

لقد دافع عن جلال اباد - بوابة كابول - ممثلو جميع المناطق والقوميات في افغانستان. وكانت هذه اول معركة كبيرة نخوضها وحدنا. وقد ولدت الثقة لدى الشعب ورفعت معنويات الجيش وزادت هيبة حزبنا داخل البلاد وفي العالم. ولحقت بالمعارضة هزيمة نكراء. كما فشلت مخططاتها الرامية الى اسقاط النظام عبر القيام بعمليات خاطفة خلال اسبوعين او ثلاثة. وقد ظنت قوى الثورة المضادة ان الحصار الاقتصادي المفروض على العاصمة والمدن الاخرى والاستفزاز المستمر يمكن ان تدفع السكان الى الانتفاضة. كما اعتمدت على اضعاف معنويات الجيش وعلى وقوع انقلاب عسكري.

غير ان حزب الشعب الديمقراطي الافغاني وانصاره مع القوات المسلحة صدوا هجوم المتطرفين وكسروا الحصار الاقتصادي وافشلوا المؤامرة. وقد نشأ ضمن الجيش جو اصبح فيه الحديث عن اي انقلاب عسكري مستحيلا تماما (ان ٧٠ في المئة من العسكريين هم اعضاء في الحزب).

لقد اعتمدت المعارضة بشكل اساسي وحتى فترة قريبة على القسم المتخلف والجاهل من السكان. وكان المثقفون الذين تلقوا تعليمهم في الغرب ويميلون اليه، بعيدين عن الصراع، كما بدا. وتحاول الولايات المتحدة الامريكية الان دفعهم الى الساحة السياسية للصراع، حيث يمكنهم استخدام نفوذهم. وبكلمة فان اصطفاف القوى في المعسكر المعادي هو على الشكل الاتي: من يملك وزنا عسكريا محروم من الوزن السياسي، وليس لدى الاوساط التي تدعمها واشنطن اكثر من غيرها تأثير عسكري كاف. ومن الواضح جدا ان قوى الثورة المضادة التي تمزقها الصراعات الداخلية ليست قادرة على اتخاذ القرارات بشكل مستقل، بل انها تخضع اكثر فاكثر للولايات المتحدة الامريكية وباكستان.

لقد مر وقت كاف على انسحاب القوات السوفييتية، ويمكننا استخلاص بعض الاستنتاجات:

- اثبت حزب الشعب الديمقراطي الافغاني ان بامكانه الدفاع عن الثورة.

- لا يؤدي طريق الحل العسكري الا الى مواصلة تخريب البلاد واقتتال الاخوة. ان الحل الوحيد المقبول هو عملية الوفاق السياسي بمشاركة جميع القوى المعنية ومن ضمنها حزب الشعب الديمقراطي الافغاني.

- لقد رأى الشعب الافغاني والعالم كله من يناضل في سبيل وقف الحرب ومن يؤيد استمرار اراقة الدماء.

تتخذ قيادة الجمهورية وحزبنا موقفا خلاقا من الوضع، وتطرح مبادرات بناءة. لقد قدمنا خلال المؤتمر التاسع لرؤساء دول وحكومات بلدان عدم الانحياز في بلغراد مجموعة جديدة من الاقتراحات.

- يوقف الاطراف اطلاق النار مع الاحتفاظ بالمناطق التي تسيطر عليها. وتشكل لجنة مشتركة وتبدأ بالمفاوضات بمشاركة جميع المعسكرات المعنية. تنظم قيادة ائتلافية للبلاد على مختلف المستويات، علما بان التمثيل يجب ان يتفق مع نسبة القوى الحقيقية. وتجري تحت اشراف اللجنة انتخابات للبرلمان.

- او ان تجلس الى طاولة المفاوضات جميع القوى المعنية بوقف الحرب في افغانستان. ويتم عقد مؤتمر يبحث مسألة تشكيل مجلس قيادي للبلاد. ويعلن وقف اطلاق النار لمدة ستة اشهر. ويتم خلال هذه الفترة اعداد مشروع دستور جديد وقانون للانتخابات الى الجمعية الوطنية.

Digitized by Birzeit University Library

وبعد اقرار الدستور يجتمع مؤتمر ممثلي جميع القبائل والقوميات في افغانستان. ويتم بعد اجراء انتخابات حرة وسرية ومباشرة ومتساوية وعامة تشكيل حكومة جديدة من ممثلي الاحزاب او تحالفاتها التي تحصل على مقاعد في البرلمان. ونحن نوافق على حضور لجنة مراقبة دولية خلال الانتخابات.

كما اقترحت قيادة الجمهورية ان تشارك في هذا المؤتمر افغانستان وباكستان وايران والهند والصين والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وبلدان اخرى اضافة الى ممثل لحركة عدم الانحياز. ونرى ان مهمة المؤتمر الاولى التوصل الى اتفاق حول وقف اطلاق النار وتثبيت وضع افغانستان قانونيا كدولة محايدة منزوعة السلاح، وتشكيل لجنة خاصة في اطار المجلس الوطني تشارك فيها البلدان المشار اليها انفا تساعد على تنفيذ اتفاقيات جنيف الخاصة بافغانستان. ونحن على يقين من انه بالامكان التوصل الى تفاهم حول تركيب مثل هذه اللجنة. كما ان نشاطها لن يتعارض مع قرار الامم المتحدة رقم ٢٠/٤٣ حول الحل السياسي لقضايا افغانستان بل على العكس من ذلك يساعد على تحقيقه.

لقد اخذت تعطي ثمارها مبادراتنا وعملنا في اوساط الجماهير، اذ يحاول القادة الميدانيون لفصائل المعارضة المسلحة التخلص من وصاية المركز الذي يقع في بيشاور. وتلتزم اغلبيتهم بقرار وقف اطلاق النار. وتعبر اكثر فاكثر عن عدم رضاها على "الحكومة المؤقتة". وينتقل بعضهم الى جانبنا او يجرون معنا مفاوضات، واذ نأخذ في الحسبان قدراتهم وتأثيرهم فاننا على استعداد لتمكين هؤلاء من المشاركة في قيادة البلاد وتقديم جميع المساعدات الضرورية.

ان مواقف الولايات المتحدة الامريكية متناقضة جدا. فقد عبرت بي نظير بوتو وجورج بوش خلال زيارة رئيسة وزراء باكستان الى واشنطن، عن تأييدهما لحل المسالة الافغانية سياسيا. اما في الواقع العملي فاننا نرى ان رئيس الولايات المتحدة الامريكية يراهن على زيادة المساعدة العسكرية للمعارضة ويمارس ضغطا قويا على كابول، كما يراهن على ابعاد حزب الشعب الديمقراطي الافغاني عن السلطة. وهنا يبرز سؤال: هل ثمة في افغانستان حزب اخر قادر على تحقيق الحل السياسي لمسألتنا؟ ان الجواب بالنفي واضح جدا. ثم يعلن بوش انه لا يعترف ب "الحكومة المؤقتة" للمعارضة في الوقت الذي يرسل الى بيشاور حيث تقيم هذه الحكومة، ممثلا امريكيا خاصا. ويبدو ان اوساطا معينة في اسلام اباد وواشنطن تحاول كالسابق مساعدة "تحالف السبعة" كي تفرض على الشعب الافغاني حكومة اصولية ملائمة لها وتشكل في جنوب غربي اسيا حلفا عسكريا سياسيا موجها ضد الهند والاتحاد السوفييتي والبلادن العربية التقدمية. وتؤكد الوثائق المنشورة وجود مثل هذه المخططات الخطيرة.

واؤكد، مرة اخرى، انه اذا بدأت الولايات المتحدة الامريكية وباكستان تنفيذ الالتزامات الناجمة عن اتفاقيات جنيف فسوف تظهر امكانية حقيقية لاجراء حوار افغاني شامل وللمصالحة والوفاق الوطنيين ولتشكيل حكومة ائتلافية تشارك فيها جميع القوى السياسية المعنية.

اننا نضع امالا كبيرة في اعمالنا على الرأي العام العالمي. ويقف العديد من البلدان الى جانب الثورة الافغانية ونضال شعبنا. غير ان المساندة لا تعادل بعد حجم المسألة. وما زالت لدى بعض الاوساط العالمية رؤية مشوهة للواقع الافغاني بفعل الدعاية المعادية.

ويعنينا ان يكون تقدير الولايات المتحدة

Digitized by Birzeit University Library

الامريكية وبلدان اوروبا الغربية التي يتوقف عليها كثيرا حل المسألة، للوضع الناشىء موضوعيا، وان تتوقف عن دفع المعارضة نحو الاعمال العسكرية وتساعد على الحوار السياسي.

اننا لعلى ثقة من ان هيئة الامم المتحدة والبلدان غير المنحازة تتمتع بنفوذ كاف وامكانات كي تضطلع بدور تاريخي في تأمين السلم في افغانستان.

أطفال للبيع فمن يشتري ..؟!!!

ليما - الوكالات - تقف دولة بيرو في امريكا اللاتينية، في مقدمة دول العالم الثالث من حيث تحويل الأطفال الى سلعة وبيعهم للعائلات الثرية في العالم المحتاجة الى اطفال للتبني أو للعائلات الثرية التي بحاجة الى خدام مدى الحياة، عبيدا على الطريقة الرأسمالية.

ويتراوح "ثمن" الطفل من أطفال العائلات الفقيرة في البيرو بين ١٠ و ١٢ ألف دولار للطفل الواحد.

وتقول الوكالات ان هناك منظمات "سرية" تقوم بشراء وبيع الأطفال، وتخترع هذه المنظمات ألف حيلة وحيلة لشراء الأطفال، مباشرة من المستشفيات أو مراكز ايواء الأطفال اليتامى وابناء العائلات المهدمة.

وعلى الرغم من أن حكومة بيرو، رسميا، "تعارض" و "تقاوم" التجارة باطفال البلاد و "تصديرهم" للخارج فان عشرات الوف الاطفال ينقلون سنويا من مطار ليما الى مطارات لندن ونيويورك وباريس ومن ثم الى المشترين للبضاعة البشرية!

Digitized by Birzeit University Library

كيف يجري الاصلاح الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي؟

- اوتو لاتسيس -x

تعتبر اعادة بناء ادارة الاقتصاد بصورة جذرية نهجا رسمه الحزب الشيوعي السوفييتي في الاجتماع الكامل للجنة الحزب المركزية في حزيران عام ١٩٨٧. وهذا النهج يوفر امكانات جديدة للاستفادة من افضليات النظام الاشتراكي - ليس بالاقوال التي اصبحت في العقود الماضية رائجة، بل بالاعمال. لقد سبق ان تحدثت منذ ما يزيد على سنة في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" عن بعض القضايا التي تهم شعبنا بشكل خاص. واريد الان متابعة الموضوع وتركيز الاهتمام على المسائل الاخرى التي تنكب عليها، قبل غيرها، قيادة البلاد الاقتصادية والسياسية على حد سواء.

غير انه حريّ بنا ، على ما يبدو، ان نذكر ولو بايجاز الاسباب التي ادت الى الوضع الاقتصادي المتأزم في الاتحاد السوفييتي. ان الطريق الذي ولجناه منذ تشرين الاول عام ١٩١٧ لم يكن مستقيما. ذلك ان الاساليب الشيوعية العسكرية لتنظيم الانتاج والاستهلاك حلت محلها في العشرينات السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) القائمة على العلاقات السلعية النقدية. ان التصنيع الذي ابتدأ في نهاية العقد الثالث ارتقى بالبلاد بسرعة الى مستوى نوعي جديد، غير انه اقترن، للاسف، بضمور (النيب).

لقد احتل الاتحاد السوفييتي قبل الحرب العالمية الثانية المرتبة الاولى في اوروبا والثانية في العالم من حيث الانتاج الصناعي، وقد دفعت الحياة ذاتها والوضع الدولي المعقد الى تنمية الفروع الاساسية قبل غيرها.

ولكن، نظرا لخصائص تاريخ البلد الاشتراكي الاول، الذي بقي مدة طويلة البلد الاشتراكي الوحيد، كنا نضفي طابعا مطلقا ليس على الطريق العام للتطور، بل اكاد اقول على الطريق الاستثنائي: نوع من الاقتصاد فرضته الى حد بعيد الظروف الموضوعية وكرسته التشويهات

x النائب الأول لرئيس تحرير مجلة "كومونيست"، دكتور في العلوم الاقتصادية (الاتحاد السوفييتي)

Digitized by Birzeit University Library

الستالينية، وهو النوع الاكثر تكيفا مع زمن الحرب. وليس من قبيل الصدفة ان هذا النظام اظهر اسمى افضلياته في اعوام ١٩٤١ - ١٩٤٥ بالتحديد. فان صناعتنا - التي امتلكت قدرات تقل مرتين او ثلاث مرات عما كان لدى المانيا الفاشية وحلفائها والبلدان الواقعة تحت الاحتلال الهتلري والتي فقدت في الاشهر الاولى من الحرب حوالي نصف المصانع والمعامل - استطاعت ان تنتج اسلحة اكثر وافضل وان تضمن، في المحصلة النهائية، انتصار الشعب السوفييتي.

لقد اعلن النهج نحو **التنمية العمودية للاقتصاد** في الاجتماع الكامل للجنة الحزب المركزية في نيسان ١٩٨٥ ومن ثم في المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي، هذا النهج الذي تعتبر كل البرامج الاجتماعية بدونه مجرد تمنيات طيبة، اذ رأينا المخرج في اعادة تنظيم الاقتصاد الوطني بصورة عميقة وعلى اساس احدث منجزات العلم والتقنية واعادة بناء الالية الاقتصادية ونظام الادارة. وطرحت مهمة تغيير السياسة. البنيوية وسياسة التوظيفات. الا ان قوة استمرار التفكير القديم والعمليات الاقتصادية السابقة وعدم التأمل الكافي في الخطوات الاولى والصراع بين مختلف المذاهب، كل ذلك ترك بصماته على مسيرة التحولات. وبدت عملية الانتقال اعقد مما كنا نعتقد.

ان النظام الاقتصادي الجديد المطبق منذ بداية عام ١٩٨٨ يعمل حتى الان بشكل مبتور: لم ينجز اصلاح اسعار الجملة، لم تحل التجارة بالجملة محل التوزيع الاداري لموجودات وسائل الانتاج، بقيت قائمة الوظائف القديمة للوزارات القطاعية في ظل الحقوق الجديدة للمؤسسات. اننا نعيش مرحلة وقف فيها النموذج التقدمي للتو على رجليه وهو يخطو اول خطواته متهيبا ويقترف اخطاء ويكتسب خبرة. اما الالية القديمة فعلى الرغم من انها لم تعد تعمل بحجمها السابق، الا انها ما زالت تلحق الضرر بالاقتصاد الوطني عن عهد وعن غير عهد. وتعاظم في المجتمع، ولا سيما في السنة الاخيرة، النقد اللاذع وعدم الرضى عن نتائج التحولات. وتسارعت عملية الاستقطاب والتباين في الاراء والامزجة. ومما يدل على ذلك - اضرابات عام ١٩٨٩ في مناجم الفحم في الدونباس (حوض دونيتسك) وكوزباس (حوض كوزنيتسك) وفروكوتا وكذلك في بعض المؤسسات الاخرى.

يكمن السبب الرئيسي لذلك، في اعتقادي، في كون الناس لا يشعرون بثمار ملموسة للبيريسترويكا في الواقع الفعلي. وان العملية تجري فعلا، ويتم اتخاذ قرارات حيوية واقرار مشاريع قوانين جديدة هامة: حول الملكية، حول الارض واستغلالها، حول الايجار وعلاقات الايجار وغيرها من المشاريع التي نظرت فيها دورة الخريف للسوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي. ولكن الحياة. الواقعية تبدو وكأنها لا تتغير نحو الافضل، بل وحتى تصبح اكثر صعوبة. يكفي ان نلقي نظرة على الرفوف الخاوية في المتاجر.

منذ سنة ونصف او سنتين اخذ **الوضع في السوق الداخلية يتردى** بصورة سريعة وملحوظة حتى بالعين المجردة ففي فترة عام ١٩٨٦ وعام ١٩٨٧ وحدها استلمت التجارة سلعا اقل مما تم تخطيطه بقيمة ٣٣ مليار روبل. ويستفاد من معطيات معهد دراسة حالة السوق والطلب لدى وزارة التجارة في الاتحاد السوفييتي ان ٢٣ مجموعة فقط من اصل ٢١١ مجموعة من المواد الغذائية كانت تعتبر في عام ١٩٨٨ غير ناقصة. والوضع اسوأ من ذلك بالنسبة للسلع الصناعية الواسعة الاستهلاكية.

هذا مع العلم ان مرد ذلك ليس الى انخفاض الانتاج ولا الى انخفاض الحجم العام للاستهلاك. وان المفارقة في الوضع تكمن في ازدياد انتاج

Digitized by Birzeit University Library

الاكثرية الساحقة من السلع الاساسية في السنوات الاخيرة، وهذا الازدياد كان ملحوظا في بعض الحالات. ومع ذلك فانه يتأخر كثيرا عن الطلب.

هاكم بعض الامثلة. كانت تحصل طوابير لشراء اجهزة التلفزيون غير الملونة في بلادنا في الخمسينات فقط، اما اجهزة التلفزيون الملونة فكانت منذ عشر سنوات تقريبا تباع بالتقسيط نظرا لفيض انتاجها. وفجأة اختفت كل الاجهزة التلفزيونية من المخازن، على الرغم من ان انتاجها في عام ١٩٨٨ قد ازداد بنسبة ٦ في المئة عموما، وتصل هذه النسبة ١٥ بالمئة تقريبا في اجهزة التلفزيون الملونة.

ففي غضون تسعة اشهر فقط من عام ١٩٨٩ تم انتاج ٧ر٣ ملايين جهاز من بينها ٤ر٦ ملايين جهاز ملون (اكثر مما في الفترة ذاتها من عام ١٩٨٨ بنسبة ١٠ بالمئة) ومع ذلك فان شراءها معضلة. او خذوا على سبيل المثال مسحوق الغسيل. فمنذ سنة خلت كان يكفي موسكو ما يساوي ٨٠ طنا يوميا من مثل هذه السلع، اما الان فيباع ٣٠٠ طن، ومع ذلك يشكو الناس من انعدام امكانية شرائها، كما اختفى من رفوف المتاجر الصابون ومعجون الاسنان والدفاتر والبطاريات الكهربائية والسجائر والعديد من السلع الاخرى.

ان مرد هذا الطلب الجنوني يعود الى **تشويش السوق**، الذي يسفر عن حالة لا تصل فيها الاحجام المتزايد من السلع - بكل بساطة - الى البيع المفتوح وتوزع حسب التوصيات وخلسة وفي الغالب من خلال المضاربة. كما يسفر ذلك عن تقنين غير مرغوب فيه للمنتوجات. وفي مناطق كثيرة من روسيا توزع اللحوم والسجق والزبدة والسكر بالبطاقات. وتتعطل تماما قضية تنظيم الشراء استنادا الى الاسعار، اذ يشتري الناس كل انواع السلع لا لانهم بحاجة اليها، بل لان ثمة امكانية لاقتنائها. وهذه الظاهرة العصيبة جدا تسبب ليس قضايا اقتصادية واجتماعية فحسب، بل استياء سياسيا ايضا.

لماذا، حصل ذلك؟ الاصلاح الاقتصادي مستمر، والعديد من التشويهات البيروقراطية ازيل، والخطة الخمسية وضعت بصورة اكثر عقلانية مما في السابق، والمسؤولون الاقتصاديون يتمتعون بكفاءات اعلى...

ومع ذلك.. ان السبب الرئيسي لانهيار السوق يعود، في اعتقادي الى **عجز ميزانية الدولة** المتزايد تزايدا حادا. كانت ارقام هذا العجز قبل وقت قريب، "سرية جدا" كما يقال. ولاول مرة اعلن في دورة تشرين الاول ١٩٨٨ للسوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي ان مصروفات الدولة كانت على امتداد سنوات طوال تسبق مداخيلها. اذن، ليس عجز الميزانية وليد اليوم، بل قضية نجمت عن عدم اتزان الاقتصاد وعن الاعانات الكبيرة والخسائر الفادحة وفعل عوامل اخرى في السابق. لقد اشير في الدورة الاولى لمجلس السوفييت الاعلى الجديد في آب عام ١٩٨٩ الى ان عجز الميزانية بلغ ١٢٠ مليار روبل. وهذا مبلغ كبير جدا، اذ يشكل حوالي ربع النفقات السنوية للدولة. ذلك ان ماكنة طبع النقود الورقية التي عملت بلا توقف على امتداد عقود، وعدم الرقابة على نفقات الدولة قد اسفرا عن اصدار النقود بشكل مفرط وعن تداول النقدية غير المدعمة بالبضائع.

ما هي اسباب عجز الميزانية؟ ان انخفاض اسعار النفط في السوق العالمية من النصف الثاني من الثمانينات قد اضطرنا الى الاقتصاد في العملة الصعبة. ولكننا قمنا بذلك، للاسف الشديد، انطلاقا من اعتبارات الدوائر الضيقة وليس من مصالح السكان وميزانية الدولة. وجرى كالسابق شراء معدات واجهزة كثيرة في الخارج للمؤسسات الجديدة من اجل ضمان نمو الانتاج، الامر الذي يعتبر ضروريا بالطبع من حيث المبدأ. الا ان جزءا كبيرا من المعدات بقي في

Digitized by Birzeit University Library

السنوات الاخيرة في المستودعات، اذ اشترى منها اكثر مما يمكن استخدامه. وكنا نستورد الحبوب، في حين ان محاصيلنا كانت تتلف في الحقول. وتدفقت الى الاتحاد السوفييتي، مثل سيول عارمة، الاسمدة الكيمياوية المضرة بصحة الانسان، كما تبين الان، هذه الاسمدة التي لا تستخدم، لهذا السبب، في الدول الرأسمالية، بل تعد للبلدان النامية. وفي الوقت نفسه تقلص جدا بند المصروفات الاكثر تواضعا، الذي لا يمكن التوفير فيه كثيرا والذي يعتبر ضروريا جدا لتلبية حاجات الناس ومفيدا للميزانية، ونعني به استيراد السلع الصناعية المعدة للاستهلاك العام. وهذا البند بالتحديد يعطي اكبر فاعلية من زاوية المصروفات والمداخيل.

وتفيد الحسابات ان توفير بضع مئات من ملايين الروبلات الذهبية القابلة للتحويل في فترة اعوام ١٩٨٥ - ١٩٨٧ في هذه الفئة من البضائع قد اسفر عن تخفيض في ورود المنتوجات الى التجارة بمقدار ٢ر٨ مليار روبل واضر بالوضع المالي الى حد بعيد. ولم يتغير الوضع في عام ١٩٨٨، اذ انخفضت (الاستيرادات ايضا بمقدار ٤٠٠ مليون روبل ذهبي قابل للتحويل، علما بان كل روبل منها يعود بـ ١٠ - ١٢ روبلا عاديا ناجما عن بيع سلع الاستهلاك الواسع للسكان. وخلاصة القول، فقدنا في غضون السنوات الثلاث الاخيرة حوالي ٤٠ مليار روبل بسبب انخفاض اسعار النفط العالمية وتقلص الاستيراد المذكور.

وعلى ما يبدو، فقدت الدولة مبلغا مماثلا من جراء الاساليب غير الموفقة تماما في مكافحة الادمان على الكحول. لقد جرت هذه المكافحة، في رأيي، بغظاظة مفرطة، اذ جرى استئصال الكروم واغلاق المؤسسات المنتجة للكحول والفودكا. كما جرى تغيير تخصص مصانع البيرة (يبلغ عددها المئات، ان لم يكن الوفا) من انتاج البيرة الى انتاج مشروبات غير كحولية. لا يمكن ان ننكر، طبعا، ان تحقيق مثل هذه التدابير قد ادى الى انخفاض مستوى "الاجرام الكحولي" وارتفاع المؤشرات الانتاجية وازدياد متوسط العمر، ولا سيما في السنة الاولى من الحملة. ولكن خسائر الميزانية، الناجمة عن انخفاض ضريبة بيع المشروبات الحكولية، بلغ في عام ١٩٨٦ وحدة حوالي ١٠ مليارات روبل. وفي الوقت نفسه اخذ الادمان على المخدرات والمواد السامة وتقطير الكحول في البيوت بالانتشار، علما بان المداخيل التي كانت الدولة تحصل عليها في الماضي تدفقت الى جيوب المضاربين وصانعي الكحول السريين.

يمكن ان نحسب من خسائر الميزانية كذلك النفقات على ازالة عواقب الكارثة التي وقعت منذ اكثر من ثلاث سنوات في محطة تشيرنوبل الكهرذرية. كانت هذه الخسائر تقدر في البداية بمبلغ ٨ مليارات روبل، غير انني اعتقد انها تجاوزت الان هذا المبلغ.

كما ازداد العجز بدرجة معينة بسبب **تضاؤل الرقابة على نمو مداخيل السكان** النقدية. على سبيل المثال، في غضون ٩ اشهر من عام ١٩٨٩ ازداد رصيد الاجرو لمجمل الاقتصاد بنسبة ٥ر٨ في المئة، في حين ان اجمالي الناتج الوطني ازداد بنسبة ٦ر٣ في المئة وازدادت انتاجية العمل الاجتماعي بنسبة ٢ر٢ في المئة فقط. هل يمت ذلك الى العقلانية بصلة؟ من دواعي السرور بالطبع ان تحصل المؤسسات الان على استقلالية في توزيع رصيد الاجور، غير انها لا ترتبط دائما بالنتائج الفعلية النهائية للعمل مباشرة. فغالبا ما نرى العامل في الانتاج او المهندس في معهد للبحوث العلمية، وهو يرفع مستوى انتاجيته بنقاط مئوية معدودة يحصل على زيادة في الاجر توازي من ٥٠ الى ١٠٠ في المئة. ومن اجل وضع حد لتدفق الاموال غير الناتجة عن العمل ادخل السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي منذ تشرين الاول عام ١٩٨٩ نظاما ضريبيا لضبط

Digitized by Birzeit University Library

اموال المؤسسات المخصصة لدفع اتعاب العمل.

ومع ذلك فانني ارى ان السبب الرئيسي الذي حتم العجز الكارثي في الميزانية يعود الى **نشاط الوزارات والمصالح**. لقد تجلى ذلك، اول ما تجلى، في التوظيفات الهائلة في البناء الاساسي. وتتلخص مغارقة الوضع في بناء مصانع ومعامل جديدة في حين ان مؤسسات عاملة كثيرة تفتقر الى الايدي العاملة ولذا تعمل بنوبة واحدة فقط. وتم مد قنوات ري - انفقت وزارة اصلاح الاراضي والثروة المائية عليها ١٣٠ مليار روبل في الفترة الممتدة من عام ١٩٧١ الى عام ١٩٨٨ - الا ان المردود الاقتصادي كان ضئيلا. وثمة الان في البلاد ٧٠٠ الف كيلومتر من القنوات، اي ما يزيد على طول طرق السيارات بنسبة ٥٠ بالمئة ولم تكتف الوزارة، بذلك، بل طلبت ٢٣٠ مليون روبل اخر للفترة الممتدة حتى عام ٢٠٠٥ . الا تتفقون معي انه من غير العقلاني بقاء مصلحة لا تحصل من كل روبل موظف الا على ثلثه؟

لقد طرح مؤتمر الحزب السابع والعشرون مهمة تقليص البناء غير المستكمل، اذ كان يشيد في البلاد في آن واحد ما يزيد على ٣٠٠ الف مشروع بين كبير وصغير. ولكن، على الرغم من ذلك، فعل التفكير القديم فعله وتم تخطيط التوظيفات للخطة الخمسية الجارية بحجم ١٧٠ مليار روبل سنويا، علما بانه كان يخصص لهذا الغرض في اعوام ١٩٨١ - ١٩٨٥، بالمتوسط، ١٢٥ مليار روبل سنويا. وفي عام ١٩٨٨ اقبلنا مع ذلك على اجراء تدبير قاس مثل تجميد مشاريع البناء الجارية. وبطبيعة الحال، سبب ذلك اشكالات اجتماعية ومصاعب بالنسبة لجماعات العاملين ونفقات معينة. لقد تم تجميد مشاريع يبلغ مجمل قيمتها ٢ر٢٤ مليار روبل. ولكن اتضح انه قد بدأ في الوقت نفسه تنفيذ مشاريع بناء جديدة بمبلغ يناهز ٦٠ مليار روبل. وهنا بالتحديد يكمن، في رأيي، السبب الرئيسي للكارثة التي حلت بميزانية الدولة، وبالتالي، بسوق الاستهلاك ايضا.

كان يبدو ان الوضع سيتغير مع انتقال المؤسسات الى نظام الحساب الاقتصادي، لانها تستخدم اموالها لاغراض التنمية. وهذا جيد، اذ تصرف اموالها المكتسبة بصورة رشيدة باعتبارها صاحب المشروع. غير ان محدودية الاصلاح تتلخص، كما ذكرت اعلاه، في كون الوزارات تتصرف بالسابق بلا رقيب عليها ولا حسيب بمبالغ ضخمة من توظيفات الدولة. وفي الحقيقة انها تصرف الاموال التي لم تكتسبها، وهي تحصل على كمية تستطيع سلخها من الحكومة وميزانية الدولة وتنتزعها من المؤسسات التابعة لها. وبقيت مواردها كالسابق ملكية بيروقراطية. وتنفقها المصالح بدون اي محاسبة، وهي غير مبالية بالفاعلية الاجتماعية فعلى سبيل المثال، يعتبر من الانفع بالنسبة للميتالورجيين ان يزيدوا حجم انتاج المعادن بالاطنان وان لا يصنعوا الفولاذ والسبائك ذات النوعية العالية وانواع الدلفنة المعقدة التي توفر في المعدن والتي يحتاج اليها المستهلكون.

يبرز السؤال الاتي: هل نحن بحاجة الى هذا العدد من المصالح الوزارات عموما؟ لا اعتقد، وان كنت ادرك منطق الذين يحاولون الاحتفاظ بها. حول هذه المسألة دارت مناقشة حارة في دورة السوفييت الاعلى في صيف عام ١٩٨٩. وكانت الاراء "مع" و "ضد". وانخفض الان عدد الوزارات الاتحادية حتى ٥٠ وزارة تقريبا، ولكن المهم ليس هذا، بل نشاطها الذي يتعارض كليا مع متطلبات التدبير الاقتصادي الفعال. وفي رأيي ثمة صلة مباشرة بين الوظائف القديمة للمصالح وانفاقها المبذر للتوظيفات وعجز الميزانية والمصاعب في سوق الاستهلاك.

صحيح انه تم في الدورة ذاتها اقرار التعديلات على قانون مؤسسة (اتحاد) الدولة، الذي سن منذ سنتين تقريبا. وهذه التعديلات

Digitized by Birzeit University Library

غير ملحوظة للوهلة الاولى، ولكنها مع ذلك **مبدئية وهامة**. على سبيل المثال، سجل في القانون حق المؤسسات في الخروج من قوام الوزارة، اذا انتقلت الى علاقات الايجار. كما يمكن للمصنع او المعمل ان يخرج من قوام الاتحاد. وهذا يرتدي اهمية خاصة كون الاتحادات تعتبر، احيانا، في الواقع العملي فرعا مموها للوزارة. هذا مع العلم انه تتوفر للمؤسسات امكانية تأسيس اتحادات اختيارية جديدة وكونسورسيومات وجمعيات او شركات مساهمة. ولا يسعنا الا ان نرحب بهذه المركزية الناجمة عن مصالح جماعات المنتجين ذاتها والتي لا تقوم على اساس قرار يفرض "من الاعلى" بصورة بيروقراطية كيفية. لقد حصلت المؤسسات على الحق في ان تختار بصورة مستقلة اشكال الحساب الاقتصادي، ومن بينها اشكال الايجار والشركات المساهمة وما شابه، وهي تتمكن من النشاط في سوق الاوراق المالية واصدار الاسهم والاستقراض الهادف. خلاصة القول، ان هذه التعديلات على القانون انزلت باحتكار الوزارات والمصالح ضربة خطيرة.

ان القرارات الاولى المتعلقة بمعافاة وضع البلاد المالي تركزت في الاساس على زيادة المداخيل، الامر الذي نعتبره هاما ولكن غير كاف البتة. ومن المزمع الان، اضافة الى ذلك، **تخفيض النفقات**: تحقيق تقليص ملحوظ (بمقدار الثلث تقريبا) في التوظيفات الانتاجية المركزية من قبل الدولة (ولكن ليس في الاموال المخصصة لهذه الاغراض من قبل المؤسسات ذاتها)، تقليص فعلي في النفقات على الدفاع وجهاز الادارة، مكافحة الخسائر والتبذير، نظام التوفير في الاقتصاد الوطني، وعدد من التدابير الاخرى.

وستنخفض نفقات الدولة، بخاصة على بناء مؤسسات الانتاج في عام ١٩٩٠ بنسبة ٣٠ في المئة في المتوسط، وحتى ٤٠ في المئة في بعض الفروع. وفي الوقت نفسه سيزداد شراء سلع الاستهلاك الواسع من الخارج: ستعرض للبيع في السوق الداخلية كمية منها بقيمة ٣٢ مليار روبل تقريبا باسعار المفرق. وعلاوة على ذلك، من المزمع شراء الادوية بقيمة ٢ مليار روبل والخامات ومواد الصناعة الخفيفة بقيمة ١ر٦ مليار روبل. وابسط طريق، طبعا، هو زيادة استيراد هذه المصنوعات والحصول على قروض كبيرة من الغرب. ولكن من شأن ذلك، اذا اخذنا في الاعتبار ان دين البلاد الاقتصادي الخارجي يشكل ٣٤ مليار روبل ذهبي قابل للتحويل (واقول بالمناسبة ان هذا الرقم هو ايضا يعلن لاول مرة في مؤتمر نواب الشعب في الاتحاد السوفييتي في حزيران ١٩٨٩)،من شأن ذلك ان يحول ديننا الى فئة الديون التي لا يمكن التحكم بها. وفي هذه الحال، سيتعين علينا ان نعمل على تسديد فوائد القروض وان نصدر اكثر مما نستورد. انني اعتقد اننا قد اقتربنا من حدود السلامة، ومن شأن القروض الكبيرة ان تؤدي الى زعزعة الاستقرار.

والافضل، كما يبدو، هو ولوج طريق اخر: **تغيير بنية الواردات**، اي ينبغي كما خطط فعلا، تقليص مشتريات المصنوعات للصناعة الثقيلة والمعدات لعدد من الفروع الاخرى حيث تكدس منها ما تبلغ قيمته مئات الملايين من الدولارات، وتقليل استيراد الحبوب (اشترينا في عام ١٩٨٨ حوالي ٣٨ مليون طن بقيمة ٧ر٥ مليارات دولار تقريبا) ودفع جزء من العملة الصعبة لمنتجي الحبوب السوفييت. ويسرني ان اشير الى ان ذلك يتحقق فعلا منذ آب عام ١٩٨٩ بموجب المقترحات المطروحة في مؤتمر نواب الشعب في الاتحاد السوفييتي، اذ اخذت الكولخوزات والسوفخوزات تستلم العملة الصعبة لقاء حبوب القمح الصلب والقوي، التي بيعت للدولة زيادة عن متوسط المستوى السنوي

Digitized by Birzeit University Library

في الخطة الخمسية الجارية، وكذلك لقاء البقول وبذور الزيوت (زيادة على المستوى المتحقق في اعوام ١٩٨٦ - ١٩٨٨). وستتخذ هذه المزارع القرارات حول انفاق المبالغ المكتسبة بصورة مستقلة، انطلاقا من حاجاتها الملحة.

ان **استقرار السوق الاستهلاكي** يعتبر اساسا رئيسا لمعافاة الاقتصاد. وهنا يستحيل، طبعا، تصحيح الاوضاع عن طريق الاستيراد فقط، اذ يتطلب الامر زيادة انتاج السلع الوطنية من اجل السكان بصورة سريعة. ونقول صراحة ان حل القضية يستحيل خلال سنة او سنتين، على الرغم من ان انتاجها سيزداد في عام ١٩٩٠ بنسبة ١٢٫٥ في المئة باسعار المفرق بالمقارنة مع خطة عام ١٩٨٩، بيد ان اجمالي الناتج الوطني لن يزداد الا بنسبة ٢ر٣ في المئة. غير انني اريد ان اؤكد انه لا يجوز التطرف في السعي الى اشباع السوق بالملابس والاحذية وغيرها من سلع الطلب اليومي فقط. ذلك ان اكبر فاعلية انما يعطيها تنظيم انتاج مصنوعات جديدة معقدة من الناحية التقنية، منها على سبيل المثال اجهزة الفيديو والالكترونيات المنزلية وافران "الموجات القصيرة الميكروفيف" وما شابه. ان انتاجها في مؤسسات فروع الدفاع التي لها قدرات وخبرات معينة في هذه المجالات سيساعد كذلك على استقرار السوق. واشير في هذا الصدد الى ان الوزن النوعي للمنتوج المدني في مجمل انتاج المؤسسات الدفاعية يبلغ منذ الان نسبة ٤٠ في المئة وستزيد هذه النسبة في عام ١٩٩٥ على ٦٠ في المئة.

لقد طرحت منذ عدة سنوات مسألة **تغيير اسعار المفرق**، وهي تبقى فعلا ثابتة للكثير من السلع منذ عام ١٩٤٧، وللحوم - منذ عام ١٩٦١ (على الرغم من انها ارتفعت، طبعا، بالنسبة للسلع الصناعية وعدد من السلع الاخرى). ولكم كان ذلك بسيطا، لو تم دفعة واحدة، حسب مقترحات بعض الاقتصاديين، اقرأ الاسعار في مستوى توازن السوق بين الطلب والعرض، اي رفعها الى هذا المستوى. غير انه لا يجوز القيام بذلك الان، على الرغم من انه يجب دعم الاسعار بهذه الطريقة مبدئيا: ظهرت هذه القضية معقدة جدا من الناحية الاجتماعية السياسية، ولا يمكن حلها دفعة واحدة. وبالطبع، من الناحية الاقتصادية الصرف يمكن ان يحل ذلك قضايا كثيرة، ولكن من غير الصعب ان نستشف عواقب مثل هذه الخطوة، ناهيكم عن انه ليس من العدالة جعل السكان يدفعون ثمن التسيب الاقتصادي للمصالح.

انما ينبغي، اولا، ازالة الطلب المصطنع الزائد على السلع المعدة للانتاج، هذا الطلب الناجم عن نشاط الوزارات غير المؤهل والبناء الصناعي المفرط، الخ.. ثم ينبغي تحقيق التوازن العام في سوق الاستهلاك عن طريق خفض تمويل ميزانية الدولة المؤدي الى التضخم. وبعد ذلك فقط يمكن تغيير بنية اسعار المفرق، ولكن شرط ان يتم ذلك مع تعويض مبرر اجتماعيا بشكل زيادة الاجور والمرتبات التقاعدية. ومثل هذه التجربة تمارسها بلدان اشتراكية اخرى.

حين يهتم المرء بالاصلاح الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي غالبا ما يسأل كيف يجب ان يكون **التناسب بين الخطة والسوق**. وهل نتخلى عن الاولى لصالح الثانية؟

وفي اعتقادي، **ان علاقات السوق تستحيل بدون التخطيط الفعال**. مع الاسف، لا تمارس السوق عملها عندنا حتى الان، على الرغم من تطور حقوق المؤسسات ومصالحها في الحساب الاقتصادي. كما سبق اشرنا الى ذلك، لقد تضعضع الضبط الاداري بيد ان الضبط الاقتصادي من خلال الاموال لم يتم تنظيمه بعد.

على ارضية تردي السوق، الذي يؤثر في حياة الناس اليومية بشكل وخيم، لا يرى الكثيرون، بكل بساطة، **التغيرات الايجابية التي يأتي بها**

Digitized by Birzeit University Library

الاصلاح الاقتصادي، والحال ان التحولات الجذرية يصعب ان تعطي ثمارها في فترة وجيزة.

قبل وقت قريب كانت **قضية السكن** تعتبر واحدة من المعضلات الاجتماعية الحادة. فعلى امتداد الخطط الخمسية الثلاث الاخيرة كان يزداد بناء المساكن بنسبة تقل عن ٥ر٠ في المئة سنويا. وفي الفترة الممتدة من ١٩٨٦ - ١٩٨٨ وحدها ازداد بناء المساكن بنسبة ١٥ في المئة، اذ تم بناء ٦ر٣٨٢ مليون متر مربع من المساكن. وفي الحقيقة، اننا استنفدنا الان الاحتياطي الذي كان على السطح. وينبغي توسيع انتاج مواد البناء، بغية تحقيق التنمية باطراد: من المزمع في السنوات القريبة زيادة بناء المساكن سنويا بنسبة ١٠٠ في المئة تقريبا. غير ان التقدم الكبير في البناء السكني ليس ملحوظا كثيرا، للاسف، في الحياة اليومية نظرا لابعاد القضية ذاتها. ان نسبة ١٥ في المئة، علاوة على مليوني شقة كانت تسلم سنويا، يعني اضافة تناهز ٣٠٠ الف شقة في السنة. لكن ثمة في بلادنا ١٢ مليون عائلة تنتظر دورها لتحسين ظروفها السكنية. فمتى ستحصل اخر هذه العائلات على مسكن؟ اضافة الى ذلك ثمة عمليا ٣٠ - ٤٠ مليون عائلة اخرى بحاجة الى شقق جديدة، ولكنها لم تسجل بين المحتاجين حتى الان، لانها تعيش في ظروف افضل بعض الشيء، كما يعتقدون.

من النتائج الايجابية للاصلاح تسارع ازدياد **انتاجية العمل**. وقد مكن ذلك من تحرير بضع مئات الالاف من الناس من مجال الانتاج المادي. غير ان سوق العمل تفتقر الى ١٠ - ١٥ مليون عامل. وهكذا فان البطالة لا تزال بعيدة الوقوع، على الرغم من انه يوجد في بعض المناطق، ولا سيما في اسيا الوسطى، غير قليل من الايدي العاملة الحرة، الامر الذي يسبب احيانا نزاعات اجتماعية.

اشير كذلك الى ان ثمة ازديادا فعليا في استهلاك المواد الزراعية وخاصة المنتوجات الحيوانية. ذلك ان انتاج الحليب واللحوم يزداد سنويا بنسبة ٣ - ٤ في المئة. صحيح انه ما يزال من الصعب الكشف عن هذه الاضافة اثناء وجبات الغذاء.

وبالطبع، لا يمكن حل القضايا التي تراكمت على امتداد العقود دفعة واحدة. ويعتقد ان تحقيق خطتي عام ١٩٨٩ وعام ١٩٩٠ قد يوقف تردي الوضع الاقتصادي بعض الشيء **ويزيل فعلا تفاقم التوتر الاجتماعي** في البلاد. ان للاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي كل ما هو مطلوب كي يشرع في اداء وظائفه بصورة طبيعية بعد فترة قصيرة. اذ توجد في البلاد اكبر مكامن الثروات الطبيعية وصناعتها هي الثانية في العالم من حيث الجبروت، كما توجد امكانات علمية تقنية كبيرة. ويجري صوغ نظرية الاصلاح للمستقبل والية اقتصادية ضرورية على صعيد المؤسسات. وتنتظم عمليات التمويل الذاتي والادارة الذاتية في الجمهوريات الاتحادية. غير اننا نعيش الان، مع الاسف، مصاعب المرحلة الانتقالية الناجمة ليس فقط عن كوننا قد تأخرنا مع اعادة البناء النوعية حوالي ٣٠ - ٤٠ سنة، بل وكذلك عن كوننا لا نجريها بشكل متسق بما فيه الكفاية.

وتعتبر النفسية الاجتماعية الخاصة بالاشتراكية حاجزا اخر يعترض الطريق. ذلك ان الناس يفكرون بشكل **سطحي** مبسط: ان الاشتراكية نظام من اجل الشغيلة يتوجب عليه ان يدافع عن كل فرد ويضمن له كل الضروريات، وهي نظام للتوزيع المتساوي وبالتالي، للتوزيع الاكثر عدالة. كما يزعم ان مثل هذه التصورات راسخة جدا في الوعي الجماهيري. بيد ان فكرة لينين القائلة يجب ان تكون الاشتراكية انتاجية عمل اعلى بالمقارنة مع اي نظام اخر تتراجع الى المرتبة الثانية.

Digitized by Birzeit University Library

اننا نريد ان نكسب كل شيء، دون ان نفقد شيئا.وفي ذلك بالتحديد ارى صعوبة البيريسترويكا. ولكن ينبغي على المرء ان يضحي في السياسة بالقليل ليحظى بالكثير. ويجب ان يتخلى المجتمع في نهاية المطاف عن "افضليات" العمل السيىء. صحيح ان ذلك اسهل بكثير والطف من العمل مع بذلك قصارى الجهود. ولكن، اذا لم نتغلب على ذلك، ستكون آفاقنا وهمية.

يبدو لي انه على الرغم من كل تعقد الوضع وكل حداثة القضايا، لا يجوز استصغار اهمية **العمل البناء** الذي انجز في الفترة الاخيرة في المجال الاقتصادي. ذلك ان قيادة البلد الاقتصادية، اذ تتغلب على قوالب التفكير الاقتصادي القديمة، تغير اتجاه جهودها، ويعتبر ذلك الشرط الاول لتحسين الامور. ومن دواعي السرور، قبل كل شيء، ان الحكومة انكبت بجد على ازالة العجز الكبير في ميزانية الدولة. اذ كان من المزمع في البداية تقليصة، كما اشير في المؤتمر الاول لنواب الشعب، بمقدار ٢٩ مليار روبل في عام ١٩٨٩ و ٣٤ مليار روبل في العام المقبل فقط. ولكن ذلك غير كاف اطلاقا لتحسين الوضع الاقتصادي. بسرعة. ان الملاحظات النقدية التي ادلى النواب بها جعلت الحكومة تعيد النظر في البرنامج. وطرحت الان مهمة تقليل عجز الميزانية في عام ١٩٩٠ بمقدار ٦٠ مليار روبل. وهذا تناول سليم وواقعي وصارم جدا. واذا استطعنا تطبيقه، سوف نثبت الوضع المالي خلال فترة قصيرة نسبيا.

ان خطة الدولة لتنمية البلاد في عام ١٩٩٠، التي اقرها السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي، تحرر عددا كبيرا من الاولويات في المجال الاجتماعي. وقد تم رسم انعطاف حاد لجميع فروع الاقتصاد الوطني نحو تلبية حاجات المواطنين السوفييت بالدرجة الاولى. وهذه الوثيقة المطروحة للبحث اثارت نقاشا حارا من قبل النواب.

واذ اكد الكثيرون على جانبها الايجابي، فقد اشاروا بخاصة الى انه لم يتم ايجاد الية للجمع الفعلي بين مبدأ التخطيط واقتصاد السوق وان التطور البنيوي لم ترافقه تدابير جدية لضمان الموارد. وخلاصة القول، كان العمل الرامي الى انجاز صياغة الخطة حازما، اذ وضع في الاعتبار استثنائية التدابير التي ينبغي تحقيقها.

وبهذه الروح ذاتها تم النظر في مشاريع القوانين التي ذكرتها اعلاه. وهي عبارة عن مجموعة كاملة من اللوائح الاصولية المبدئية المعدة لتدشين مرحلة جديدة في تطور الاصلاح الاقتصادي وارساء اساس للتحولات الجذرية في علاقات الانتاج.

انني على يقين من ان تحقيق التدابير المذكورة سوف يوفر الظروف الطبيعية الضرورية لنشاط النظام الاقتصادي الجديد المصحح وحل القضايا الاجتماعية الملحة، ان البلاد تسلك طريق التطور الدينامي الثابت.

Digitized by Birzeit University Library

العالم عشية القرن الحادي والعشرين:

بواكير الامن وقيود العقائد الجامدة

- بيوتر لوشيف -×

توجهت المجلة الى القيادة العسكرية في اكبر حلفين عسكريين سياسيين هما "منظمة معاهدة فرصوفيا" و "حلف شمالي الاطلسي" برجاء الاجابة عن بعض الاسئلة . وللاسف لم نستلم حتى الان الاجوبة التي وعد بها الجنرال جون غالوين والتي كنا نأمل الاستفادة منها في الكشف والمقارنة بين كلتا وجهتي النظر.

وننشر هنا المادة التي استلمتها هيئة التحرير حول مواقف ونشاط معاهدة فرصوفيا في المجال العسكري:

- في ظروف اعلن فيها كلا الحلفين ان اهم هدف لنشاطهما هو تعزيز الامن والاستقرار في ظل اقل ما يمكن من القدرات القتالية ، ما هي اجراءاتكم التي تؤكد هذه التصريحات؟

- ان التفكير السياسي الجديد وما يتبعه من انفتاح وحيوية ومرونة في السياسة الخارجية التي تنتهجها الدول الاشتراكية المتحالفة ، كل ذلك اثر تأثيرا جيدا في كل نظام العلاقات بين الدول وادى الى تصفية كثير من الكليشيهات والقوالب الجاهزة ، التي تكونت في غضون سنوات طويلة في العلاقات المتبادلة بين معاهدة فرصوفيا وحلف شمالي الاطلسي ، والتخلي عنها.

ان البلدان المشاركة في معاهدة فرصوفيا كانت ، وما تزال ، تعتبر نزع السلاح قضية العصر الرئيسية والعامل الحاسم في ترسيخ السلام والامن والثقة وتعميق الانفراج وتطوير التعاون الدولي الواسع.

ومن المعلوم ان عملية نزع السلاح شارع ذو اتجاهين ، فمعاهدة فرصوفيا وحلف شمالي الاطلسي اعلنا عدة مرات استعدادهما للمشاركة فيها. وسيكون من الخطأ الصمت تجاه ما قام به كلا الطرفين معا. ولولا السعي المشترك لما كان بالامكان ان تتحقق معاهدة الصواريخ ذات المدى المتوسط والاقصر واتفاقات استوكهولم وفيينا والمفاوضات حول القضايا المختلفة المرتبطة بتخفيض الاسلحة.

× القائد العام للقوات المسلحة الموحدة التابعة للدول الأعضاء في معاهدة فرصوفيا، جنرال الجيش.

Digitized by Birzeit University Library

ومن المؤسف ان الاطروحات السياسية والنشاطات العملية لدى الحلفين لا تتطابق في بعض جوانبها. واهم "نقطة عدم الالتقاء" هي تمسك حلف شمالي الاطلسي باسلحة الدمار الجماعي النووية وغير النووية . وقد اعلنت الدول المشاركة في معاهدة فرصوفيا غير مرة عن استعدادها للاتفاق مع الدول النووية في حلف شمالي الاطلسي حول تقليص الترسانات النووية على مراحل وتصفيتها تماما فيما بعد. ولكنهم اجابونا باقرار خطط تحديث الاسلحة النووية التكتيكية . حقا ان القرار النهائي القاضي بتنفيذ البرنامج قد تأجل. ولكن ، ينبغي الا ننسى انه : في ظروف تخفيض انواع الاسلحة النووية الاخرى تبدأ الاسلحة النووية التكتيكية باداء دور خطر جدا ومقوض للاستقرار.

لقد اعلن الاتحاد السوفييتي من طرف واحد تجميد التجارب النووية وطبقة بدقة ، ثم اوقف انتاج الاسلحة الكيماوية واليورانيوم المخصب وحد من انتاج بلوتونيوم الاسلحة . وحتى نهاية عام ١٩٨٩ سيتم اخراج ٥٠٠ راس من رؤوس الاسلحة النووية التكتيكية من بعض البلدان الحليفة.

واعلنت الدول الاعضاء في معاهدة فرصوفيا في مذهب عسكري اقر عام ١٩٨٧ انها لن تبدأ باستخدام السلاح النووي ابدا. وحقيقة اعلان هذه الوثيقة لم يسبق لها مثيل. ومذهب بلدان الاسرة الاشتراكية العسكري الدفاعي من حيث توجهه يخضع لمهمة عدم السماح بالحرب ، سواء النووية او التقليدية ، الان وفي المستقبل المرتقب.

ولنتناول قضية القوات المسلحة التقليدية في اوروبا . فقبل بدء مفاوضات فيينا اعلنت الدول الاشتراكية الحليفة ، من طرف واحد ، عن خفض كبير في جيوشها ومصروفاتها العسكرية وتحويل الانتاج العسكري تدريجيا الى الانتاج المدني . وجرى اخراج مجموعات كبيرة من القوات السوفييتية من المانيا الديموقراطية والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا . وحسب الوضع في تشرين الاول من العام الحالي انخفض عدد القوات السوفييتية بمقدار ١٥٠ الف شخص و ٦٧٠٠ دبابة و ١١٠٠ منظومة مدفعية . وتم استبعاد ٤٠ سفينة وحوالي ٦٠٠ طائرة مقاتلة من معدات القتال . وجرى حل بعض قطعات الدبابات والطيران كذلك في جيوش الدول الاخرى المشاركة في معاهدة فرصوفيا.

ومن المؤسف ان بلدان حلف شمالي الاطلسي لم تخذ حذونا . وبالعكس ، حتى في ظروف تخفيض الاسلحة والقوات المسلحة من جانب دول معاهدة فرصوفيا وحدها نسمع من بعض قادة الغرب العسكريين دعوات لتوسيع القدرة الهجومية . وهذا ما يثير حذرنا.

- ما هي الامور ، التي اثارت انتباهكم ، في عمل ووثائق الدورة الاخيرة التي عقدها في بروكسل مجلس حلف شمالي الاطلسي (ايار ١٩٨٩)؟ وما الذي يمكن ان يحظى بالدعم والتفهم في مقر حلف شمالي الاطلسي من بين مقترحات اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية في بوخارست (يوليو ١٩٨٩) والخطوات التي تم اتخاذها ، حسب اعتقادكم؟

- اعتقد ان دورة مجلس حلف شمالي الاطلسي اليوبيلية بينت ان هذا الحلف يتوجه بنشاط متزايد الى الحوار السياسي مع معاهدة فرصوفيا ايجابيا ، بشكل عام ، المقترحات الاضافية التي طرحتها بلدان حلف شمالي الاطلسي في بروكسل ، وهي تتعلق بخفض الاسلحة التقليدية والقوات المسلحة في اوروبا . وقومت هذه المقترحات على انها جدية وبناءة. وهي تتطابق كثيرا مع مواقع الدول الاشتراكية . وهذا يشمل ، بخاصة ، اقتراح البلدان الغربية بعقد اتفاقية حول الاسلحة التقليدية في اوروبا في وقت قريب وتحقيق التخفيضات المتفق عليها حتى عامي ١٩٩٢-١٩٩٣ . ودول معاهدة فرصوفيا تعتقد

Digitized by Birzeit University Library

ان هذه المدة مقبولة وهي لا تريد ارجاء القضية.

ان تطورا معينا في موقف بلدان حلف شمالي الاطلسي من الاسلحة النووية التكتيكية ما كان له الا ان يحظى باهتمام المشاركين في اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية في بوخارست . وبهذه المناسبة اكدت البلدان الاشتراكية الشقيقة اقتراحها المقدم في نيسان ١٩٨٩ حول جعل مسألة هذه الاسلحة موضوع مفاوضات مستقلة . وضرورة البدء بها مسألة ملحة . والاتحاد السوفييتي يقترح البحث عن حلول مقبولة من الجميع اثناء مناقشة كل مجموعة القضايا مناقشة معمقة بمشاركة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكذلك الدول التي تنتشر هذه الاسلحة في اراضيها . وسيرد الاتحاد السوفييتي على موافقة بلدان حلف شمالي الاطلسي على البدء بالمفاوضات بخفض اسلحته النووية التكتيكية في اوروبا مرة اخرى والى حد كبير.

ولكن حلف شمالي الاطلسي ما يزال بدون اية اسس ينظر الى معاهدة فرصوفيا بوصفها مصدر خطر عسكري محتمل يهددها ، مصدر ازمات وتوتر . ولم يتخل حلف شمالي الاطلسي عن وجود القوات التقليدية والنووية التابعة للولايات المتحدة في اوروبا ، وما يزال يتمسك باستراتيجية الردع النووي ، الامر الذي لا يمكن تقويمه الا بوصفه محاولة لتحقيق تفوق عسكري وللاخلال بالتوازن.

ولاجب عن الجزء الثاني من السؤال. اعتقد ان الوثائق التي اقرها المشاركون في اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية في بوخارست تتضمن برنامجا متكاملا وبناء يستهدف بناء اوروبا مستقرة وامنة وخالية من السلاح النووي والكيماوي.

فما الذي يمكن ان يثير الاهتمام ويحظى بالدعم في مقر حلف شمالي الاطلسي من هذا البرنامج؟ بينت الفترة التي مرت منذ تموز ان نتائج اجتماع بوخارست قوبلت بالارتياح عموما في الاوساط الحاكمة الاوروبية الغربية . ربما بدا ذلك غير اعتيادي ، الا ان هذا ما حصل.

ولكن ، ليس جميع مقترحات دول معاهدة فرصوفيا لاقت الفهم والصدى المناسب في حلف شمالي الاطلسي . فموقفا الحلفين من قضية السلاح النووي ، على سبيل المثال ، متضادان تماما . اذ ان بلدان الاسرة الاشتراكية تتمسك بمثل تصفية الاسلحة النووية في حين ان الغرب يتمسك بنظرية الردع النووي.

وثمة اختلافات كذلك في الموقف من قضية خفض عدد القوات والاسلحة التقليدية في القارة الاوروبية . والغربيون المشاركون في مفاوضات فيينا يحاولون بصورة مصطنعة تحجيم القضية وحصر الحل بخفض القوات المسلحة التابعة للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الموجودة خارج اراضيهما الوطنية فقط. الا ان ثمة قوات اخرى تابعة لبريطانيا وفرنسا وكندا وهولندا تنتشر في اراضي المانيا الاتحادية وتضم حوالي ١٦٠ الف عسكري عامل. وهم كذلك يجب ان يصبحوا موضوع تخفيض. ونحن الى جانب تحديد حد اقصى لعدد القوات المسلحة في كل حلف بمقدار ١٣٥٠ الف فرد. وبلدان حلف شمالي الاطلسي ضد هذا الحد.

وثمة اختلافات في تقويم القوات العسكرية البحرية . فمن المعلوم انها كانت خارج اطار عملية خفض الاسلحة والقوات . وجرى ذلك حسب طلب قيادة حلف شمالي الاطلسي . فلماذا؟ ليس من الصعب على القراء ان يحدسوا: فالارقام هنا مزعجة بالنسبة لحلف شمالي الاطلسي لانها تشير الى تفوقه الكبير في البحر.

ونحن نعتقد انه كان يمكن مناقشة قضية القوات العسكرية البحرية في مشاورات خاصة بمشاركة كل الدول المعنية ، وفي مقدمتها الدول التي لديها قوات عسكرية بحرية كبيرة. وكان يمكن هنا مناقشة قلق الطرفين في هذا المجال

Digitized by Birzeit University Library

وتبادل الاراء حول آلية المفاوضات المقبلة واهدافها النهائية وطرق التقدم نحوها.

وباختصار ، اننا لا ننخدع بامل ان تخلو مفاوضات فيينا من القضايا المعقدة. ولكن ، ينبغي حلها من غير الاضرار بأمن اي طرف كان ولصالح جميع المشاركين في المفاوضات.

- هل ترون ترابطا كهذا بين الاسلحة النووية الاستراتيجية وغير الاستراتيجية والاسلحة التقليدية ، كما تؤكد قيادة حلف شمالي الاطلسي؟ وفي هذا السياق ، ما مدى صحة الحجج المستخدمة في تعليل نظرية الردع النووي التي يتمسكون بها هناك؟

- لقد تحدثت عن موقف دول معاهدة فرصوفيا من الاسلحة النووية . اذ يجب ان تخلو الترسانات العسكرية منها الى الابد سواء في الشرق او الغرب. وحصيلة ذلك لن تكون سوى تعزيز الامن الدولي.

في حين ان القيادة العسكرية السياسية في حلف شمالي الاطلسي تريد الحفاظ على استراتيجية الردع المعتمدة على احتياطات هائلة من الاسلحة النووية. ويجري اثبات ضرورة ذلك بطرق مختلفة. اذ يتحدثون ، مثلا ، عن الاسلحة النووية بوصفها وسيلة منع الحرب وكذلك بوصفها عنصرا يعوض ، حسب اعتقاد حلف شمالي الاطلسي ، عن تخلف الحلف في مجال القوات المسلحة التقليدية.

اعتقد انها حجج مختلفة وعاجزة. لنأخذ مثلا الولايات المتحدة. فقد كانت اراضيها في سلام حتى عندما عندما لم يكن اي انسان يفكر بالسلاح النووي. والقول الان ان السلاح النووي وحده يضمن امن الولايات المتحدة امر يثير كثيرا من الشكوك.

وهذا ما ينطبق على الاعضاء الاوروبيين في حلف شمالي الاطلسي. نعم ، ان الحرب العالمية الثانية دفعتهم لحل قضايا أمنهم الخاص بمسؤولية اكبر. ولكن ، لماذا عن طريق سباق التسلح بالذات وعن طريق المجابهة العسكرية والسياسية مع البلدان الاشتراكية؟ فهل اعتقدوا جديا ان جرافة "الخطر العسكري السوفييتي" سيصبح واقعا؟

ولكن التاريخ يشهد بان السلام في اوروبا ممكن ، وانا واثق من انه سيصبح اكثر رسوخا بدون اسلحة نووية في اراضيها.

ان توقيع المعاهدة السوفييتية الاميركية حول الصواريخ ذات المدى المتوسط والاقصر وتنفيذها بينا كيف اصبحت القارة اما بعد ان تخلصت من جزء من الحمولة النووية . ثم ان هذه المعاهدة اصبحت دافعا قويا لحل قضية خفض القوات المسلحة . وانظروا كيف انتظمت سلسلة: تصفية الاسلحة النووية ذات المدى المتوسط والاقصر - مفاوضات فيينا حول الاسلحة التقليدية - امكان توقيع اتفاقيات مناسبة في عام ١٩٩٠ - افق التخفيضات في المستقبل . وليس من الصعب تصور نتائج تحول اوروبا الى قارة خالية من السلاح النووي. واعتقد ان مستوى الاسلحة التقليدية لدى الطرفين يمكن ان يبلغ في النتيجة حدا ادنى يكفي لضمان حل المهمات الدفاعية فقط.

واستراتيجية الردع في الظروف الحالية استراتيجية انتحارية. فهي اذ تبرر الاحتفاظ بالاسلحة النووية ، فانها تساعد بذلك على ظهور نزعات نحو استخدامها. ومن يضمن ان هذا لن يحدث ابدا؟ كما ان خطر التشغيل غير المسموح به للاسلحة النووية كبير ايضا. في حين ان انفجارا نوويا عفويا واحدا يمكن ان يؤدي الى تصاعد الانفجارات النووية بصورة آلية وعلى الضد من رغبة الناس.

وهكذا فان استراتيجية الردع ، حسب رأيي ، قد فقدت حيويتها منذ فترة طويلة.

- هل تناقشون مع زملائكم مسألة التخلي عن بعض المفاهيم البالية والافكار الجاهزة في

Digitized by Birzeit University Library

العلاقة مع الطرف الاخر؟ وهل تعتقدون ان من الممكن (وفي اي مجال) اعادة النظر في بعض جوانب نشاط منظمتكم؟

- بالطبع. فالتخلي عن الافكار الجاهزة عنصر هام في التفكير السياسي الجديد الذي توليه جميع دول معاهدة فرصوفيا اهمية عملية كبيرة. وبدون التناول الديالكتيكي المطلوب عند تقويم هذه او تلك من نشاطات حلف شمالي الاطلسي واعماله ومبادراته السياسية ليس بامكاننا تنفيذ نهجنا بفاعلية سواء في الشؤون السياسية او العسكرية. وبالمناسبة ، ان هذا هام لكل مجالات النشاط البشري: اذ يجب في الوقت المناسب ملاحظة التغيرات الجارية وتقويمها ومراعاتها في مجتمع الدول والشعوب في كوكبنا.

وفي المرحلة الحالية من تطور العلاقات الدولية تعتقد دول معاهدة فرصوفيا انه من الممكن ادخال تعديلات معينة على نشاط حلفها. وقد انعكس هذا في اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية في بوخارست . اذ تقرر هناك مواصلة الجهود المكرسة لتعزيز طابع معاهدة فرصوفيا السياسي وتطوير آليته لاحقا على اسس ديموقراطية.

واذا تحدثنا عن نشاط القيادة الموحدة ، ففيه ايضا تنعكس الظروف الجديدة التي يجري فيها البناء العسكري في البلدان الشقيقة . وهذا يحدد حتما نمو الحركة والروح العملية في عمل القيادة الموحدة وتقويمه بروح اكثر انتقادية واعادة النظر في الطرق والاشكال الحالية والتخلي عن الطرق التي لم تعد تبرر نفسها اليوم.

وبرزت في جدول الاعمال ضرورة ادخال تعديل معين على بنية القيادة الموحدة وكذلك بعض المسائل الاخرى،وهي جميعا تحل في حينها . وأمل ان يصبح نشاط هذه الهيئة العسكرية في معاهدة فرصوفيا اكثر فاعلية في النتيجة وان يساعد على انجاح حل مهمات زيادة الاستعداد القتالي والقدرة الدفاعية لدى القوات المسلحة الموحدة.

- ما هي ، في رأيكم ، الخطوات الجوابية التي يمكن ان يتخذها حلف شمالي الاطلسي؟

- ان جميع مقترحات ومبادرات دول حلف فرصوفيا تنتظر عمليا خطوات مقابلة من جهة حلف شمالي الاطلسي ، وتفترض ضرورة الاعمال المشتركة . ويمكن القول اننا جميعا في زورق واحد. فاذا جذفنا بمجذاف واحد ، فان الزورق سيدور في مكانه . ولكي ندفعه الى الامام ينبغي ان نشغل كلا المجذافين بروح جماعية وبقوة.

ليس لدى البشرية الان مهمة اكثر الحاحا من مهمة تصفية الاسلحة النووية والكيماوية وخفض الاسلحة التقليدية والقوات المسلحة جذريا. وفي هذا الاتجاه كان بامكان حلف شمالي الاطلسي ان يقدم على خطوات اكثر حسما.

- في اية قضايا ملموسة يمكن ان تتعاون الكتلتان العسكريتان حسب رأيكم ، مثلا: مناقشة المذاهب العسكرية ومنهج حساب المعطيات ، وتبادل الخبراء ووفود ضباط الاركان والمعلومات ، وتكوين بنى مشتركة دائمة العمل؟ وهل يمكن في الوقت القريب اقرار توصيات بصورة مشتركة حول خفض المصروفات العسكرية لدى الطرفين واشكال تخفيض النشاط العسكري في اوروبا والسطوح المائية القريبة؟ واخيرا ما هي المبادرات الاقليمية التي يمكن ان تتطور بالذات بفعل ازدياد التفاهم والثقة والتعاون بين الحلفين؟

- لنتحدث في البداية عن التعاون. ان التفكير السياسي الجديد ساعد كثيرا على تصفية عدد من العقائد الجامدة والافكار الجاهزة التي عانتها العلاقات بين الحلفين خلال عقود من السنين . وهذا بدوره سبب بعض التغيرات في تقويمات ومواقف كلا الحلفين وفي اعمالهما المشتركة.

وتبين ان معاهدة فرصوفيا وحلف شمالي

Digitized by Birzeit University Library

الاطلسي يستطيعان تماما حل بعض قضايا الامن الاوروبي معا. والحديث يدور ، مثلا ، حول خفض القوات المسلحة التقليدية وتعزيز الثقة وتخفيف شدة نشاط قواتها المسلحة العسكرية اليومي . واصبحت منتظمة ، بخاصة ، زيارات التفتيش العسكرية المتبادلة والتبليغات عن انواع معينة من النشاط العسكري ودعوة مراقبين لمشاهدة تدريبات القوات العسكرية. وجرى اول لقاء ، على الرغم من انه غير رسمي ، بين القائدين العامين للقوات المسلحة التابعة للحلفين.

وينبغي ان اقول ان هذا التعاون بين الحلفين العسكريين السياسيين لم يقطع سوى بضعة امتار من مسافات الانطلاق الاولى. ويمكن ويجب القيام بما هو اكثر بكثير .

اما تخفيض النشاط العسكري في اوروبا وسطوح المياه القريبة ، فاعتقد ان امكانات ذلك متوفرة. ولكني اشير الى ان تحقيق ما نرغب فيه ليس سهلا. ففي حين خفض عدد تدريبات القوات المختلفة ومقاييسها من جانب دول معاهدة فرصوفيا ، نجد ان قيادة حلف شمالي الاطلسي لا تقوم بخطوات جوابية في هذا المجال. وبين فترة واخرى يهز صوت القصف اوروبا الغربية بسبب المناورات والتدريبات العسكرية ومنها على سبيل المثال: "اوتم فورج - ٨٩" التي جرت في اراض واسعة من القارة ومياه الاطلسي المحاذية. وشارك فيها حوالي ٢٠٠٠ الف عسكري والف دبابة وحتى الفي طائرة مقاتلة وحوالي ٤٠٠ سفينة من كل بلدان الحلف بما فيها فرنسا واسبانيا . والمناورات من حيث مداها ومهماتها يصعب تمييزها عن نشر المجموعات الهجومية في نشاطات عسكرية واقعية .

وهذا لا يساعد ، بالطبع ، على تعزيز الثقة في القارة . والانكى ان بوادر الثقة الموجودة اليوم مهددة بالخطر. في حين انه ينبغي الحرص عليها.

ولاجب عن آخر سؤال. لقد قدمت دول معاهدة فرصوفيا في السنوات الاخيرة بصورة مشتركة وفردية عددا كاملا من المقترحات حول قضايا اوروبا الاقليمية المحدودة.

وهي مقترحات حول تكوين ممر خال من الاسلحة النووية ومنطقة خالية من الاسلحة الكيماوية في اوروبا الوسطى ، وحول خفض الاسلحة وزيادة الثقة في اوروبا الوسطى ، وتكوين منطقة ثقة وتعاون وعلاقات حسن جوار بمحاذاة خط تماس الحلفين ، وحول تكوين منطقة في البلقان خالية من الاسلحة النووية والكيماوية ، وحول تحويل البحر الابيض المتوسط الى منطقة سلام وتعاون ، وكذلك حول تخفيض مستوى المواجهة العسكرية جذريا في شمال اوروبا.

ولا يمكن تحقيق هذه الاقتراحات من طرف واحد. والبلدان الاشتراكية مستعدة لتنفيذ هذه المبادرات . ونحن ننتظر مثل هذا الاستعداد والرغبة من دول حلف شمالي الاطلسي.

- كيف تقومون عموما افاق ترسيخ السلام والامن في اوروبا على مشارف القرن الحادي والعشرين؟

- بتفاؤل. فانا لا ارى اليوم او في المستقبل معضلات لا يستطيع المجتمع الاوروبي حلها بالوسائل السياسية.

١) في نهاية الستينات اقرت دورة مجلس حلف شمالي الاطلسي تقرير وزير خارجية بلجيكا "مهمات الحلف المقبلة". وتضمنت الوثيقة مبادىء سياسة حلف شمالي الاطلسي: الانفراج (مفاوضات حول المسائل العسكرية السياسية) والدفاع (توسيع القوة العسكرية في كل الاتجاهات) - المحرر.

Digitized by Birzeit University Library

من تجربة قوى اليسار:

"ما من انسان جدير بان يكون سيدا لانسان اخر"

حديث حول الديمقراطية

ان بريطانيا معروفة بوصفها بلد الديمقراطية التمثيلية، بلد البرلمانية التي تجسد الى حد كبير سماتها الاكثر اهمية. فكيف تعمل هذه الديمقراطية اليوم؟ والى اي حد تستجيب لمصالح الشغيلة؟

يحدثنا عن ذلك **طوني بين**، النائب في البرلمان البريطاني والشخصية البارزة في حزب العمال وعضو لجنته التنفيذية، الذي شغل مرارا مناصب وزراية في حكومة البلاد، **وبيرت راميلسون**، ممثل الحزب الشيوعي البريطاني في مجلس تحرير مجلة "قضايا السلم والاشتراكية".

راميلسون: لدى الكثيرين في جميع انحاء العالم تصورات وهمية حول بريطانيا، اذ يعتبرون انها بلد اول برلمان في العالم. حيث يوجد نظام ديمقراطي حقا.

بين: ان الخرافة حول ان بلادنا هي موطن الديمقراطية ظلت تشاع باستمرار على امتداد سنوات طوال. ولكن اذا كانت الديمقراطية السياسية تعني، بالدرجة الاولى، منح حق التصويت لكل رجل وامرأة، فان ذلك حصل في ايامنا: اذ ان النساء لم يحصلن على حق المساواة هذا مع الرجال الا عام ١٩٢٨. وهكذا، فان الحديث يدور حول فترة زمنية غير طويلة. ان التصور حول بلادنا بوصفها ديمقراطية برلمانية انما هو نتيجة للمزج بين وجود البرلمان والديمقراطية نفسها. فمنذ انشاء "البرلمان النموذجي "عام ١٢٩٥ كان نشاطه يناسب تسميته بالفرنسية اي" كان مكان الثرثرة) من كلمة "Parler" وتعني: تكلم).

في البداية كان هذا البرلمان مجرد مكان يعارض فيه مالكو الارض سلطة الملك. وفيما بعد حاولت البرجوازية تقييد صلاحيات الملك والاقطاعيين الى حد ما. وفي القرن التاسع عشر فقط ادت تحركات الشارتيين ونضال جماهير الشغيلة من اجل النقابات، وفيما بعد حركة الداعين الى منح النساء حق الاقتراع، الى اكتساب الناس العاديين دورا ما في العملية السياسية. وينبغي ان نأخذ في الحسبان هنا ان دستورنا يتسم بطابع اقطاعي. فعلى سبيل المثال، خلافا للامريكيين الذين ينتخبون رئيسهم وكذلك الكونغرس اي مجلس الشيوخ ومجلس النواب،

Digitized by Birzeit University Library

لا يسمح لنا. وفق قوانيننا الا بانتخاب ثلث عناصر السلطة. ان التاج لا يتمتع بالسلطة الكاملة بالطبع، ولكن صلاحياته ما تزال قائمة دون شك، اما رئيس الوزراء فيمارس هذه الصلاحيات، عمليا، في ميدان ابرام المعاهدات واعلان الحرب.

راميلسون: ان كل ما قيل يدل، بالدرجة الاولى، على ان نظرية الديمقراطية ليست نظرية ثابتة لا تتغير. فهي مفهوم نسبي، يمكن ان يتسع محتواه او يتعرض الى التآكل. وفي الوقت نفسه ليس من الواضح للجميع ابدا ما الذي يمثله البرلمان. فالبعض يفترض انه مجلس العموم. ولكن البرلمان يتألف من ثلاثة عناصر، اثنان منهما لا علاقة لهما البتة باراء الناخبين. وهما مجلس اللوردات والصلاحيات الملكية. كما ان انتخابات مجلس العموم تتعرض لقيود كثيرة.

بين: يقولون لتلامذه المدارس اننا نعيش في ظروف الديمقراطية. ويوهموننا في الاعياد الرسمية بان بريطانيا هي بلد النظام البرلماني. اما عندما تلقي الملكة خطابا سرعان ما يدور الحديث عن الملكية الدستورية.

راميلسون: يتصور البعض، خطأ، الديمقراطية كاحدى السمات الاساسية للمجتمع الرأسمالي بيد ان المستوى الذي بلغته لم يتحقق الا بفضل نضال الشعب.

بين: لقد كان الفرق بين الطبقة الحاكمة في بريطانيا، والطبقتين الحاكمتين في فرنسا وروسيا مثلا، يتلخص، تحديدا، في ان الفئة البريطانية الحاكمة كانت بعد الثورة الانجليزية في القرن السابع عشر، تقدم التنازلات دائما قبل ان يبدأ الشعب ببناء المتاريس، وقد املت الحسابات التكتيكية خاصيتها هذه: التراجع اولا، ومن ثم احتواء قادة الحركات التمردية وتدجينهم. وتبين الوقائع انه كلما كان النضال اكثر عنادا، كانت النتائج اكبر، وكلما كان اضعف، كانت الحصة التي تنتزعها الطبقة الحاكمة من جديد اكبر، فهي تقوم بخطوة الى الوراء لاعادة تجميع قواها والهجوم مجددا. وعلى هذا النحو، اذا لم يتابع الشغيلة نضالهم حتى النهاية من اجل تحقيق مطالبهم. فان ثمار انتصارهم يمكن ان تكون غير وطيدة. ونشهد اليوم كيف قضت حكومة تاتشر تدريجيا في السنوات العشر الاخيرة على الكثير من مكتسبات الماضي في ميدان التشريع النقابي وصلاحيات هيئات السلطة المحلية والحريات المدنية.

راميلسون: اجل، تتعرض الديمقراطية لتآكل شديد. والمسألة لم تعد مسألة دفاع عن الحريات الديمقراطية الموجودة بقدر ما هي مسألة اكتسابها مجددا.

السلطة السياسية والاقتصادية

بين: من المهم انتزاع المواقع الايديولوجية والمعنوية - السياسية التي فقدتها الطبقة العاملة، اخذين في الحسبان ان هذه الطبقة لم تتمكن مطلقا في التاريخ البريطاني - حتى عندما كان ضغطها على اشده - من الاقتراب من الرقابة الفعلية على السلطة الاقتصادية. اي ان الحديث لا يدور حول النضال من اجل الديمقراطية السياسية فحسب، بل والاقتصادية ايضا.

راميلسون: هل من الممكن فصل احداهما عن الاخرى؟

بين: يعتقد ان الديمقراطية البرلمانية الكاملة قادرة على تمكين اغلبية السكان من تغيير القوانين التي تجري قيادة المجتمع بناء لها، بالوسائل السياسية وعن طريق التصويت السري. ولكن ما ان يتم تحقيق ذلك في الميدان السياسي حتى يشعر المرء، حتى ولو صار وزيرا، بقوة

Digitized by Birzeit University Library

ضغط السلطة الاقتصادية. منذ سنوات طوال تؤكد لنا وسائل الاعلام العامة ان النقابات هي التي تمثل القوة الاقتصادية، في حين ان الحكومة رهينة لها. ولكن كل باحث جدي يعرف جيدا ان القوة الحقيقية في مجتمعنا هي لسلطة رأس المال، الذي يتمتع دائما بقوة تفوق قوة النقابات بما لا يقاس، على الرغم من تمويه نفوذه بمهارة. فبدون رقابة على وسائل الانتاج والتوزيع والتبادل تجعلنا الديمقراطية السياسية لا نزيد اهمية عن رئيس الورشة الذي يواجه الاحتكاري.

راميلسون: لا يمكن فصل الديمقراطية السياسية عن الديمقراطية الاقتصادية بجدار صيني. فلو كانت حقوقي النقابية في ظروف الديمقراطية السياسية الموجودة عندنا، محدودة، فستكون امكاناتي في تحقيق التحسينات الاقتصادية ايضا محدودة. وكذلك لو كانت الشركة فوق القومية او حتى الشركة الكبيرة تمارس السلطة الاقتصادية الاحتكارية متسترة بالديمقراطية السياسية، افلا يؤثر ذلك على حقوق الفرد الاقتصادية.

بين: ان الديمقراطية الموجودة في بريطانيا ليست، بالطبع، سوى ديمقراطية جزئية، غير ناضجة تثبت "الوضع القائم"، سلطة المال، سلطة رأس المال، فنظامنا البرلماني يسمح بتغيير طرق ادارة المجتمع الرأسمالي في الميدان السياسي. ومن الافضل، بالطبع، توفر امكانية تغيير القيادة بدون سفك دماء. من عدم وجود هذه الامكانية. ولا يجوز التقليل من اهمية التصويت السري. فلو كان لدى سكان جنوب افريقيا السود حق التصويت لتوقفت الحرب الدائرة هناك غدا من حيث الجوهر، ونشأت امكانية التحولات الاقتصادية. ولكنها خاطئة ايضا الفكرة القائلة بان الديمقراطيةتتأمن بفضل امتلاك الدولة لوسائل الانتاج والتوزيع والتبادل تحت اشراف الحزب الطليعي الذي يمثل مصالح الطبقة العاملة التي تمارس الديكتاتورية. فكما بينت التجربة يمكن ان تظهر في نتيجة ذلك قيادة بعيدة كل البعد عن اي شكل من اشكال المسؤولية السياسية امام الشعب، وان تنشأ مصاعب سياسية واقتصادية على حد سواء.

كما ان التصور بان انعدام الملكية الخاصة يضمن الديمقراطية، لا يتفق مع الواقع. فمن الضروري الجمع بين الجانب السياسي والاقتصادي للديمقراطية. لقد تعين علي مؤخرا القاء محاضرات في الاتحاد السوفييتي وبولندا وبلغاريا، حيث اشرت الى انه لو كان بالامكان نقل الديمقراطية البرلمانية - كما هو موجود عندنا - الى المجتمع الاشتراكي، لاتاح ذلك تغيير الادارة، دون تغيير النظام، اي في اطار الملكية العامة لوسائل الانتاج والتوزيع والتبادل، فالديمقراطية السياسية في بلداننا الغربية قادرة (اذا ما استخدمت بصورة صحيحة وتوطدت بفضل نضال الشغيلة) على ان تكون اداة جبارة لتغيير توزان القوى الاقتصادية. ان "التقارب" كلمة لا تحظى بشعبية كبيرة، ولكن اعتقد ان تبادل الخبرة بين الشغيلة الذين يعيشون في ظروف النظامين الاجتماعيين المختلفين، يمكن ان يفتح ذلك الافق الذي يعني تحسين المعيشة في اطار الرأسمالية الى حد كبير وازالة اسوأ مظاهر "الدولتية" في بعض البلدان الاشتراكية.

هل سيحرر الدستور البريطاني؟

راميلسون: ان بريطانيا هي البلد الكبير الوحيد في العالم الذي لا يملك دستورا كاملا مكتوبا. والكثيرون يعتبرون ان ذلك يعطي الطبقة الحاكمة الافضلية ويعيق توسيع الديمقراطية للشعب باسره.

لذا نشأت عندنا حركة من اجل اقرار الدستور البريطاني. ففي العام الماضي وقع اكثر

Digitized by Birzeit University Library

من ٢٠٠ شخصية بارزة، من بينهم اعضاء في مجلس اللوردات وعلماء وكتاب ورجال قانون، "ميثاق - ٨٨"، داعين الى وضع برنامج ديمقراطي يمكن ان يضع حدا لسيطرة اولياء الامر المطلقة. وقد جاء في الوثيقة: لقد اوهمونا منذ الطفولة اننا احرار، وان برلماننا هو نموذج للديمقراطية، ولكن الواقع يدحض هذه المزاعم. واعلن موقعو الوثيقة ان الحرية ومكتسبات البريطانيين السياسية والاجتماعية تنتقص باستمرار، وانه جرى في السنوات الاخيرة تآكل الكثير من الحريات المدنية: الحق في عقد الاجتماعات، حرية الكلام والصحافة، صلاحيات النقابات وهيئات السلطة المحلية وغيرها. ويرى انصار الوثيقة انه من الضروري اجراء اصلاح البرلمان ووضع الدستور البريطاني ومناقشته واقراره، وضمان الحقوق الديمقراطية بهذا الشكل.

بين: انني من انصار هذا الدستور ولكن المسألة الرئيسية هي في كيفية كتابته. فمن السخافة الافتراض ان الطبقة العاملة يمكن ان تستخدم في صالحها المؤسسات التي انشأتها طبقة اخرى، في ظروف اخرى ولهدف اخر. لدينا دستور غير مكتوب يتسم بطابع محافظ جامد. ذلك ان القانون البريطاني يعود بجذوره الى عهد النظام الاقطاعي، على الرغم من انه تعرض للتجديد والتحديث فيما بعد وفقا لمتطلبات الاقتصاد الرأسمالي. ويضطلع التاج بدور السلطة العليا: فنحن لسنا مواطني بريطانيا، بل رعية ولا نملك حقوقا ينص عليها القانون. وعلى الرغم من ان الملك فقد سلطته الشخصية، الا ان هذه السلطة انتقلت عمليا الى رئيس الوزراء الذي يتمتع بصلاحيات ضخمة. فبامكانه ادخال اعضاء جدد الى مجلس اللوردات، وتعيين الوزراء والاساقفة والمطارنة والقضاة وقادة القوات المسلحة، ويمكن ان يعقد المعاهدات ويعلن الحرب، حتى دون التشاور مع البرلمان. فعندما يقر وزراؤنا مع وزراء البلدان الاخرى، في هيئات المجموعة الاقتصادية الاوروبية في بروكسل، قوانين المجموعة، فانهم يعملون على اساس صلاحيات التاج، لا البرلمان. ويمكن ان يحاط نشاط الهيئات الحكومية بستار من السرية على اساس قانون اسرار الدولة.

فما هي سلطة التاج؟ انها دولة في الدولة، مغطاة بستار من السرية، لم تتسرب اليها الديمقراطية، وهي سلطة فعلية، لن تتمكن اية نجاحات في ميدان الحرية السياسية من جعلها مسؤولة امام المجتمع. وحتى لو اصبح المرء وزيرا في الحكومة، فانه يبقى على هامش السلطة ولا يتمكن من الاقتراب من المراكز الفعلية للحكم. وقد بدأ الناس يدركون ذلك، وان ببطء.

راميلسون: وهكذا، فان دستورنا غير المكتوب يمنح مؤسسات الدولة غير المنتخبة قوة هائلة. ويرى انصار الدستور الفعلي انه من الضروري، بالدرجة الاولى، اقرار مشروع قانون حول الحقوق، يثبت الحقوق والحريات المدنية الاساسية، بحيث لا تكون للاكثرية المؤقتة في البرلمان امكانية الغائها. اضافة الى ذلك يقترح اعتماد نظام انتخابي اخر، لا يسمح للاقلية باكتساب سلطة غير محدودة. فيجب الا ننسى ان المحافظين فازوا في الانتخابات ثلاث مرات متتالية نتيجة للنظام الانتخابي غير العادل. وفي المرة الاخيرة شكلوا حكومة بعد ان حصولا على ما يزيد بقليل على ٤٠٪ من الاصوات وعلى تأييد ثلث مجموع الناخبين فقط. وفي هذا الصدد اود ان اسأل: لماذا عارض حزب العمال في كونفرنسه الوطني الاخير في بريتون، الذي جرى في تشرين الاول، التمثيل النسبي؟

بين: ان نظام الاغلبية الراهن يمكن ان يمنح السلطة للمرشحين الذين ينالون اقل من نصف اصوات الناخبين المشاركين في الاقتراع. فالسيدة تاتشر، كما نعلم، لم تنل الا ٤٢٪. ولكن التمثيل النسبي ينطوي بدوره على عدة مخاطر

Digitized by Birzeit University Library

على الديمقراطية. اولا، ان اشراف القيادات الحزبية على نظام تأليف قوائم المرشحين يقمع المبادرة المحلية لدى تقديم المرشحين. ثانيا، لو طبق التمثيل النسبي لما كانت في بريطانيا اربعة احزاب كبرى فقط، بل اكثر بكثير. فحزب العمال يمكن ان ينقسم الى يمينيين واشتراكيين، ولن ينجو المحافظون من هذا المصير ايضا. (ان سعي الاحزاب الى الوحدة يقوم الى حد كبير على ضرورة الحصول على اغلبية نسبية من اصوات الناخبين، للفوز بمقاعد في البرلمان.) وسيتعين على الزعماء الحزبيين تشكيل حكومة ائتلافية والاتفاق على برنامج ائتلاف لم يصوت احد عليه، لانه لم يكن معروفا لاحد اثناء الانتخابات. وهذه معضلة فعلية من معضلات الديمقراطية.

راميلسون: انني لا اوافق على رأيكم حول هذه المسألة. ان الحزب الشيوعي لا يوافق على وجهة نظر حزب العمال الذي يرفض مبدأ التمثيل النسبي. فنحن نؤيده ونعتبر انه ليس من المحتم ان يؤدي الى تشكيل حكومة ائتلافية. وينبغي ان تثير قلقا اكبر حقيقة ان حوالي ربع الناخبين المشاركين في التصويت اليوم غير ممثلين في البرلمان ابدا او انهم ممثلون بصورة سيئة.

بين: اوافق على الرأي بشأن ازمة التمثيل الشعبي، المرتبطة بالنظام الانتخابي البريطاني. بيد ان سبل تغيير هذا النظام يمكن ان تكون مختلفة. فالامر الرئيسي هو طابع نظام الدولة. لقد افترضنا ان الدولة محايدة ازاء العمليات السياسية، بيد ان الواقع ليس كذلك ابدا. فخلال قرون كثيرة كانت مؤسسات الدولة توجه تفكير الناس وسلوكهم، وما دمنا لا نعتبر هذه المسألة قضية سياسية اساسية فاننا لا نتمكن حتى من الاقتراب من اكتساب السلطة السياسية، ناهيكم عن السلطة الاقتصادية.

راميلسون: في كونفرنس برايتون طرح حزب العمال عدة اقتراحات دستورية، منها على وجه التحديد، الاقتراح الداعي الى احلال هيئة منتخبة مكان مجلس اللوردات، ولكن رفض نظرية الدستور المكتوب. ما رأيكم في هذا الصدد؟

بين: ان معاهدة روما حول السوق المشتركة تقوم اليوم، بالنسبة لنا من حيث الجوهر، بدور الدستور المكتوب: فاذا ما تصرفت الحكومة المنتخبة على نحو يتعارض مع القوانين المقرة في بروكسل، فان خطواتها لن تكون شرعية. اما بالنسبة لمشروع القانون حول الحقوق، الذي تحدثتم عنه، فارى انه من الضروري اقرار بيان حول الحقوق، واعمل على اعداد مشروع قانون في هذا الصدد. ان اقراره يمكن ان يؤدي الى اعادة كتابة قوانيننا بروح اكثر ديمقراطية. فعلى سبيل المثال، ينبغي ان نبحث مسائل احترام الحقوق في البرلمان، لا ان تعهد بها الى المراجع القضائية. ونحن بحاجة ايضا الى اصلاحات جدية اخرى من الاعلى الى الاسفل - من اجل اقامة جمهورية اتحادية علمانية (تفصل فيها الكنيسة عن الدولة) في بريطانيا.

راميلسون: اعتقد اننا متفقون من حيث الاساس على ضرورة اقرار دستور مكتوب للبلاد، على الرغم من اننا يمكن ان نناقش بشأن الشكل الذي ينبغي ان يأخذه. والقضية الاساسية هي كيفية تثبيت حقوق المواطنين. فاذا لم تفعل ذلك فان هذه الحقوق يمكن ان تلغى في اية لحظة. فخصوم الدستور المكتوب يعتقدون ان الحقوق التي سينص عليها يمكن ان تلغى بسهولة. ولكن تلك الوثائق التاريخية المعمول بها على امتداد فترة طويلة، والتي تشكل اليوم مصدرا للحقوق المدنية، مثل ميثاق الحرية العظيم وهابياس كوربوس ولائحة الحقوق لعام ١٦٨٩، يمكن ان يلغيها البرلمان نظريا. ولكن من الصعب جدا حصول ذلك في الواقع. والامر نفسه ينطبق على الدستور، فسيكون من الصعب

Digitized by Birzeit University Library

جدا الغاء الحقوق التي سينص عليها، على الرغم من انني لا استبعد مثل هذه الامكانية.

اما فيما يتعلق بدور الهيئات القضائية فانا موافق، فليست هي التي ينبغي ان تحل مسألة كيفية تفسير الدستور. وينبغي الغاء الصلاحيات الملكية والنظام القائم للتعيين في مناصب الدولة وفي المراجع القضائية. اذ يجب ان تشغل هذه الوظائف باسم التاج، بل باسم هيئة سلطة منتخبة.

بين: تتعزز في اوساط الرأي العام في بريطانيا اليوم الامزجة المؤيدة للتحولات التشريعية الجذرية. وثمة حركة جمهورية تضطلع بدور معين. وهي ليست ضد شخص الملك، بل ضد الحقوق الملكية الخاصة. ويعمل، مثلا، المؤتمر الوطني من اجل الادارة الذاتية في سكوتلندا في اطرا المملكة المتحدة.

راميلسون: ان النضال لا يجري فقط من اجل حقوق الاسكتلنديين باقامة جمعيتهم، بل وتطرح مطالب تشكيل نظام اتحادي من انجلترا واسكتلندا وويلز.

بين: ان السلطات المحلية ينبغي ان تمتلك بالطبع الحق المطلق، حق حل القضايا المتعلقة بالمنطقة. بيد ان الحديث لا يدور فقط حول بنية السلطة في بريطانيا، بل وبنيتها على الصعيد العالمي. فعلى سبيل المثال، ربما سيتعين نقل حق الرقابة على السلاح النووي والكيمياوي ووضع البيئة "الى الاعلى"، الى الامم المتحدة. ومن الضروري اعادة توزيع السلطة من اعلى الى اسفل، ونقلها الى المستوى المناسب. وهذا لا يتعلق ببريطانيا وحدها، بل وبالبلدان الاخرى ايضا، بما فيها البلدان الاشتراكية.

اللامركزية والمسألة القومية

بين: ان الميول في صالح نقل السلطة "الى الاسفل"، من جهة، ومن اجل ادارة عالية اكثر فاعلية (مهما كان الاسم الذي يطلق عليها) لحل المسألة ذات الطابع الشمولي من جهة اخرى، - هما حركتان متوازيتان تكملان بعضهما البعض. فالعودة الى القومية في ظروف انعدام التعاون الدولي يمكن ان تؤدي الى نشوء وضع خطر: فالنزعة الانفصالية القومية وكراهية الاجانب تنطوي على خطر هائل. وهذه المعضلة تواجه الكثير من البلاد والحركة العمالية.

راميلسون: فيما يتعلق بامكانية انشاء جمعيات اقليمية في بريطانيا، فانني اعتبر اللامركزية عملية ديمقراطية. ولكن من المهم الا يصبح البرلمان الاسكوتلندي او برلمان ويلز برلمانين من درجة ثانية بالمقارنة مع البرلمان الانجليزي.

بين: انا من انصار الفيدرالية. واعتقد انكم تتناولون هذه المسألة بصورة صحيحة تماما. فلو وجدت البرلمانات الاقليمية لما كانت اسكوتلندا، مثلا، في وضع المغبون. المهم هو انه من الضروري ان تكون لدينا لا مركزية اكبر بكثير من مجال الادارة.

راميلسون: هنا تكمن القضية. ولكن اللامركزية ليست ابدا، في اعتقادي، الحل للقضية القومية. فهذان موضوعان مختلفان.

بين: المسألة القومية ترتبط باللامركزية.

راميلسون: الكثير يتوقف هنا على البنية الفيدرالية، التي ستقوم في هذه الحال، وعلى توازنها من اجل ضمان تنسيق مصالح انجلترا واسكوتلندا وويلز وتوازنها. وثمة طرق غير قليلة لوضع الاليات المناسبة. المهم هو تلبية الحقوق القومية للسكان الاصليين.

بين: ان تطور الديمقراطية لا ينفصم عن حل المسألة القومية. وتتسم التجربة العالمية باهمية في هذا المجال. فالكثيرون كانوا يعتقدون انه قد تم حل المسألة القومية في الاتحاد السوفييتي بعد الثورة في روسيا. والان نرى ان هذه المسألة

Digitized by Birzeit University Library

تطرح من جديد، ويظهر تصدع في بنية الدولة الموحدة. فالاشتراكيون عموما، وحتى افضلهم، اي الاميين، استصغروا اهمية مراعاة القضية القومية في اطار النضال من اجل الاشتراكية وقالوا: "ان هذا انحراف عن التناول الطبقي، انه غير مقبول". ولكن الناس يتوجهون الى الاشتراكية انطلاقا من تجربتهم الخاصة. وهي ترتبط بعرقهم وجنسهم، او بقوميتهم، التي تنعكس بهذا الشكل او ذاك على ظروف الاستغلال.

راميلسون: انني اوافق على ذلك تماما: فقد كانت احدى الاخطاء الاكثر جدية في الحركة الشيوعية هي الاستخفاف بالعوامل القومية للتطور الاجتماعي وبضرورة حل المسألة القومية بالطريق الممكن الوحيد، اي على اساس الحقوق المتساوية لجميع المجموعات الاثنية وتطورها. لقد اعلن في الاتحاد السوفييتي ان هذه القضية قد حلت. بيد ان الامر لم يكن في الواقع كذلك تماما. فالعلنية كشفت عن اخطاء وهفوات في هذا المجال. وبينت انه من غير الممكن حل المسألة القومية بدون تشجيع كل شعب على تطوير لغته وثقافته، في ظروف التعاون مع سائر الشعوب الاخرى، بالطبع، وقد طرحت اللامركزية الديمقراطية على جدول الاعمال...

بين: انها حقوق الانسان التي لا تتجزأ والتي من الضروري النضال من اجلها. فبصرف النظر عما اذا كان المرء ينطلق من منطلقات لاهوتية حين يعلن: "الناس اخوة واخوات"، او من قناعات انسانية حين يقول ان لكل طفل مولود الحق في المساواة، فانه يصل الى المطالبة بالحقوق نفسها للجميع. وقد تردد هذا المبدأ منذ القدم بشكل اخر: "عندما كان آدم يفلح وحواء تحوك، فمن كان البديل آنذاك"؟ انني اؤيد هذا التعريف للديمقراطية: لا يمكن لاحد ان يمتلك السلطة ان لم يكن مسؤولا امام من يمارس عليه هذه السلطة. وهذا صحيح سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية. وقد اعطى احد اللاهوتيين الامريكيين تعريفا رائعا للديمقراطية، في رأيي، حين قال: "ان مقدرة الانسان على ارتكاب الشر تجعل الديمقراطية ضرورية، وان مقدرته على ممارسة الخير تجعل الديمقراطية ممكنة". وانني اوجه الى الذين يمتلكون السلطة خمسة اسئلة بسيطة: "ما هي السلطة التي تتمتعون بها؟ من الذي منحكم اياها؟ لصالح من تمارسونها؟

وهذه الاسئلة تصلح لتوجيهها الى اي قائد: سواء اكان وزيرا ام راعيا دينيا ام رئيس شركة فوق قومية. والاجابات عنها تتيح فهم ما الذي ينبغي عمله لاحقا.

راميلسون: هل تعتقدون انه لا يجوز، انطلاقا من طبيعة الديمقراطية، الفصل بين الحقوق الفردية والجماعية، وانه ينبغي من اجل اكتساب الحقوق الفردية الاهتمام بالحقوق الجماعية ايضا؟

بين: اعتقد ان الناس ينبغي ان يتمتعوا بالحقوق الفردية. بيد ان النزعة الفردية واللهاث وراء الخيرات الاستهلاكية التي تشجعها الرأسمالية. يستخدم لتمويه الواقع، فالمهم بالنسبة للرأسماليةان ينسى الناس انتماءهم الى اسرة واحدة، وان ينسوا انه لا يمكنهم تحقيق شيء الا بالعمل معا.

راميلسون: نعم، لا يمكن ضمان الحقوق الفردية الا بواسطة الاعمال الجماعية/

بين: ولكن ينبغي الا ننسى ان الحقوق الجماعية الممارسة بوسائل غير صحيحة يمكن ان تؤدي الى انتهاك الحقوق الفردية. لذا ينبغي ان نستدرك: انه عندما نسعى الى تحقيق المنفعة الجماعية يجب ان نتأكد من ان ذلك لا يلحق الضرر بأحد ما.

راميلسون: في مثل هذه الحالة يدور الحديث عن سوء استخدام الحقوق الجماعية.

Digitized by Birzeit University Library

بين: انني كاشتراكي مسلح بنظرية علمية اعتقد انه من الضروري ان يجري الحديث عن الوسائل التي يمكن للبشرية بواسطتها ان تصبح سيدة مصيرها. فبدونها لن تتمكن ابدا من تحرير موهبة الانسان وتذليل المعضلات التي نواجه العالم وبناء المجتمع الكريم. واعتقد في هذا الصدد ان الرأسمالية والديمقراطية الحقيقية لا يلتقيان، اما الاشتراكية فمؤهلة لان تتطور على طريق الديمقراطية، على الرغم من انها لم تتمكن حتى الان من اظهار ذلك على النحو المطلوب.

راميلسون: وهكذا، فان النضال من اجل الديمقراطية الحقيقية يعني النضال من اجل اقامة نظام اجتماعي اخر يستحيل فيه استغلال الانسان للانسان.

بين: ما من انسان جدير بان يكون سيدا لانسان اخر. في هذه الفكرة يكمن جوهر النضال من اجل مستقبل كوكبنا.

الجديد في العلم

مواطن فرنسي من اصل جزائري يبتكر «ساعة إسلامية» تحدد اوقات الفروض الخمسة!

* الساعة على شكل المسجد الاقصى في القدس وينطلق منها صوت المؤذن داعيا الى الصلاة كلما حان وقتها *

ليل (فرنسا) - "و.ص.ف" - اخترع كهربائي شاب من واترلو (شمال فرنسا) من أصل جزائري "ساعة اسلامية" تبين للمسلمين بدقة مواقيت فروض الصلاة الخمسة يوميا.

وتعتبر المساجد قليلة بالنسبة الى حوالي ثلاثة ملايين مسلم يعيشون في فرنسا، والآذان لا يصل اليهم في الغالب، لذلك فكر عبد الرزاق طالب (٣٩ عاما) وهو فني الكتروني باختراع هذه الساعة ابتداء من عام ١٩٨٧.

وكان طالب يعيش عاطلا عن العمل في ذلك الحين فوضع مشروعه بمساعدة شركة تتعاطى الالكترونيات في المنطقة. وقال "كان لدي فكرة محددة .. السماح لأي مسلم حيثما وجد في العالم بتحديد أوقات الفروض الخمسة اليومية التي نص عليها القرآن في الساعات المحددة".

الساعة على شكل المسجد الاقصى في القدس وهي مصنوعة من خشب الزيتون أو من الصدف. ويكفي تحديد خطوط الطول وخطوط العرض حيث يوجد المصلون لكي ينطلق صوت المؤذن داعيا الى الصلاة من ساعة اليد المبرمجة.

ويراوح سعر الساعة بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ فرنك (٣٥٠ الى ٤٣٠ دولار).

أما المخترع الشاب فلديه مشروع لاختراع سجادة صلاة عليها بوصلة تدل على موقع الكعبة، قبلة المسلمين التي يولون وجوههم شطرها في صلاتهم. وحين توجه سجادة الصلاة وجهتها الصحيحة يسمع المصلي آيات من القرآن الكريم.

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاول وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة ..... على ان ترسل الى العنوان التالي

الاسم _____ Name

العنوان _____ Adress

المدينة _____ City

البلد _____ Country

قيمة الاشتراك

	للافراد	هيئة
الاشتراك المحلي	٣٠ دولار	للمؤسسات المحلية ٥٠ دولار
اوروبا	٩٠ دولار	اوروبا ١٠٠ دولار
بلدان اخرى	٧٥ دولار	بلدان اخرى ١٢٥ دولار

الاشتراك السنوي

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

اعتقال أحد الشبان من البلدة القديمة بالقدس، بحجة "رشق الحجارة".

Digitized by Birzeit University Library

اعتقال طالبة من مظاهرة شهدتها رام الله يوم ١/١٤

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

118

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library